الرحلات الأسترالية:

شمال أستراليا

رحلة وحديث في أحوال المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

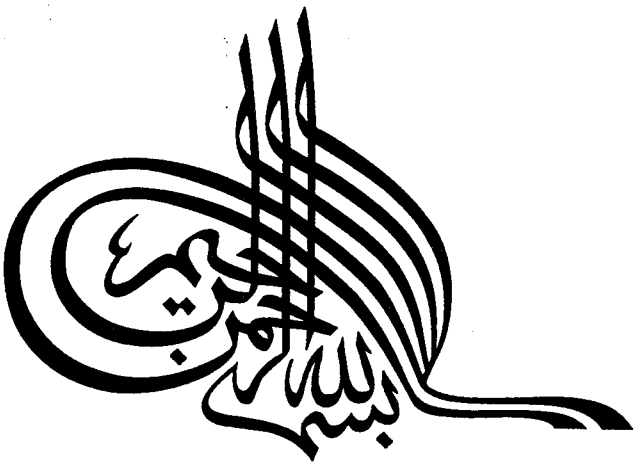
بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الثلوثية للنشر، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

شمال استراليا. / محمد بن ناصر العبودي - الياض ، ١٤٣٤ هـ

٢٢٢ ص ١ .سم

ردمك : ٣-١٧٠٩-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- المسلمون في استراليا ٢- الاسلام في استراليا ٣- استراليا

- وصف و رحلات أ. العنوان

ديوي : ٩١٩،٤٠٤ ١٤٣٤/٢٦٠٠

رقم الإيداع : ١٤٣٤/٢٦٠٠

ردمك : ٣-١٧٠٩-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٤٦٤٢٩٩٩

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا) وهو تحت الطبع.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، تحت الطبع.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، (تحت الطبع).

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية) - (تحت الطبع).

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

مؤلفاته مطبوعة في غير فن الرحلات

(١١٨) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١١٩) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٠) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢١) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٢) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٣) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٤) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٥) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٦) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٢٧) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢٨) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢٩) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٠) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣١) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٢) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٣) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣٤) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٥) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٣٦) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٣٧) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣٨) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣٩) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٠) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤١) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٢) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٣) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٤٤) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٤٥) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

مقدمة:

الحمدلله رب العالمين، رب كل شيء ومليكه، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن رحلتنا اليوم تتجه جهة الجنوب الشرقي البعيد، جهة كان عهدنا بها بعيداً أيضاً وهي جهة أستراليا وجنوب المحيط الهادئ، وستكون عتبة هذه الرحلة بإذن الله الوصول إلى جزيرة سنغافورة التي كانت معتبرة جزءاً صغيراً من بلاد الملايو المسلمة إلى أن اتخذها الإنكليز قاعدة لاستعمارهم المنطقة، ولأعمالهم التجارية فيها فنمت وازدهرت حتى صارت أقوى في الناحية الاقتصادية من بلاد الملايو التي تسمى الآن ماليزيا أو كادت.

وربما كان من أسباب ذلك غلبة الجنس الصيني على سكانها وهو الجنس المعروف بمهارته التجارية وحرصه على جمع المال، حتى سمى أحد ملوك تايلند التجار الصينيين الموجودين في بلاده في ذلك الوقت بيهود الشرق.

ولن أتحدث عن سنغافورة الآن لأنه سبق لي أن تحدثت عنها سابقاً في أكثر من كتاب ومن أهم الكتب عندي التي تحدثت عنها فيه (رحلات في بلاد الملايو) وقد اعتبرتها في ذلك الكتاب جزءاً من بلاد الملايو كما هو معروف.

ولن نبقى في سنغافورة إلاّ ساعات معدودة نغادر بعدها إلى مدينة داروين في شمال أستراليا، وهو الشمال الحار في تلك القارة، ولك أن تعجب أن يكون الشمال هو الحار والجنوب هو البارد، ولكن هذه طبيعة النصف الجنوبي من الأرض، لأن الشمال فيه هو الذي يقع تحت خط الاستواء بخلاف الجنوب الذي يبعد عنه، مثل أستراليا في ذلك مثل أمريكا الجنوبية.

والعجب أن التعليم والرقي الاقتصادي والتصنيع في الجنوب في القارتين

المذكورتين أكثر منه في الشمال، فهل لهذا الأمر علاقة بخط الاستواء؟

ومن مدينة داروين في شمال أستراليا نذهب بإذن الله تعالى إلى مدينة (بروم) ثم إلى مدينة بيرث في اقصى غرب أستراليا، ومن ثم إلى مدينة (جيرالتون) في رحلة أشبه بالعودة من بيرث شمالاً، والسبب في ذلك أننا لم نجد رحلة مناسبة من (بروم) إلى (جيرالتون) ثم العودة إلى بيرث.

فالذهاب إلى بلدة أو بلدتين قريبتين منها من أجل الإطلاع على المساجد وأماكن الصلاة فيها، ومن مدينة بيرث سيكون ذهابنا إلى (أليس إسبرنغ) وهي مدينة واقعة في وسط أستراليا ولكنها تابعة من الناحية الإدارية لولاية شمال أستراليا التي عاصمتها داروين.

ومن (أليس إسبرنغ) إلى ادلايد عاصمة جمهورية جنوب أستراليا، ثم إلى (ملبورن)-وهي المدينة الثانية في أستراليا كما هو معروف وليس أكبر منها إلا سدني، ومن هناك إلى العاصمة (كانبرا) لزيارة المؤسسات الإسلامية فيها والاتصال بالسفارة السعودية هناك.

ومن العاصمة سيكون سفرنا إلى سدني، ومن سدني نزور مدينة ويلنقونق، ومن ثم نعود إلى سدني ثم نسافر إلى مدينة برزبن، ومن ثم إلى مدينة كانز السياحية العالمية لننطلق منها إلى مدينة (بورت مو رزبي) عاصمة جمهورية (غينيا الجديدة) التي صارت تسمى (بابوانيوغيني) أي (بابوا وغينيا الجديدة) وقد نزور أكثر من مدينة فيها ومن ثم العودة إلى (كانز) في أستراليا ليس من أجل إعادة رؤية المدينة وإنما من أجل السفر منها إلى (جزيرة غوام) وهي جزيرة أمريكية في المحيط الهادئ.

وزيارتنا لها سببها أننا تلقينا في رابطة العالم الإسلامي طلباً من المسلمين فيها يخبرون بأنهم قد ألفوا جمعية إسلامية، ويزمعون بناء مسجد فيها، ويريدون المساعدة على ذلك من الرابطة، وبعد زيارة جزيرة غوام نذهب إلى هونغ كونغ في الصين ومنها إلى دبي فجدة.

إنها رحلة كثيرة الوقوف والترحال نسأل الله تعالى أن يجعل لنا من أمرنا يسراً.

وبعد أن انتهينا منها كلها ولله الحمد على ما يرام، وأحياناً على فوق ما كنا أملناه، إذ ذهبنا إلى أماكن لم نكن وضعناها في خط سير الرحلة طلباً للحصول على معلومات أكثر عن الإخوة المسلمين فيها، ولطبيعة الثرثرة المتأصلة في نفس الكاتب وإن شئنا الدقة قلنا: إنها متأصلة في قلمه طال الكتاب حتى صار كتيبات على الوجه التالي:

- "في شمال أستراليا" وهو هذا.
- "في غرب أستراليا" وهو الكتاب الذي يليه.
- "في جنوب أستراليا".
- "في شرق أستراليا".

وعلى أية حال فإن الثرثرة في الحديث عن بلاد بعيدة تكاد تكون مجهولة لكثير من القراء لا تخلو من فائدة، بل قد تكون مطلوبة و الله المستعان.

الغرض من الرحلة:

إن الغرض من هذه الرحلة هو نفسه الغرض العام من الرحلات التي ذكرتها في كتبي السابقة في هذا الميدان، وهو الاجتماع بالإخوة المسلمين في المدن والبلدان التي نزورها والإطلاع على ما جد من مؤسساتهم الإسلامية، بل من نشاطهم الإسلامي كله، ومعرفة ما تحتاجه مؤسساتهم الإسلامية من مساعدة يمكن لرابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة (الأمين العام المساعد) أن تقدم العون والمساعدة لها عملاً بقول الله تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى**).

ومن الغرض من الرحلة زيارة مكتب الرابطة في مدينة (ملبورن).

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

نظرة عامة في أحوال أستراليا

اعتدت في أكثر كتبي أن أقدم فذلكة أو خلاصة مختصرة في أحوال البلد الذي أتكلم عليه.

وفي هذه المرة طلبت من مرافقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وهو مدير إدارة الدراسات في رابطة العالم الإسلامي أن يكتب شيئاً من ذلك، ففعل، وقد ألقيت عليه نظرة نتج عنها تعديل بعض الكلمات أو الفقرات.

مع العلم بأنني سبق أن قدمت دراسة وافية عن أحوال المسلمين في أستراليا مع لمحة عن أستراليا نفسها في كتاب: (إطلالة على أستراليا) الذي طبع قبل فترة، كما فعلت شيئاً من ذلك أيضاً في كتاب: (وراء العمل الإسلامي في أستراليا) وهو كتاب كبير مطبوع أيضاً.

أستراليا:

المساحة والطبيعة:

أستراليا دولة في قارة تقع في جنوب شرق آسيا بين محيطين هما المحيط الهادئ والهندي، وهي في الواقع قارة صغيرة طولها من الشرق إلى الغرب ٣,٨٦٠ كيلومتر، ومن الشمال إلى الجنوب ٣,٢٢٠ كيلومتر، ويبلغ طول ساحلها نحو ٣٦,٧٣٥ كيلومتر وتقدر مساحتها بـ ٢,٩٦٧,٨٧٧ كيلومتر مربع، وهي تمثل ٥% من مساحة الأرض اليابسة كلها.

يتميز سطح أستراليا بقلة الجبال المرتفعة، إذ يبلغ متوسط الارتفاع نحو ٢٧٥ متراً ، أو ٩٠٢ قدماً، وبينما تسيطر السهول الشاسعة وسطها توجد المرتفعات في الشمال الشرقي، كما أن السهل الساحلي يبلغ متوسط عرضه ٦٥ كيلومتراً، وتعتبر السواحل الشرقية والجنوب الشرقية والجنوب الغربية أكثر مناطق أستراليا سكاناً.

وسلسلة الجبال الفاصلة التي تسمى قريت ديفايدنغ رانج The Great Dividing

Ranre التي تمتد في الشرق تفصل بين الأنهار التي تصب شرقاً في الساحل وبين الأنهار التي تعبر الوديان إلى داخل القارة.

والأنهار الرئيسية التي تتجه إلى الساحل شرقاً هي بوردكين Burdekin وفيتزروي Fitzroy، وهونتر Hunter، بينما أنهار موراي Murray ودارلينغ Darling ومورومبيدغي Murrumbidgee تصب في الداخل كما أن انهار فيكتوريا Victoria ودالي Daly وروبر Roper تجري في الأراضي الشمالية.

وهناك أنهار ميشل Mitchell وغيلبرت Gilbert وفليندرز Flinders في كوينزلاند، وأما الأنهار الرئيسية في غرب أستراليا فهي اشبورتون Ashburton مورجيسون Murchison واسوان Swan .

وإلى جانب هذه الأنهار يوجد عدد من البحيرات مثل ايره Eyre وتورنيز Torrens وفورم Frome وغيردنر Gairdner إلا أنها بحيرات ملحة ما عدا بحيرة ارغيل Argyle التي تعتبر أكبر بحيرة اصطناعية في أستراليا، فهي مملوءة بالمياه العذبة.

ولقلة الأمطار وجفاف الأنهار في الصيف تعمل حكومة أستراليا على تأمين المياه ببناء السدود وحفر الآبار، وخاصة أن ثلثي أراضي أستراليا هي صحراوية أو شبه صحراوية.

والسهول الساحلية تتميز بالرطوبة وبالأخص السواحل الشرقية، وبينما يتميز جنوب وغرب أستراليا بشتاء رطب فيما بين شهري يونيه- وأوغسطس، وصيف جاف فيما بين نوفمبر ومارس، تتميز السواحل الشمالية الشرقية بالمناخ الاستوائي بشتاء جاف وصيف رطب.

الثروات:

الغابات الاستوائية تغطي السهول الشمالية، كما أن الصحارى مثل صحراء سيمبسون Simpson ليست مجردة تماماً من النباتات، وتوجد فيها ٦٠٠ نوع تقريباً من النباتات المحلية الأسترالية.

وأما المواد الغذائية مثل القمح والشعير والذرة والفواكه والخضرات فهي من النباتات التي أدخلها الأوروبيون إلى أستراليا.

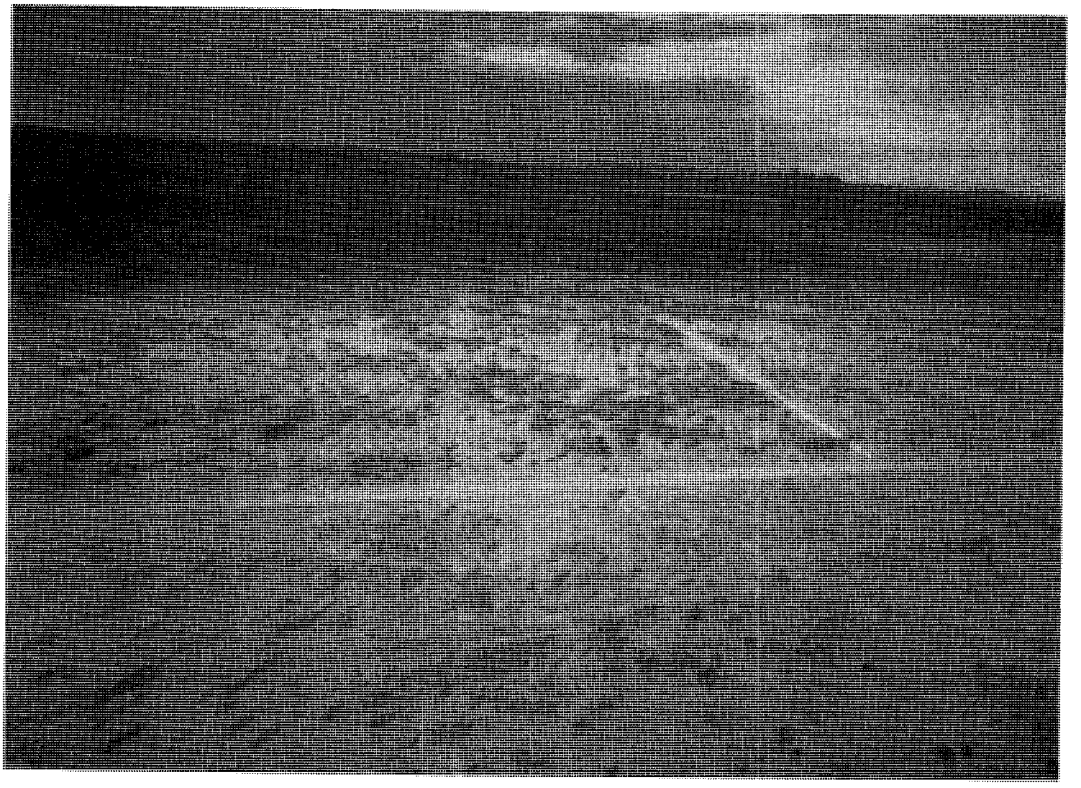

صحراء أليس اسبرنغ في أستراليا كما تبدو من الطائرة مع غروب الشمس (تصوير المؤلف)

واستراليا تتميز بوجود حيوانات لا توجد في القارات الأخرى مثل الكنغرو Kangaroo والكوالا Koala والولب Wallaby ويعد حيوان البلاتيبوس Platypus وقنفذ النمل من أغرب الحيوانات لأنها ثديات تخرج من البيض، كما يوجد فيها أكثر من ٧٠٠ نوع من الطيور، ومنها ٦٠ نوعاً من الببغاوات.

وأما الكلاب والذئاب فقد جاءت مع الاستيطان الأوروبي الذي جلب معه أيضاً الأرانب والماشية والضأن والماعز والخيل والحمير والإبل، ومن هذه الثروة الحيوانية،

البقر وعددها ٢٢ مليون رأس والأغنام ١٦٢ مليون رأس والإبل البرية مائة ألف رأس.

كما أن صيد السمك وصل إلى ١٧٥ ألف طن متري عام ١٩٩٠م، وتنتج أستراليا ٣٠% من إنتاج الصوف عالمياً.

وتعد أستراليا غنية بالمعادن، ومن أهمها النحاس والذهب والرصاص والزنك والبوكسيت والنيكل والغاز والنفط، ويقدر احتياط خام الحديد فيها بنحو ٤٠ مليون طن، وتبلغ صادراتها من المعادن ٤٥%، والزراعية والحيوانية ٣٥%، والصناعية ٢٠%، بينما تشكل وارداتها الصناعية ٥٧%، وقد بلغ حجم الإنتاج المحلي ٣١١ بليون دولار في عام ١٩٩٣م، كما أن دخل الفرد الواحد يبلغ ١٨,٠٥٤ دولاراً في السنة.

حكومة أستراليا:

أستراليا حكومة اتحادية وتتكون الدولة من ست ولايات وإقليمين، لكل ولاية برلمانها الذي يشرع لها قوانين شئون التعليم والأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وهناك برلمان اتحادي يختص بالتشريع في مجالات الدفاع والسياسة الخارجية، وما يؤثر على البلاد بأكملها.

ولكل ولاية ممثلون في البرلمان الاتحادي الذي يتكون من مجلسين، وهما مجلس النواب ويتكون من ١٤٨ نائباً ومجلس الشيوخ ٧٦ عضواً.

كانت أستراليا مستعمرة بريطانية، ولكنها استقلت عندما اتحدت الولايات كلها في الأول من يناير ١٩٠١م، وهي عضو في رابطة دول الكومنولث البريطانية، وفي أستراليا يعتبر الحاكم العام هو بمثابة الرئيس الرمزي، أي مثل وظيفة الملكة في بريطانيا، والهيئة التنفيذية يرأسها رئيس الوزراء، الذي يعينه الحاكم من قادة الأحزاب الرئيسية ممن يكون رئيس حزب الأغلبية أو زعيم ائتلاف.

والحاكم العام حالياً هو السير وليم دين Sir William Deane الذي تولى الحكم في ١٩٩٦/٢/١٦م، وأما رئيس الوزراء فهو جون هاورد John Hwoard الذي شكل الحكومة الحالية في أكتوبر ١٩٩٦م، وهو من حزب الأحرار أكبر الأحزاب السياسية في أستراليا.

السكان:

يبلغ عدد سكان أستراليا نحو ١٨,٢٦٠,٨٦٣ نسمة حسب إحصاء عام ١٩٩٦م، ويعيش ٨٠% منهم في الربع الجنوبي الشرقي من القارة، وخصوصاً في المدن الساحلية الكبرى مثل سدني وملبورن، وتعد نسبة التحضر في أستراليا واحدة من أعلى النسب في دول العالم، حيث يعيش ٨٧% من السكان في المدن.

وينقسم السكان إلى قسمين هما:

المستوطنون:

وقد بدأ ذلك بالاستيطان الأوروبي الذي ابتدأ بعد الاستكشاف البريطاني بوصول كابتن جيمس كوك James Cook إلى سواحلها الشرقية عام ١٧٧٠م، وكانت أول جماعة تم توطينها هم سجناء بريطانيون منفيون حملهم ارثر فيليب Arthur Phillip إلى مستعمرة نيوساوث ويلز التي أنشأها الكابتن جيمس كوك، وذلك في عام ١٧٨٨م، ثم توالت عمليات التهجير و التوطين التي نفذتها حكومة بريطانيا على السجناء إلى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، ومع مرور الزمن تدفق إليها المهاجرون الأحرار من غير السجناء.

وعلى ذلك يعتبر البريطانيون وخاصة الايرلنديون منهم أكثر المستوطنين ويليهم اليونانيون والإيطاليون والألمان، ثم حدث أن قدم إليها الآسيويون وبخاصة من جنوب شرق آسيا إلا أن حكومة أستراليا عملاً بمبدأ أستراليا البيضاء أصدرت قانوناً منعت بموجبه الهجرة الآسيوية في عام ١٩٠١م.

ولكن النمو الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية ساعد على تنشيط الهجرة إليها من تركيا ويوغسلافيا السابقة، غير أن تخلى حكومة أستراليا عن سياسة أستراليا البيضاء منذ عام ١٩٧٣م أدى إلى تزايد الهجرة، وفي عام ١٩٩١م كان من سكان أستراليا ٢٢% من مواليد بريطانيا، و ٣٠% من مواليد أوروبا، و ٢١% من مواليد آسيا.

وتقدر نسبة البريطانيين بين السكان نحو ٦٠% والأوروبيين ١٨%، والآسيويين ١٠%.

الأستراليون الأصلاء:

ويعبر عنهم بمصطلح الأبورجنز Aborigines وهي كلمة لاتينية مركبة وتعني الأصليين القدماء، وهم المستوطنون الأوائل لقارة أستراليا، وكما يعتقد معظم العلماء يعود تاريخ دخولهم إليها من جنوب شرق آسيا إلى ما يزيد عن خمسين ألف سنة.

المؤلف في بادية أليس اسبرنغ مع أسترالي أصلي ليس عليه إلاّ ما يستر العورة والباقي أغصان الشجر وأصباغ

فقد كانت أستراليا مع جزر توريس Torres Strait Islands التي تنتشر ما بين شبه جزيرة كاب يورك Cape York في أستراليا ونيوغيني تشكل قارة واحدة، ولكن عندما ارتفعت البحار في نهاية العصر الجليدي قبل ١٥٠٠٠ سنة انفصلت أستراليا وظهرت الجبال البركانية التي تشكل الجزر الحالية بينهما، وبينما قدمت جماعات مالايوية Melanesian جديدة تستوطن (نيوغيني) ثم جزر توريس عاش المستوطنون القدماء بعزلة في أستراليا، وهناك تشابه إلى حد كبير بين سكان جزر توريس وأستراليا في الوقت الحاضر.

ولا يستعمل السكان الأصلاء اسم أبوريجينز على أنفسهم وإنما لهم أسماء خاصة بهم مثل موري Murry، كوري Koory، نونغا Nungha، نيوونغا Nyoongha، وهكذا.

وقد أثبتت الدراسات العرقية وجود أكثر من ستمائة وحدة عرقية بينهم، ولهم لغات ولهجات وعشائر تتكون من أحفاد جد واحد.

وقبل عام ١٧٨٨م كان السكان الأصلاء يتحدثون ٢٧٠ لغة متباينة لها ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ لهجة، أما في الوقت الحاضر فأمكن تصنيف ٢٨ لغة لهم.

قدر بعض المؤرخين عدد السكان الأستراليين الأصلاء من ٥٠٠,٠٠٠ إلى مليون نسمة قبيل الاستيطان الأوروبي عام ١٧٨٨م، ثم تناقص عددهم بسبب حروب الإبادة التي شنها ضدهم الأوروبيون، ومقاومتهم الوطنية غير المتكافئة لوقف الاستيطان الأوروبي وتحرير بلادهم من الغزاة، وكذلك بسبب مختلف الأمراض الوبائية التي نشرها الأوروبيون بينهم بهدف التخلص منهم.

ويقدر عددهم الآن رسمياً بنحو ٢٢٧,٦٤٥ نسمة، ويتمركز أكثرهم في ولاية كوينزلاند وجزر توريس التي يقطنها ٦١,٢٦٨ نسمة، ثم نيو ساوث ويلز ٥٩,١٠١ نسمة، وغرب أستراليا ٣٧,٧٨٩ نسمة، والأراضي الشمالية ٣٤,٧٣٩ نسمة، وجنوب أستراليا ١٤,٢٩١نسمة، وفيكتوريا ١٢,٦١١ نسمة، وتسمانيا ٦,٦١٦ نسمة، وأخيراً في أراضي العاصمة المركزية ١,٢٢٠ نسمة.

والأكثرية منهم لا تزال تحافظ على تقاليدها البدائية المتوارثة ويعيشون في مستوطنات حكومية ومجتمعات خاصة بهم، ولكن بتشجيع حكومة أستراليا لتبني الحياة الأوروبية والحضارة الحديثة أخذ السكان الأصلاء يعملون في مزارع الأبقار والأغنام، وفي المصانع وفي قرى الأرياف، و لهم نائب في البرلمان الاتحادي، ومنهم شخصيات مرموقة مثل الشاعر كاث ووكر ولاعب التنس ايفون كولي.

رجل من السكان الأصلاء في أستراليا

وسوف يأتي الحديث عن مشاهداتنا لأحوال أولئك السكان الأصلاء، وما سمعناه منهم ومن المرافق السياحي مما يتعلق بهم في اليوميات بإذن الله.

المسلمون وأستراليا:

يبدو من استقراء التاريخ أن صلة المسلمين بهذه القارة التي سماها الاوروبيون أستراليا وعرفوها بالقارة الجديدة، لم تكن حديثة عهد، بل هناك ما يشير إلى معرفة قديمة بهذه القارة، فأبو عثمان الجاحظ المتوفى في عام ٨٦٨م يشير في كتابه الحيوان إلى حيوان يخرج ولده من بطنه يرضع أمه ثم يعود إلى بطن أمه، وأنه يكرر ذلك عدة مرات ويسمى ذلك بالثور الهندي على حد قوله عن شيخه النظام، مع أن هذا الحيوان بهذه الصفة لا يكون إلا في حيوان الكنغرو الأسترالي الذي يحمل ولده في جراب في بطنه.

علاوة على ذلك فإن بعض الدراسات الأنثروبولوجية أشارت إلى أن بعض قبائل السكان الأصليين وبخاصة التي تعيش في ولاية كوينز لاند وجزر توريس تمارس بعض الطقوس الدينية التي تشبه إلى حد كبير شعائر إسلامية، مثل الختان وتحريم الزنا والاعتقاد بإله واحد في السماء.

كما أن أساطير وقصص السكان الأصليين مثل بايني Baiini تشير إلى قدوم أناس من البحر وهو ما يثبت من المصادر التاريخية التي تدل على وصول الصيادين المسلمين إليها، وبالأخص إلى سواحل كيمبرلي Kimberely وارنهيم Arnhem land من جزر الهند الشرقية وهي إندونيسيا، وكان يعرف هؤلاء الصيادون باسم ماكسر Macassar ولا يزال بعض أسر من السكان الأصليين ينتسبون إليهم.

ومما يؤكد وصول المسلمين إلى أستراليا قبل الأوروبيين أيضاً أن البحار المسلم جانغ خه Chang He وهو قائد الأصطول الصيني لإمبراطورية مينغ Ming الصينية وصل إلى أستراليا عام ١٤٣٢م.

وهكذا لم يكن البريطانيون هم الذين اكتشفوها عام ١٧٧٠م كما قالوا، بل كان الإسبانيون هم أوائل الذين اكتشفوها عام ١٦٠٦م، والهولنديون الذين سموها هولندا الجديدة وصلوها عام ١٦٠٦م، قبل الإنكليز الذين احتلوها عام ١٧٨٨م، واستمروا فيها.

وجيوش هذه الدول الأوروبية التي احتلت بلداناً إسلامية في جنوب شرق آسيا لا يستبعد أن يكون فيها أفراد مسلمون نقلتهم تلك الجيوش في قوافلها إلى أستراليا، وإنما الثابت تاريخياً أن حكومة بريطانيا التي كانت لا تزال تسيطر على أستراليا والهند وغيرهما في القرن التاسع عشر الميلادي، استقدمت ثلاثة مسلمين من الهند برئاسة بيك درويش مع ١٢ بعيراً لاستكمال استكشاف أستراليا في عام ١٨٤١م، فاشترك في ذلك أولاً مع المستكشف تشارلز ستورت Charles Sturt في عام ١٨٤٤ م، ثم مع كل من وليم ويلز William Wills وروبرت بورك Robert Burke في عام ١٨٦٠م، وقد أشاد به وليم ويلز في كتابه ولكن درست محمد الذي استقدمه الإنجليز مع ٢٤ بعيراً من بشاور يعتبر أول مسلم يسجل دخوله رسمياً في عام ١٨٦٠م.

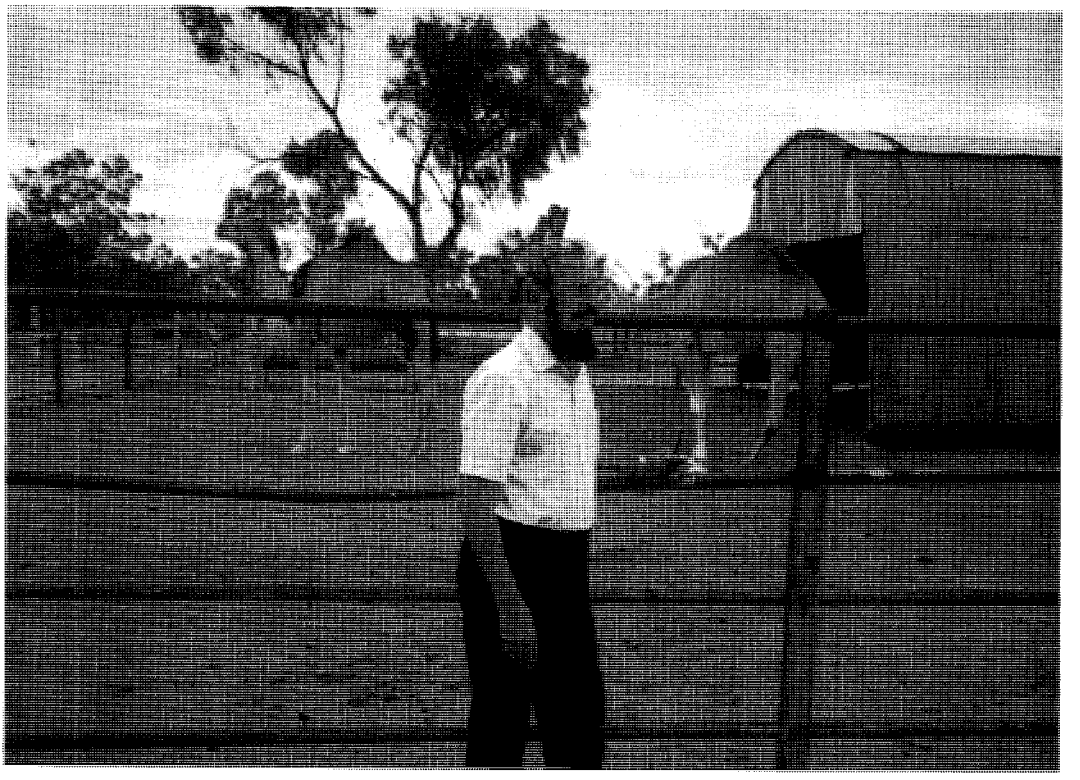

المؤلف في مزرعة الإبل في اليس اسبرنغ

وقد اشترك مع رفقائه المسلمين في مد القطار الحديدي وخطوط التلغراف من أدلايد إلى داروين وأليس سبرنغ، ثم استقدم البريطاني توماس ايلدرس Thomas Elders ٣١ أفغانياً مع ١٢٤ بعيراً في الأول من يناير ١٨٦٦م.

وبعد اكتشاف الذهب في غرب أستراليا في عام ١٨٨٠م استقدمت السلطات الأسترالية جماعة من الأفغان مع مجموعة من الإبل، وكان هؤلاء يعملون في نقل الذهب من حقول الذهب.

وقد تزوج بعض هؤلاء المسلمين الأوائل من السكان الأصلاء، كما قدم آخرون غيرهم حتى إن السفن الواردة إلى أستراليا من كراتشي قلما خلت من المسلمين، وقد بلغ عددهم نحو ٦,٠١١ نسمة في عام ١٩٠١م.

وظهرت مع تزايد أعداد المسلمين قرى أفغانية، ومن ذلك بلدة مري Murry في جنوب أستراليا التي سموها على اسم مدينة لهم في شمال باكستان، وبني في بلدة مري هذه أول مسجد في أستراليا عرف تاريخياً في عام ١٨٨٠م.

كما بنيت مساجد أخرى في بيرث واليس سبرنغ وبرزبن وفارينا وكولجاردي وادلايد وبروكن هيل، ولا تزال مساجد بيرث وادلايد وبروكن هيل قائمة حتى الآن وتحظى برعاية حكومة أستراليا على أنها آثار تاريخية.

ومع سياسة أستراليا البيضاء التي نفذتها حكومة أستراليا منذ عام ١٩٠١م بدء الوجود الإسلامي في الانكماش، إذ منعت حكومة أستراليا قدوم الآسيويين إليها وعملت من جانب آخر على إعادة العمال الآسيويين إلى بلادهم مما أدى إلى تقلص عد د المسلمين إلى ٢,٠٢٠ رجلاً في عام ١٩١١م.

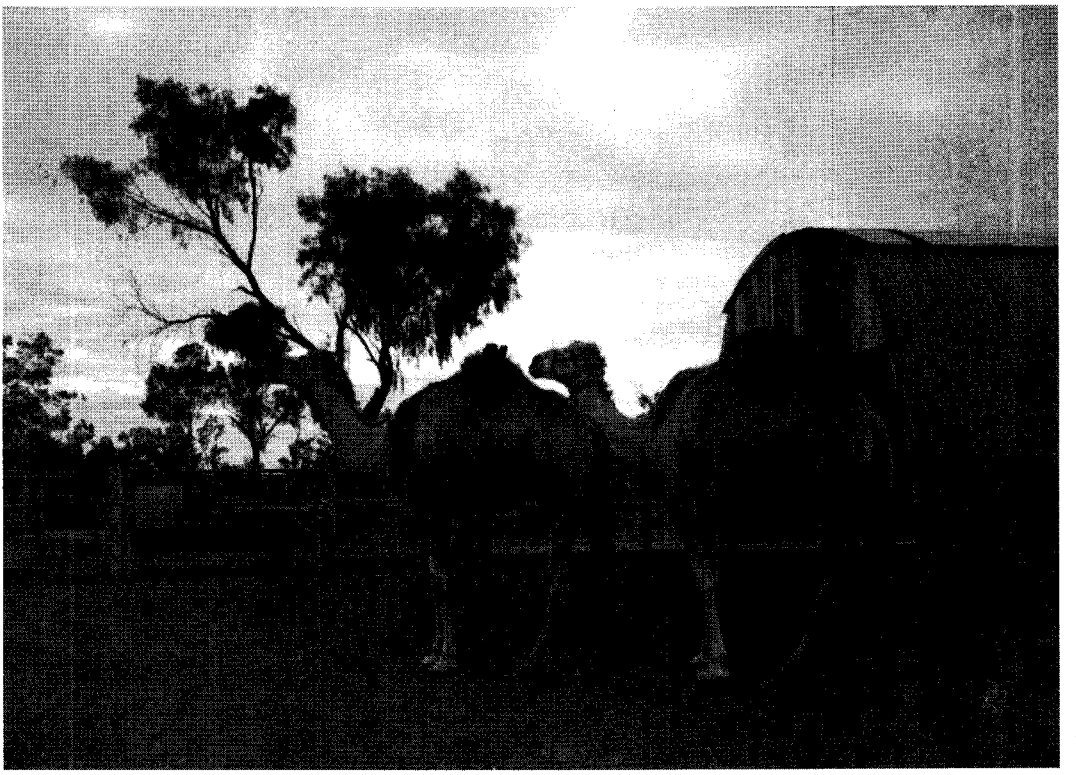

إبل أسترالية في اليس اسبرنغ

وقد انصهر أحفاد أولئك المسلمين من زوجات لهم من السكان الأصلاء في المجتمع الأوروبي، كما حدث في مدينة اليس سبرنغ، ومع ذلك استمر بعضهم واشتهر منهم محمد عالم الذي خلد اسمه على شارع في اليس سبرنغ اليوم، ومحمد صالح الذي مثل حكومة أستراليا في تقديم هدية الإبل الأسترالية إلى الملك خالد بن عبدالعزيز – رحمه الله، وقد أدى فريضة الحج عام ١٩٧٥م.

وفي عام ١٩٢٤م سمحت حكومة أستراليا بهجرة الأوروبيين المتضررين من الحرب العالمية الأولى، فقدم إليها الألبان واليوغسلاف المسلمون، كما جاء إليها

الأتراك والعرب من الشام بعد الحرب العالمية الثانية، ثم تزايدت أعداد المسلمين بعد أن تم نقل المسلمين إليها من جزيرتي كوكس Cocos Island وكريسماس Chrismas Island وهم من المسلمين الماليزيين عام ١٩٨٤م، وعلى أثر هذا التاريخ تزايد أعداد المسلمين، كما أن حكومة أستراليا عملاً بمساعدة الشعوب المضطهدة سمحت بتوطين بعض الصوماليين والأفغان والعراقيين وغيرهم ممن تعرضت بلادهم لحرب واضطرابات في السنوات الأخيرة.

ومع أن الإحصائية الرسمية لعام ١٩٩١م تشير إلى وجود ١٤٧,٥٠٧ مسلم وتوضح أن أكثريتهم في سدني، حيث بلغ عددهم نحو ٧٣,١٦٢ نسمة، ثم في ملبورن حيث يوجد ٤٦,٩٩٣ نسمة، ولكن التقديرات الإسلامية تفيد أن عدد المسلمين يتراوح ما بين ٥٠٠,٠٠٠ نسمة إلى ٧٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٩م، ويعزون هذا الفرق الكبير إلى أن استمارة التعداد السكاني لا تشير إلى الإسلام بينما تذكر المسيحية ومذاهبها علاوة على أن أكثرية المسلمين لا يهتمون بتعبئة الاستمارة أو كتابة الإسلام في حقل الدين.

وعلى أي حال يعتبر الإسلام هو الدين الثاني بعد المسيحية في أستراليا كما أن عدد المساجد يصل إلى ١٤٠ مسجداً في الوقت الحاضر.

ملاحظات عامة:

الحرية الدينية مكفولة بموجب القانون، ولا يجد المسلمون مشكلات من حكومة أستراليا في هذه الأمور الدينية ما عدا مشكلات من أفراد مسيحيين ناجمة عن الحقد والضغينة، مثلما حدث في شيفتون في سدني عندما اشترى مركز بنغلاديش الإسلامي لنيوساوث ويلز Bangladesh Islamic Centre of New south Wales كنيسة في عام ١٩٩٥م، واعتقد المسلمون أن المبنى يمكن استعماله مسجداً، كما كان كنيسة مكان عبادة وافتتح مسجداً في سبتمبر ١٩٩٦م، ولكن مجلس مدينة بانكستاون Bankstown ادعى أنه سمح لاتخاذه مسجداً لمدة اثني عشر شهراً فقط، ولا يزال الموضوع في المحكمة.

وتعتبر أستراليا أرضاً خصبة لنشر الإسلام، ذلك لأن حكومة أستراليا لا تتدخل في الدين، بل تعتبره من الأمور الشخصية، علاوة على أن المجتمع المسيحي قد سئم من تعليمات رجال الدين المسيحي الذي لم يعد قادراً على تلبية حاجاته الروحية، كما أن انصراف المسيحيين إلى الحياة المادية دفعهم إلى البحث عن اتجاهات دينية يشبعون بها حاجاتهم الروحانية.

ويعتمد بناء المساجد وفتح المدارس الإسلامية على نشاط المسلمين وإمكانياتهم المادية، وقد ساعد العمل الإسلامي على انتشار ذلك في استراليا منذ البداية، ولكن لا تزال هناك أقليات إسلامية محدودة أعدادها وإمكاناتها لا تملك مسجداً مثل أهل مدينتي بروم وكانز.

ورغم انصراف شباب المسلمين للانغماس في مظاهر الحياة الغربية المنحلة إلا أن الجماعات الإسلامية أدركت أهمية التربية والتعليم الإسلامي لحفظ دينهم وأخلاقهم، فأخذت أعداد المدارس الإسلامية في الانتشار وقد ساعد في ذلك دعم حكومة أستراليا لها.

ورغم كون الأغلبية العظمى من سكان أستراليا هم من المسيحيين إلا أن الإحصاءات تشير إلى أن ١٦% منهم يترددون إلى الكنيسة، وهذا أدى إلى إغلاق بعض الكنائس وبيعها إلى المسلمين الذين اشتروها وحولوها إلى مساجد.

وكذلك بالنسبة إلى المدارس فقد أدى انخفاض نسبة المواليد وارتفاع سن الشيخوخة إلى أن بعض المدارس الحكومية اضطرت إلى الإغلاق فاشتراها المسلمون وجعلوها مدارس إسلامية.

وتعتبر رسوم الذبح الحلال مع أنها محدودة الدخل الأساسي لنفقات العمل الإسلامي، ولكن لا تزال هناك خلافات حول الجهات والأشخاص الذين يشرفون على العمل، ويتقاضون الرسوم من الشركات التي تصدر اللحوم إلى البلدان العربية، كما أن العمل الإسلامي لا يزال يتأثر بالقومية، فالأتراك مثلاً لهم مسجد والأفغان والبوسنيون والباكستانيون لهم مساجد، منسوبة إليهم.

أما اتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية الذي يرأسه حالياً الأستاذ عباس أحمد فإنه لا يزال يعاني من بعض المشكلات، ومع ذلك فإن علاقة مكتب رابطة العالم الإسلام في أستراليا به معتادة ويصدر الاتحاد نشرة شهرية باللغة الإنجليزية عنوانها، أخبار المسلمين Muslim News تعمل على التعريف بالقضايا الإسلامية المعاصرة.

تقرير مهم:

بعد كتابة ما سبق وصلني تقرير مبسوط مهم من شيخ عرفته منذ سنوات عديدة داعياً إلى الله مهتماً بأمور المسلمين في أستراليا هو الشيخ (أمين هادي) وهو أندونيسي الأصل متخرج من جامعة في المملكة العربية السعودية، تعاقدت معه إدارة الأفتاء في المملكة العربية السعودية على أن يكون إماماً متفرغاً لمسجد العاصمة الأسترالية (كانبرا) وأن يقوم إلى جانب ذلك بالدعوة إلى الله.

وقد قام بعمله هذا قياماً يشكر عليه، وبقي فيه نحو اثنتي عشرة سنة، انتقل بعدها إلى العمل في الحقل نفسه وهو ميدان العمل الإسلامي، فصار (مدير المركز الإسلامي في زيتلند- سدني).

وقد كان متابعاً للحركة الإسلامية في أستراليا باحثاً في أصلها، عرفته بذلك من الأحاديث معه أثناء زياراتي السابقة لأستراليا، ومن تتبع عمله الذي كان هو عملي، وشغلي الشاغل، لذلك عندما تلقيت تقريره هذا المهم المكتوب باللغة العربية فرحت به ورأيت نشره بنصه في هذا الكتاب ليكون رافداً من روافد المعلومات عن (الإسلام والمسلمين في أستراليا).

وقد انتهى من كتابته في رمضان عام ١٤١٩هـ وهذا نصه:

الإسلام في أستراليا: الماضي والحاضر والمستقبل:

مقدمة:

إن الإسلام دين يتبعه أكثر من اثنين في المائة من سكان أستراليا البالغ عددهم سبعة عشر مليوناً ونصف مليون نسمة، ومنذ أن رحبت حكومة أستراليا بطوائف مختلفة من المهاجرين من عدة خلفيات من الجنسيات والأديان خاصة منذ ثلاثين سنة ماضية شهدت هذه البلاد وصول المسلمين بشكل ملحوظ من تركيا ولبنان والبلاد الأخرى في الشرق الأوسط وآسيا.

فتغيرت منذ ذلك الوقت خريطة الديانة في أستراليا، إذْ أصبح الإسلام ثاني الدياناتِ في هذه القارة وهو أكبر الأديان بعد المسيحية، وربما أسرع الأديان نمواً و انتشاراً، فالدراسة المستفيضة عن تعداد المسلمين سنة ١٩٩٣م تؤكد بأن خمسة وثلاثين في المائة من المسلمين الموجودين مولودون في أستراليا واتخذوا أستراليا وطناً لهم.

وهذه التطورات المتجددة في نشأة الإسلام في أستراليا لفتت أنظارنا إلى أن نسجل تاريخ وصولهم إلى هذه القارة، ومدى تأثير الدين لعملية الاستيطان والاستمرار في بلد المهجر، وكيف ينسجمون وسط البيئة والمجتمع الأسترالي، ولا يقل أهمية هنا أن نسجل التحديات التي واجهوها في هذا المجتمع الجديد، وكذلك ما هي الآمال والتطلعات لمستقبلهم في هذه القارة، وهنا لا يمكن تجاهل دور المؤسسات الإسلامية كالمساجد والمدارس والجمعيات، وكذلك الأئمة والدعاة لتطور الإسلام وتقدمه في هذا البلد.

دخول الإسلام إلى أستراليا:

يمكن تقسيم مراحل دخول الإسلام إلى أستراليا إلى أربع مراحل:

١- وصول الصيادين المكاساريين:

يرجع تاريخ دخول الإسلام إلى أستراليا- خلافاً للمعتقد السائد- إلى عصر قبل وصول المهاجرين بشكل جماعي ومنظم في أوائل القرن التاسع عشر، وفي الحقيقة الإسلام دخل هذا البلد (قبل وصول الاسطول الأول) عام ١٧٨٨م، وكان ذلك على أيدي صيادي السمك الذين أتوا من جزيرة سيليبس أو سولاويسي (Sulawesi) باندونيسيا، وهؤلاء معروفون بـ (مكاساريين) وهم مسلمون منذ ثلاثمائة سنة.

وقد سجل أحد الرواد والباحثين ماثيو فليندس (Matthew Flinders) من شهود عيان لأول المكاساريين وصلوا أستراليا سنة ١٨٠٣م، فقد شاهد هو وصول ستة زوارق من المعروف بـ براهو (Prau) في مياه شاطئ أرنهيم لاند (Arnhem land) وعند عودته للبحث في المنطقة سنة ١٨١٤م، وبعد حديثه مع الأبوريجيين استقر في الرأي بأن أول زيارة للمكاساريين بدأت قبل عشرين سنة.

ودام موسم بعثة صيادي السمك إلى أستراليا أربعة شهور لكل سنة، وكانت بدواعي تجارية، وأهم سلعة اصطادوها في مياه شواطئ أستراليا هي يرقانة (sea slug) أو خيار البحر (rtepang) وتم إعداد ما اصطادوه في شواطئ مقابلة حيث وصل عدد الزوارق في بعض الأحيان إلى ستين زورقاً، وأكد الباحث بأن حسن التنظيم وانتظام في هذه البعثة مع حسن أخلاق الصيادين أعضاء البعثة يدلان على أهليتهم لهذه الوظيفة، كما أن هذا أيضاً يدل على حسن التزامهم بتعاليم دينهم.

والسؤال المطروح هنا: هل هؤلاء المسلمون احتكوا واختلطوا بأهل البلد (الأبوريجيين)؟

وإذا كان الجواب نعم، فإلى أي مدى كان تأثير الإسلام لهم؟

إن الدلائل تشير – و الكلام للباحث فليندس- بأن الثقافتين قد تعاملتا وتداولتا، بل امتزجتا عند تواجد الزوار الصيادين، كما تم أيضاً تبادل الأفكار أثناء ذلك، ولكن هذه العملية تمت في مجالات محدودة كطريقة صناعة الزوارق من قشر الشجرة وطريقة جمع المأكولات وغير ذلك، ولذلك نجد بعض الاصطلاحات في اللغتين في هذه المجالات وفي المجالات الأخرى متقاربة وأحياناً متساوية.

ولكن الشيء الوحيد الذي ما اشترك فيه الطرفان هو الديانة، فما السبب إذن؟

هناك عديد من الإيضاحات لهذا السؤال: أولها: هو قصر مدة مكوث هؤلاء الزوار، والشيء الثاني: هو أن الأبوريجيين كانوا على منتهى الخضوع والانقياد لمعتقداتهم ولألهتهم، فمن الصعب، بل من المستحيل تغيير هذا المعتقد، وهناك احتمال في أن الإسلام قد أبلغ إليهم ولكنهم اهملوا تعليمه للأجيال التالية.

وهنا أيضاً سؤال: فلماذا إذن احتفظ هؤلاء الأبوريجيون بتقاليد الصيد من المكاساريين وليس بديانتهم؟

والجواب: لعل هذا بسبب عدم إمكانيتهم على ممارسة تعاليم الإسلام لعدم قدرتهم على المحافظة على النواحي التطبيقية للشريعة الإسلامية، فليس تطبيق الشريعة على مستوى السهولة مثل الصيد- على حسب تعبير ماتيو فلينسر.

ومع مرور الوقت بدأت الحكومة الأسترالية تطبيق نظام الرسوم والرخصة على السفن والزوارق القادمة على مياهها والراسية على شواطئها فألزمت على كل سفينة قادمة دفع مبلغ خمسين جنيهاً، فأثر هذا على عدد السفن القادمة، ومع النصف الثاني من القرن الثامن عشر توقفت تقريباً أفواج وصول المكاساريين الإندونيسية إلى مياه أستراليا.

٢- الملايو في أستراليا:

في نفس الفترة التي توقف فيها وصول المكاساريين إلى شواطئ شمال أستراليا رحبت الحكومة بمئات من المهاجرين المسلمين الذين وفدوا على شواطئ شمال غرب أستراليا وهم الغطاسون والغواصون الذين استقدمتهم الحكومة للبحث عن اللؤلؤ.

ففي سنة ١٨٧٥م هناك ما لا يقل عن ألف وثمانمائة ملايو مسلم اشتغلوا على مياه غرب أستراليا، وتم ترتيب استقدام هؤلاء الغواصين من مدينة كوانج (Kupang) باندونيسيا ضمن الاتفاق المبرم بين حكومة أستراليا وحكومة هولندا المستعمرة، وكان عقد العمل مع الغواصين لمدة سنة مع إمكانية التجديد حسب الحاجة.

وعمل الغواصين ليس بهين ويحتاج إلى البقاء على البحر طول النهار، والسؤال هنا كيف مارس هؤلاء ديانتهم أثناء عملهم؟

والمعروف أن الوجبة جهزت وهم يأكلون من على الباخرة كذلك يؤدون الصلاة عليها، فكيف إذن تعامل معهم زملاؤهم الأستراليون والمشرفون على عملهم؟ وما موقفهم إزاء هذه العملية؟

فإذا سمحوا لهم بأداء الصلوات فلماذا ما يمنحونهم حرية أوسع ببناء المسجد مثلاً؟

لأن المعروف أنه ما تم إعطاء الرخصة لبناء المسجد حتى عام ١٩٣٠م، عندما بنى هؤلاء الملايو مسجدهم في مدينة بروم (Broome) في شمال غرب أستراليا.

لهذا كانت أستراليا نجحت في هذه الصناعة المهمة فهي أنتجت ثمانين في المائة من اللؤلؤ في العالم لتصبح أكبر دول العالم في إنتاج اللؤلؤ وركيزة قوية لهذه الصناعة.

ولكن على عكس ذلك فمع استمرار وصول المهاجرين إلى أستراليا من البلاد الآسيوية أحس الأستراليون البيض بالقلق بسبب تزايد عدد الآسيويين، فغيروا سياسة الهجرة سنة ١٩٠١م، بإقرار ما سموه بـ (أستراليا البيضاء)، وذلك برفض إعطاء

الجنسية الأسترالية لغير الأوروبيين، وتركت هذه السياسة آثاراً سلبية للآسيويين الذين استمروا واتخذوا أستراليا وطناً لهم.

من الصعب تصور ردّ الفعل عندما شرع هذا القانون في كوينزلاند وغرب أستراليا، ففي مدينة بروم (Broome) المينائية على شاطئ غرب أستراليا كانت نسبة عدد الآسيويين على الأوروبيين بمثابة ستة على واحد، فيخشى من أن يؤثر هذا على الصناعة التي بنوها والتي وصلت قمة نجاحها وعلى المدينة التي مكثوا فيها، ولإنقاذ الصناعة والمدينة من الهلاك أصروا على أن يستثنى غرب أستراليا من تشريع القانون، ونجحوا في مساعيهم، ولكن مع وجود المنافسة القوية من اليابانيين الذين دخلوا سوق العمالة اضطر الملايويون أن يغيروا الوظيفة إلى العمل في مجالات أخرى كصناعة الزوارق والطبخ وغير ذلك، ونتيجة لذلك انخفض عدد الملايو المسلمين الذين دخلوا أستراليا بشكل ملحوظ.

٣- وصول الأفغان مرافقي الإبل:

خلال الفترة التي وصل فيها الإسلام شواطئ أستراليا حصل بعض الاحتكاك مع الإسلام في المنطقة الداخلية من البلاد، وهؤلاء الذين أتوا بالإسلام إلى هذه المنطقة هم المسلمون الأفغان مرافقو الإبل أو المعروف عند الأستراليين البيض بـ(غان) ومثّل هؤلاء دول المهاجرين المسلمين الذين وصلوا أستراليا سنة ١٨٦٧م و ١٩١٠م، واستوطنوا واستقروا فيها، وكان البعير حينئذ من أهم وأنفع وسيلة للمواصلات في ظروف أستراليا القاسية.

هؤلاء الجمّالون ذوو كفاءة عالية وقد استقدمتهم حكومة بريطانيا أصلاً من ميناء كراتشي (Karachi) لأغراض الاستكشاف والمواصلات وهم من قبيلة بشتون (Pushtun) المعروفة بتمسكهم والتزامهم بالإسلام، فكانوا دائماً يلبسون ثيابهم التقليدية ويتكلمون لهجتهم المحلية (بشتو) كما أنهم دائماً يؤدون فريضة الصلاة بانتظام، وعرف الأستراليون

بأن من عادة هؤلاء أن يعيشوا فيما بينهم ويعزلوا أنفسهم عن بقية المجتمع الأسترالي، وربما لحفظ تقاليدهم وعاداتهم.

أول فوج من الإبل المستوردة مع مرافقيها وصلوا استراليا في الشتاء عام ١٨٦٠م، وكانوا أربعة وعشرين بعيراً ومعها ثلاثة مرافقين وهم دوست محمد (Dost Mahomet) وإحسان خان (Esan Khan) وكلاهما أفغانيان مسلمان، وأما الثالث فهو ساملا (Samla) وهو هندوسي، وربما من الهند، وهؤلاء الثلاثة استخدمتهم لجنة فيكتوريا للاكتشاف في بعثة (برك ويلز) (Burke and Wills) التي كانت من مهمتها هي عبور القارة الأسترالية بكاملها، تلك المهمة الجبارة المستعصية، وكل من كانوا في البعثة هلكوا ماعدا جون كينج (John King) ولعل هذا بسبب الظروف القاسية ولأن هؤلاء الثلاثة تركوا في مخيم منيندي (Meninde) حيث ما قام برعاية الإبل إلا من كان لهم خبرة محدودة في هذا المجال.

وبقي المسلمون عدة شهور في المخيم وهم يطعمون البقر التي كانت معهم وذبحوها حسب الشريعة الإسلامية عند الحاجة، وأما الهندوسي فقد ترك البعثة في مدينة ملبورن بعدما عرف بأن لحم البقر أعد للأكل لأن هذا يتناقض مع تعاليم دينه بأن البقر يعتبر حيواناً مقدساً.

ورغم المعاناة بسبب الأمراض في ذلك الوقت كالاسهال فالمسلمون كانوا أقوياء في تمسكهم بدينهم وأدوا صلواتهم اليومية بانتظام، توفي دوست محمد بعدما تشاجر الرفيقان وضرب أحدهما على أحد ذراعيه وتم دفنه على الطريقة الإسلامية، ويمكن مشاهدة قبر دوست محمد في مخيم منيدي، ولم يعرف إلى الآن أين دفن إحسان خان.

ومهما الذي حصل لهذه البعثة الأولية من المشاكل والعقبات إلا أنه ثبت من هذه التجربة مدى الاستفادة من البعير، وأكدت التجربة على أن البعير أداة المواصلات المناسبة لظروف أستراليا وبيئتها.

ففي الصيف عام ١٨٦٦م قام توماس الدير (Thomas Elder) رجل ثري من أصل سكوتلندي وهو الرائد في رعاية الغنم مع نظيره في التجارة ساموبل ستاكي (Samuel Stuckey) باستيراد مائة وأربعة وعشرين بعيراً ومعها أربعة وثلاثون مرافقاً وبدأ ببعثة شمالية من مدينة بورت أوجوستا (Port Augusta) إلى ما عرف الآن بـ- أليس بلتانا لمحطة الغنم (Elder's Beltana Sheep Station) بمنطقة (فيندس رينجس) (Flinders Ranges).

وتم بناء المستوطنة للمسلمين في هذه المحطة، كما تم أيضاً بناء مسجد صغير قرب نهر صغير بجانب هذه المستوطنة تسهيلاً لأداء الوضوء قبل الصلاة، ولم يبق إلى الآن أثر لهذا المسجد إلا أن قبور هؤلاء الجمّالين يمكن مشاهدتها لأنها تتوجه إلى جهة الشمال الغربي وهي جهة الكعبة بمكة المكرمة.

وما اعترض مرافقو الإبل مشكلة في أن يجدوا عملاً مناسباً لهم حول بيلتانا (Beltana) لأن الشركات والمصانع تطورت وفي حاجة إلى أداء المواصلات لنقل البضائع كالمفروشات والمأكولات والأدوات، وخاصة إلى المناطق التي يصعب الوصول إليها كمنطقة جديدة فتحت فيها المزارع والمناجم، وعند عودتهم أخذوا معهم الصوف والمعدن والمنتجات والخامات الأخرى، وهذه الاستكشافات الصحراوية استمرت إلى عام ١٨٧٠م.

ومع مرور عشر سنوات تالية ازدادت أهمية الإبل كأداء المواصلات واتسعت دائرات الخدمة لتشمل أجزاء أخرى من البلاد، واستجابة لهذه الطلبات المزايدة بدأ توليد ونسل الإبل في المحطات التي فتحها رعاة الإبل، وكالعادة أنه تم أيضاً بناء مسجد بسيط قرب هذه المحطة، حيث كان الجدار من الطين والسقف من الخشب والقش، ويمكن مشاهدة بقايا هذه المدينة التي عرفت بـ (مدينة غان) (Ghan Town) على امتداد سكة الحديد القديمة في أماكن وجدت فيها المياه.

وللحاجة المستمرة إلى وجود من يرعى ويرافق الإبل سافر التجار من أستراليا بشكل منتظم إلى كراتشي لاستقدام الجمالين، ولأنهم غالباً من الذكور فلم يوجد هناك أولاد، ومن عادة هؤلاء الأفغان أن لا يختلطوا مع بقية المجتمعات الاخرى فلذلك من النادر أن يحصل الزواج مع جنسية أخرى، وإذا حصل الزواج فالنساء اللواتي يتزوجن بهم معظمهن من اللواتي طرحهن مجتمعهن كالمطلقات واليتامى أو اللواتي تركهن أزواجهن، ومعظم الأولاد من هذا الزواج تربوا ونشأوا مسلمين ولكنهم ذهبوا إلى المدارس العامة الحكومية فلم يلقوا عناية كافية لتربيتهم الدينية.

وقد بنيت أيضاً مدن الأفغان على قرب من مدن الموانئ الثانية حيث إن الإبل استخدمت لنقل البضائع من هذه الموانئ الصغيرة المعزولة إلى المدن المجاورة، ومن العادة أنهم يبنوا (مكان الإبل) على الأراضي الحكومية، ويبنون جنبه مسجداً صغيراً، وعند سفرهم أخذ الجمّالون معهم السجاد وأدوا الصلوات في أماكن مفتوحة، وأحياناً تيمموا لعدم وجود الماء.

وما كان أحد من الجمالين أتى أستراليا مع زوجته أو أولاده، والشباب منهم أتوا أستراليا على أمل أن يجمعوا مبلغاً من المال يعودون به إلى بلدهم ويتزوجوا يدفعون به مهراً ونفقات الزواج، وتأسيس بيت الزواج، أما المتزوجون منهم فقد كان من آمالهم أن يجمعوا مالاً ليعودوا به إلى أهلهم، ولكن لأن أجور الجمّالين كانت مبلغاً بسيطاً جداً فمعظم الجمالين الذين جاءوا أستراليا لم يقابلوا أهلهم مرة ثانية لعدم إمكانهم على العودة إلى البلد، لذلك تزوج بعضهم بالنساء الأستراليات.

وقد وصلت مهنة العمل على الإبل قمتها عام ١٨٩٥م خاصة في مدينتي أيدلايد (Adelaide) وبرث (Perth) فكثر المسلمون الذين وفدوا إلى هاتين المدينتين واستقروا فيهما وبنوا في كل مدينة مسجداً كبيراً بالأموال التي جمعوها من الجمّالين، فالمسجد الذي بني في مدينة برث كان بفضل تبرع المسلمين السخيّين وهما فائز محمد من

مجتمع بلتانا والحاج محمد موسى خان الذي كان ضمن أول قافلة عبرت أرض أستراليا من أدلايد بجنوب أستراليا إلى كولغاردي (Coolgardie) بغرب أستراليا.

وليست الأغراض التجارية هي كل غاية الاستفادة من الإبل، فالبوليس في مدينة كولغاردي مثلاً اعتمد بشكل كليّ على الإبل للقيام بدورية في المنطقة الصحراوية الجافة والقاسية حيث إن الحصان لا يستطيع القيام بنفس المهمة لنفس الفترة.

وقبل أن يتم إيصال المياه إلى هذه المناطق الداخلية عن طريق الأنابيب كان الجمل أيضاً وسيلة وحيدة لنقل براميل من المياه إليها لسدّ حاجة السكان في هذه المنطقة.

ومع تزايد دور الإبل في المواصلات العامة ازداد عند المسلمين من الأفغان سواء من الذين أتوا مهاجرين أو من الذين ولدوا في أستراليا، وأصبحت مدينتا برث وأدلايد مركزاً لهم مع وجود المسجدين الكبيرين فيهما، ولكن بقي سؤال: لماذا إذن اختفى الإسلام بعد ذلك؟؟؟

٤- سنوات الانحطاط:

شرعت حكومة أستراليا قانون الجنسية عام ١٩٠٣م وأصبح ساري المفعول مباشرة، ونتيجة لذلك لم يستحق معظم غير الأوروبيين في أن يحصلوا على جنسية أسترالية أو إقامة دائمة، كما أنهم لم يسمحوا لهم باستحضار أهلهم وأقربائهم إلى أستراليا.

وقد دفع هذا القانون إلى ظهور التفرقة العنصرية وإلى النفور والعزلة وكذلك التفكك بين عناصر المجتمع والمبالاة، فهبطت فرص العمل بشكل ملحوظ وازداد عدد العاطلين عن العمل يوماً بعد يوم، فعاد كثير من المسلمين إلى بلادهم وتركوا أستراليا بشكل نهائي.

والمسلمون الذين قرروا أن يبقوا في أستراليا ظلوا متعاطفين ومتكاتفين ومتمسكين بدينهم أكثر من أي وقت مضى، ولعل قيام مسجد كبير في مدينة برث سنة ١٩٠٥م خير دليل على ذلك.

وإذا كان أهل الديانات المسيحية واليهودية أقامت كنائسهم وهيكلهم بمساعدة من الحكومة فالمسلمون حرموا من هذه المساعدة، بل وضع أمامهم العقبات للحصول على الرخصة لإقامة هذا المسجد، فالتفرقة العنصرية والدينية هددت مستقبل الإسلام في هذه البلد، فمنذ بداية وصول الأفغان إلى أستراليا وضع الأستراليون البيض كل الحدود للحيلولة دون وصو ل أو انتشار الإسلام إلى (الآخرين) أو لمنع غير الأوروبيين وخاصة الآسيويين والمسلمين من الحصول على الوظائف والتسهيلات التي حصل عليها وتمتع بها البيض، بل اعتبر البيض المهاجرين الآخرين (غرباء) (Foreigners).

والتفرقة القانونية والاجتماعية ظهرت جلية في مدن المناجم، فقد ضايق البيض الأفغان والهنود والأتراك حتى نزحوا إلى المدن بحثاً عن العمل الجديد، ومن ثم حل محلهم البيض، فقلة الفهم عن القوانين والأنظمة منها بسبب ضعف اللغة قد استخدمها البيض للسيطرة عليهم واستغلالهم.

والأحداث التالية أثبتت وجود هذه الأحقاد وعدم التسامح في نفوسهم التي من شأنها نشأت بسبب الجهل عن حقيقة الإسلام، وقد دفع هذا الأمر السياسيين إلى تشريع قانون آخر أكثر صرامة للتضييق على المسلمين وتحجيرهم في المجال الاقتصادي، ففي عام ١٨٩٨م، شرع برلمان غرب أستراليا قانوناً بإقصاء الأفغان من مناجم الذهب بحيلة سياسية مصطنعة، فقد ادعوا بأن المسلمين سوف يبدون الولاء والبيعة لسلطان تركيا في حالة إعلان الجهاد، وفي نفس الوقت تقدم (الاتحاد الأسترالي لنقابة موظفي الجزارين) بإثبات من البوليس بولاية نيو سوث ويلز بأن المسلمين يذبحون ذبائحهم في مزرعة خاصة للحصول على لحم الحلال حسب الشريعة الإسلامية.

هذا التشريع الجديد الذي أولد التفرقة العنصرية مع زيادة البطالة قد خلق الشدّ بين أفراد المجتمع، ففي عيد رأس السنة الجديدة ١٩١٥م هاجم رجلان- وهما يلوحان بالعلم التركي- قطار السياحة في مدينة بروكن هيل (Broken Hill) فقتل أربعة نفر من البيض نتيجة لذلك وعثر بجانب الموتى على ورقة مكتوب عليها باللغة الأردية تؤكد بأن تصرف

الرجلين تصرف شخصي، ولولا سرعة مبادرة البوليس لحرقت مستوطنة الأفغان مع العلم بأن الأفغان كانوا على جانب الشرطة بالمساعدة في القبض على الرجلين.

ففي اليوم التالي طرد كل الأفغان من المنجم استناداً إلى قانون الكومنولث للوقاية من الحرب عام ١٩١٤م (The Common wealth War Precautions Act 1914) بدعوى أن الرجلين أعلنا الجهاد ضد أستراليا، وبالأمر من المدعي العام بلّى هيوج (Billy Hughes) قبض كل من سماهم البيض بـ(شركاء الأعداء) وسجنوا مدة حالة الحرب، وزاد من حدة التوتر ما نشرته بعض وسائل الإعلام المحلية مثل مجلة (ذي بيرير ماينر) (The Barrier Miner) القائلة بأن الحادثة هي بينة على الجهاد.

وعند قرب نهاية القرن التاسع عشر اندفع المسلمون إلى ولاية فيكتوريا بعيداً من المنجم، ومن العداء والخصومة وبحثوا عملاً جديداً في هذه المنطقة الجديدة، ولضعف معرفتهم للغة الإنجليزية وقلة تجاربهم في الأعمال الأخرى مع قلة الأموال التي يملكونها كانت فرصة العمل أمامهم أيضاً ضئيلة، فكان تدريب الصقور والتصيّد بها واحداً من مجالات الأعمال القليلة المفتوحة أمامهم، ومنهم من يشتغلون بالبيع متجولين في المدن الصغيرة في المناطق النائية يعرضون آثاثات البيوت الخفيفة وبعض الحلى وغير ذلك، فالأسماء مثل غولاف دين وأمير علي ومثا بولوش أصبحت مألوفة بين السكان حول المدن الصغيرة مثل دوكي (Dookie) وبالارات (Ballarat) وشبارتون (Shepparton) وأوروا (Euroa).

ونظراً لطبيعة عملهم فهم منتشرون في أنحاء ولاية فيكتوريا ولكنهم مازالوا متمسكين بتعاليم دينهم، ففي شهر رمضان مثلاً اجتمعوا في ملبورن لأداء العبادة في هذا الشهر المبارك إلى أن يحتفلوا بعيد الفطر، فاجتمعوا بذويهم وزملائهم، ومنهم من تزوجوا بالأستراليات واعتنقت زوجاتهم الإسلام، فالأحياء مثل شمال كارلتون (Carlton) وفيتزروي (Fitzroy) أصبحت معروفة لدى الأستراليين كمنطقة تجمّع المسلمين في ملبورن.

مرحلة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية:

تغيرت سياسة أستراليا بالنسبة للهجرة بعد الحرب العالمية الثانية، فبعد سنة الأربعينات هناك اتجاه بأخذ المهاجرين من الخارج بعدد أكبر تلبية لحاجة أستراليا إلى بناء مستقبل أفضل، وأكدت الحكومة بأن وصول المهاجرين الجدد لن يكون تهديداً لفرصة عمل الأستراليين.

والاتجاه الثاني هو توسيع وتنويع مصادر المهاجرين، كيلا تكون فقط من البيض وخاصة الأنجلوسكسوني (Anglo- Saxon) ولكن كذلك لتشمل الشعوب المختلفة من آسيا وأفريقيا وكذلك لتشمل أتباع الديانات والثقافات الأخرى المختلفة، بهذا دخلت الحكومة مرحلة جديدة في تطبيق سياسة (التعددية الثقافية) (Multiculturalism).

ومما لا شك فيه أن لهذه السياسة الجديدة أثراً إيجابياً ملحوظاً في زيادة عدد المسلمين القادمين إلى أستراليا، فقد شهدت البلاد بعد تطبيق هذا القانون وصول عدد كبير من المسلمين اللاجئين من أوروبا الشرقية بسبب الحروب في هذا الجزء من العالم، فسجلت وزارة الهجرة وصول المسلمين من يوغسلافيا وبلغاريا وسبروس وبولندا والمجر والروسيا، وهم دخلوا أستراليا مع آلاف آخرين من اللاجئين حسب الاتفاق المبرم بين حكومة أستراليا وهيئة اللاجئين الدولية (International Refugee Organisation) سنة ١٩٤٧م.

وفي المرحلة التي تليها وهي ما بين ١٩٥٠ و١٩٦٠ وصل المهاجرون المسلمون من الشرق الأوسط مثل لبنان ومصر والبلاد المجاورة، فمن هنا بدأت أستراليا مرحلة جديدة من دخول الإسلام إليها، ومن هؤلاء المهاجرين الشيخ فهمي الإمام، إمام مسجد برستون بمدينة ملبورن.

ومن الذي ساعد على زيادة وصول المهاجرين المسلمين إلى أستراليا هو تيسير أنظمة وشروط الهجرة، ومن هذه التيسيرات هي رفع القيود المفروضة على المرشحين حسب نظام الهجرة ١٩٥٨م، وحسب هذا النظام لا يلزم على المرشح

للهجرة أن يجمع نقاطاً معيناً (Credit points) من نتيجة الاختبار والمقابلة الشخصية.

ولكن مع بداية السبعينات تغير النظام للمرة الثانية بالعودة إلى النظام القديم وهو فرض القيود بجمع النقط، ولكن مع عدم التفرقة العنصرية لحدّ ما، من الملاحظ أن أسباب الهجرة تختلف من شخص إلى آخر حسب الظروف الشخصية وأحوال البلاد التي يعيش فيها، هذه الأسباب قد تكون اقتصادية أو سياسية أو دينية أو غير ذلك.

فقد صرحت فضيلة أسوف (Fadhilah Esop) وهي مهاجرة مسلمة من جنوب إفريقيا: (إن الذي دفعني إلى الهجرة إلى أستراليا هو أمر سياسي، هناك مشاكل التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا، حريتنا السياسية والاقتصادية والتربوية محدودة، وأرى هنا في أستراليا أن للأطفال مستقبلاً أحسن، فقد كانت ظروفنا محدودة بسبب لون الجلد)، (من كتاب :An Australian Pilgrimage.

فالشي الإيجابي الذي أحس به الجميع هو أنها (سياسة أستراليا البيضاء) ولا شك أن لهذه السياسة أثراً إيجابياً لمستقبل الإسلام، إذ أن معظم المهاجرين المسلمين أتوا من البلاد الآسيوية والشرق الأوسط.

ففي منتصف الستينات بدأ وصول المهاجرين المسلمين إلى هذه القارة بشكل مستمر مع انخفاض عدد المهاجرين من أوروبا، فقد وقعت حكومة أستراليا اتفاقاً مع حكومة تركيا سنة ١٩٦٧م تم بموجبه إدخال المهاجرين من تركيا، وإثر هذه الاتفاقية وصل عشرة آلاف مسلم من تركيا.

وإبان الحرب سنة ١٩٦٧م بين العرب وإسرائيل، وكذلك عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان وصل ما لا يقل عن ستة عشر ألفاً ونصف ألف مهاجر مسلم من لبنان، وهاتان الطائفتان أي الأتراك واللبنانيون تمثلان حتى الآن أكثرية المسلمين الموجودين في أستراليا.

ومع استمرار وصول المهاجرين من آسيا والشرق الأوسط وأوروبا الشرقية وآسيا الوسطى ازداد عدد المسلمين في أستراليا بشكل مستمر، بل حسب إحصاء

الحكومة وصل عددهم إلى ضعفين بالمقارنة إلى عددهم في الخمسينات.

فالمظهر الإسلامي في مجتمع أستراليا أصبح شيئاً عادياً، المساجد ازدهرت والمدارس الإسلامية وحلقات الدروس والمحاضرات الدينية والمخيمات الشبابية والمحلات التجارية بالبضائع والنساء المحجبات في الشوارع والأسواق وعقود القران الإسلامية ودفن الموتى في المقابر الإسلامية والاحتفالات بالأعياد الإسلامية وغير ذلك، كل ذلك أصبح شيئاً مألوفاً جداً في المجتمع الأسترالي وأصبح جزءاً من الحياة الاجتماعية العامة في أستراليا.

وحسب الإحصاء الحكومي عام ١٩٩٣م وصل عدد المسلمين في أستراليا إلى مائتي ألف مسلم بينما أكدت تقديرات الأوساط الإسلامية في أستراليا أن عدد المسلمين في آخر عام ١٩٩٤م لا يقل عن ثلاثمائة ألف مسلم.

والمسلمون انتشروا في أنحاء مدن أستراليا معظمهم في العواصم المحلية وأكثرهم تجمّعاً يكون في مدينتي سدني وملبورن، فهناك تجمعات لجالية معينة في بعض المدن الصغيرة مثل ماربرا وتونس فيل وشبارتون وكتانينج ونيومان وبورت هيد لاند.

دوافع الهجرة:

هاجر المسلمون من بلدهم ومنهم من كانوا أقلية فيه كبلدان أوروبا الشرقية وجنوب إفريقيا وهم يعانون من الضغوط السياسية والضيق والاضطهاد وعدم الحرية في ممارستهم الدينية، ومنهم من وصلوا من بلد هم فيه أكثرية، ولكن الظروف السياسية والاقتصادية لم تكن لصالحهم ولا لصالح الإسلام، ومنهم من هربوا من ويلات الحرب وبحثوا عن أرض جديدة تضمن لهم الأمن والاستقرار، و البعض الآخر تركوا بلادهم بحثاً عن حياة أفضل أو للانضمام إلى ذويهم وأقربائهم الذين سبقوهم إلى الهجرة.ومعظم المهاجرين وجدوا أستراليا أرضاً خصبة تحمل حلمهم إلى الواقع، وجدوا فيها حرية ممارسة الأديان مع إمكانية بناء مستقبل أفضل في حياتهم المادية.

المساجد والمدارس الإسلامية:

من علامات وشعارات الحضور الإسلامي هو وجود المساجد، وكما أن للكنيسة صليباً فللمسجد عنوانه الخاص، وهو إما الهلال وإما المنارة أو كلاهما، ففي مدن أستراليا الكبيرة من السهل على الناس أن يشاهدوا هذه المناظر الإسلامية، ولكن الفرق إذا كانت المنارة للمساجد في البلاد الإسلامية يسمع منها الآذان، فالمنارة للمسجد في أستراليا تكون وظيفتها أكثر رمزاً.

وكما سبق أن ذكر فأول مسجد بني في أستراليا هو الكائن في مدينة أدلايد الذي بناه الأفغان سنة ١٨٩٠م، وأما أقدم مسجد بني في نيوسوث ويلز هو الكائن في بروكن هيل (Broken Hill) على الحدود بين ولاية نيوسوث ويلز وولاية فكتوريا حيث تم بناؤه سنة ١٨٩١م، وقد تحول هذا المسجد إلى مبنى حكومي تحت إشراف البلدية إلى أن وصل إليها أحد المسلمين من أصل إندونيسي يعمل ذابحاً في المجزر في المدينة وتقدم بخطاب إلى البلدية لترميمه وإعادة وظيفته كمسجد، وقد وافقت البلدية على ذلك وعلى إعطاء مساعدة مالية كجزء من تكاليف البناء، وتم ذلك سنة ١٩٩٧م، وقد ساعدنا بجمع التبرعات من المسلمين في سدني.

وأما أول مسجد بني في مدينة سدني فهو الموجود في حي سري هيل (Sury Hill) وقد تمت إعادة بنائه عام ١٩٦٠م بمساعدة مالية من حكومة المملكة العربية السعودية أيام المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز، عظم الله أجره، ومن ثم سمي هذه المسجد بمسجد الملك فيصل.

وأكبر المساجد في سدني هو مسجد علي بن أبي طالب في حيّ لاكمبا (Lakemba) اسسته الجالية اللبنانية تحت منظمة اسمها الجمعية الإسلامية اللبنانية، وأما أجمل هذه المساجد فهو مسجد أوبرن (Auburn) أسسته الجالية التركية في سدني الذي بدأت إعادة بنائه سنة ١٩٨٩م، وقد تم بناؤه على نحو مساجد اسطنبول بمنارته الخاصة وبزخرفته بالفنون الإسلامية

الجميلة التي تسر الناظرين واعتبر المسجد واحداً من معالم مدينة سدني.

وأما أول وأكبر مسجد بني في ولاية فكتوريا فهو مسجد عمر بن الخطاب الكائن في حي برستون (Preston) ثم الكائن في حي برود ميدوس (Broadmeadows)، وأما في كانبرا (Camnerrra) العاصمة فقد بنت ثلاث سفارات للدول الإسلامية، وهي إندونيسيا وماليزيا (ملايا سابقاً) وباكستان عام ١٩٦٠م مسجداً في الحي الدبلوماسي يرا لملا (Yarralumla) وهو الوحيد في هذه العاصمة، ولا يزال هذا المسجد إلى الآن تحت إدارة سفارات الدول الإسلامية المعتمدة لدى أستراليا.

وقد عمل كاتب هذه المقالة إماماً لمسجد كانبرا لمدة ١٣ سنة من عام ١٩٨١م إلى عام ١٩٩٤م مبعوثاً من حكومة المملكة العربية السعودية، وهناك خطوة لبناء المركز الإسلامي الثاني في المدينة، وقد خصصت الحكومة أرضاً لهذا المشروع والعمل مستمر لحمل المشروع إلى حيز الوجود.

وحسب تقرير أعدته جمعية الشرق الأوسط للبحث والإعلام (Middle East Research and Information Association) سنة ١٩٩٤م هناك سبعة وخمسون مسجداً في أستراليا، والتقدير من نفس الجمعية سنة ١٩٨٥م تؤكد بأن هناك ١١ مسجداً في ولاية نيوسوث ويلز، أما اليوم (في ديسمبر ١٩٩٨م) فهناك ٣١ مسجداً في مدينة سدني فقط.

المؤسسات والجمعيات الإسلامية:

وهذه المساجد الموجودة في أستراليا معظمها تحت إدارة جمعية أو منظمة مسئولة عن شئون المسلمين المحلية، وعن شئون المسجد بشكل خاص ما عدا المسجد في كانبرا كما سبق ذكره.

هذه المساجد منها فقط مكان للعبادة (للصلاة) وبعضها على شكل المركز الإسلامي كمكان للعبادة و لعقد أنشطة أخرى اجتماعية وتربوية ورياضية وغير ذلك، وهناك أيضاً خدمات تقدمها الجمعيات الإسلامية عن طريق هذه المراكز الإسلامية مثل تعليم الأولاد مبادئ الدين التدريب المهني وتعليم اللغة وعقد الزواج ودفن الموتى وحل المشاكل العائلية والمساعدة في الحصول على المعونة من الجهات الحكومية المختلفة كوزارة الهجرة ووزارة الضمان الاجتماعي وغير ذلك.

هذه الجمعيات الإسلامية كونت في كل ولاية مجلساً إسلامياً (Islamic Councils) يكون أعضاؤه من ممثل كل جمعية، ثم كونت هذه المجالس الإسلامية من كل ولاية مجلساً وطنياً يكون أعضاؤه ممثلاً من كل ولاية عضو هذا المجلس، وهذا المجلس الوطني سمي بالاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية (Australian Federation of Islamic Councils/ AFIC) مقره في سدني ويعقد الاجتماع العمومي لانتخاب الرئيس وأعضاء المجلس مرة كل سنتين (Middle East Research and Information Association).

كما أكد أحد المسلمين الذي هاجر من جنوب إفريقيا على أهمية الدور الذي قامت به الجمعيات الإسلامية في مساعدته في أن يعيش مسلماً في بلاد المهجر.

"العيش كمسلم في أستراليا هو في حد ذاته تحدّ ولكن الواحد يحس بوجود القوة بسبب التأييد المعنوي من المسلمين الآخرين الذين يعيشون بنفس الوضع، فالتكافل مع المسلمين والعائلات الأخرى يعطي الإحساس بأن وجودنا كمسلمين هنا إنجاز،

وأشعر بأن وجود التحديات في النواحي المعنوية يجعل الحياة مثيرة وديناميكية، إن تشكيل المجتمعات والمؤسسات الإسلامية الجديدة قد مكنّا لأن نعيش أكثر اتجاهاً إلى الإسلام" (نفس الكتاب، ص ٧١).

ومن تجارب المسلمين الذين وصلوا أستراليا يمكن الوصول إلى النتيجة بأن الاستقرار الديني يستلزم إقامة مجتمع جديد على أساس المعادلة الدينية، وكذلك يستلزم إقامة منظمة أو هيئة اجتماعية وأماكن للعبادة وللتعليم الديني، من البديهي أن هذه المساعي تحتاج إلى بذل الجهود والتعاون الوثيق بين أفراد المجتمع، ولكن لا شك أن النتيجة تعود بالنفع الكبير لبناء حياة سعيدة لكل أسرة ولاستقرارها في بلدها الجديد.

الإسلام ووسائل الإعلام:

إذا كنا سجلنا في هذه المقالة بعض النواحي الإيجابية التي عاش فيها المهاجرون فليس من الإنصاف أن نمر دون ذكر الصعوبات التي يواجهونها في حياتهم اليومية في هذه البيئة الغريبة الغير إسلامية.

فبعض المسلمين يعانون من سوء المعاملة من بعض الأفراد سواء في مقر عملهم أو دراستهم أو أماكن أخرى، الاستهزاء و السخرية أحياناً وأخرى السباب والعنف، السبب الرئيسي من هذا هو الجهل عن الإسلام وعدم الفهم عن حقيقته.

وهنا نقطة يجب الإشارة إليها وهي تأثير وسائل الإعلام في تشكيل هذا الرأي العام السلبي عن الإسلام، إن وسائل الإعلام المكتوبة منها والمسموعة و المرئية كلها تقدم ما من شأنه أن يسئ فهم الإسلام ويضلل الناس عن فهم حقيقة هذا الدين، بل أسوأ من ذلك لأنه قد يترك في النفس مشاعر البغض والكراهية، فعندما حدثت حادثة الانفجار مثلاً تسرعت إلى نشر الأنباء بأن ما حصل هو من عمل الإسلاميين، وذلك قبل ظهور أي إثبات أو دليل على ذلك، بل قبل أن تبدأ الجهات المختصة كالبوليس مثلاً بالتحقيق اللازم، وعندما ثبت خلاف ذلك لن يسمع منها أي اعتذار.

وهذه العداوة في الواقع هي امتداد لما شاهده المسلمون أيام الحروب الصليبية ثم في عصور جالي بولي (Gallipoli) وربما زاد على ذلك الأحداث الأخيرة كأمثال أزمة بترول عام ١٩٧٠م و الواقعة بين أمريكا وإيران وحرب الخليج.

ويبدو أن الإنصاف قد اختفى وراء هذه الأحداث فضلاً عن الجهل والإجحاف والتحيز الذي يكمن وراء هذا الموقف ثم تحول ذلك إلى الحقد والحسد خاصة بعدما رأوا ما حازه المسلمون من التقدم العلمي وما شاهدوه في البلاد الإسلامية من الرخاء والازدهار.

فعندما وجدوا تصرفاً شاذاً من بعض المسلمين كانفجار القنبلة مثلاً سارعوا إلى اتهام الإسلام بدين التطرف، بينما إذا حصل حادث مماثل من غير المسلمين لم يرد أي تعليق على ربط الحادث بديانة فاعله.

وهنا رأي أخر أكدت به دراسة أحد الخبراء في العلوم الاجتماعية في جامعة موئيش بملبورن وهو الدكتور جاري بوما (Dr Gary D. Bouma) أن من أسباب سوء الفهم للإسلام هو عدم تدريس ديانة الأقليات في المدارس الأسترالية، و قد أكد الباحث أن تدريس هذه المادة سوف يقلل من سوء فهم الأولاد لهذه الديانة وسوف يمهد السبيل لخلق وبناء مجتمع متعدد الثقافات (Multicultural) (من نفس الكتاب، ص٨٦).

وفهم الأستراليين لهذه الديانات أيضاً سوف يسهم بدرجة كبيرة في فهم ثقافة جيرانها آسيا والتي لها علاقة جغرافية وسياسية قوية مع أستراليا فضلاً عن وجود علاقة تجارية ناشئة ومتطورة، وعلاقتها التجارية مع دول الشرق الأوسط أيضاً تتقوى ويوماً بعد يوم، ولا شك أن فهم ديانة وثقافة سكان هذه المنطقة سيساعد على نجاح هذه المعاملات.

فمن هنا ظهرت أهمية فهم الأستراليين للإسلام أنها ليست فقط لصالح المجتمع الأسترالي داخلياً في خلق نظام (تعددية ثقافية) ولكن أيضاً تهمهم في توسيع علاقتهم الدولية ذات الطابع السياسي والاقتصادي، خاصة مع النظر إلى موقع أستراليا الجغرافي الكائن في آسيا والمحيط الهادئ.

إن الإسلام أصبح الآن جزء لا يتجزأ من الحياة الأسترالية العامة، وسوف يستمر في لعب الدور المهم في مستقبل هذا البلد، فالإسلام هنا وسوف يبقى هنا إن شاء الله لأن عدد المسلمين المتزايد يكفي لأن يكون ضماناً لبقاء الدين في هذه القارة.

الجمعيات الإسلامية والمساجد والمدارس ظهرت ونمت بسرعة، ومما ساعد على سرعة زيادة هذه المساجد هو وجود الكنائس المعروضة للبيع من وقت لآخر ومعظمها بسبب قلة عدد المستفيدين منها.

دور الأئمة والدعاة:

بعد وصول المهاجرين إلى أستراليا إبان الحرب شهدت هذه البلاد تغيراً واضحاً في حياتها الاجتماعية والدينية لأن الإسلام أصبح جزءاً من هذه الحياة الجديدة، المساجد ظهرت في معظم الأحياء والجمعيات أسست عند كل جالية وتجمع إسلامي، وفي الآونة الأخيرة بدأت المدارس الإسلامية تظهر في حيز الوجود وتأخذ دورها في الحفاظ على هذا الدين بتربية الجيل الناشئ.

وبالتالي يأخذ الأئمة والدعاة والأساتذة قسطهم في هذا الميدان الجديد وأصبحوا ركائز في مجال الدعوة والتربية، ولعدم الكفاءة المطلوبة داخلياً استقدم كثير منهم من الخارج، منهم يكون على حساب الجمعيات بالتعاون مع الاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية كما سبقت الإشارة إليه، ومنهم من أتى مبعوثاً من هيئة إسلامية في بعض الدول الإسلامية، وهناك خطوة اتخذتها الجمعية الإسلامية اللبنانية في سدني بإقامة معهد إسلامي يكون من أهدافه تخريج المؤهلين للقيام بعمل الدعوة الإسلامية أئمة أو دعاة أو مدرسين، ولا يزال العمل في مرحلة البداية.

ولعل من الضروري الإشارة إلى دور الأئمة في هذا البلد الذي يختلف عن دورهم في البلاد الإسلامية، فإذا كان دورهم في البلاد الإسلامية محدوداً في إمامة الصلاة والتعليم، فهنا يكون دورهم أوسع وأكبر من ذلك إذ أن الإمام هنا بمثابة قائد

الأمة فهو المسئول عن توجيههم وإدارة شئونهم، هنا بعض الأعمال التي يقوم بها الإمام:

- إمامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين.
- إلقاء خطب الجمعة والعيدين.
- إلقاء الدروس الأسبوعية في المسجد.
- تدريس المواد الدينية في بعض المدارس الحكومية.
- إلقاء المحاضرات في الندوات والمناسبات الدينية.
- حل المشاكل العائلية.
- عقد الزواج.
- دفن الموتى.
- زيارة المرضى في المستشفيات والسجناء في السجون.
- الاتصالات بالهيئات الحكومية.
- العناية بالدعوة إلى الأستراليين.
- العناية بالرد أو التعليق على وسائل الإعلام.

الخلاصة:

- تبين من دراسة أحوال المهاجرين المسلمين في أستراليا أن الدين عنصر أساسي في استقرار حياتهم في البلد الجديد، وأن الاعتقاد الديني والجمعيات الدينية يلعبان دوراً بارزاً في استيطان واستقرار حياة المهاجرين.

- أصبحت كلمة "الاستقرار الديني" (settle religiously) حاجة المهاجرين وخاصة للمسلمين، ولذلك فحاجته منظمة دينية واجتماعية لا يمكن أن تنفصل عن حاجته إلى حياة أفضل مادياً ومعنوياً.

- لقد تغير نظام الهجرة إلى أستراليا بعد الحرب، ونتج عن ذلك زيادة عدد المسلمين القادمين إلى هذا البلد، حسب تقرير الحكومة يمثل المسلمون الآن واحداً في المائة من عدد السكان في حين يمثل عددهم في مدينتي سدني وملبورن اثنين في المائة من سكان المدينة، في حين أكدت تقديرات الأوساط الإسلامية داخل أستراليا بأن المسلمين يمثلون على أقل اثنين في المائة من سكان أستراليا البالغ عددهم سبعة عشر مليوناً.

- إن الإسلام سوف يستمر في النمو في أستراليا وسيزداد عدد المسلمين ويرتفع كما أن تأثير الإسلام في الحياة الدينية والاجتماعية سيظل قوياً.

- قام المسجد والجمعية الإسلامية بدور مهم في استقرار حياة المسلم المهاجر.

- ومع ظهور المساجد والمدارس في أنحاء أستراليا في المدن الكبيرة والصغيرة بدأ دور الأئمة والدعاة والمدرسين يظهر إلى حيز الوجود وأصبح مجال الدعوة مفتوحاً أمام المسلمين سواء داخلياً (بين المسلمين) أو خارجياً (إلى غير المسلمين).

انتهى هذا التقرير المهم.

اليوميات الأسترالية

يوم الثلاثاء: ١٤١٩/٨/١٢هـ- ديسمبر عام ١٩٩٨م:

من الرياض إلى سنغافورة:

كنت قدمتُ للرياض أمس بعد انتهاء العمل الرسمي بعد الظهر من مكتبي في مكة المكرمة، والمرور ببيتي بالطائف لأخذ بعض الأوراق منه إلى الرياض مساء، وفي هذا الصباح أنجزت ما أريد إنجازه بالرياض، وفي الساعة الثامنة والنصف خرجت من بيتي في الرياض مع ابني المهندس المعماري ناصر، ويعمل الآن في وزارة الأشغال والإسكان، قسم الإسكان فوجدنا رفيقي في الرحلة الأخ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات في الرابطة في مطار الرياض كان قدم لتوه من جدة، حيث كان يسكن في مكة المكرمة.

وركبنا معاً طائرة الخطوط السعودية بعد أن جلسنا هنيهة في غرفة الدرجة الأولى في مطار الملك خالد الدولي في الرياض هذا المطار الجميل المنسق الذي يسير العمل فيه سيراً جميلاً أيضاً، إلا أن غرفة ركاب الدرجة الأولى فيه لا تساير ذلك فهي ضيقة ورياشها قديم، ولا تقدم شيئاً ما عدا شراباً حاراً ينحصر في القهوة والشاي وبارداً من العصير أو الأشربة الغازية، وبعض الشطائر (الساندويتش).

وهي بذلك لا تقارن بغرف الدرجة الأولى في مطارات الخليج مثل مطاري البحرين ودبي، فتلك من أفضل أنواع الغرف المشابهة في العالم، ولا نظير لها فيما أعرفه من العالم الذي عرفته حقاً إلاّ ما كان منها في جنوب شرق آسيا مثل سنغافورة وكوالالامبور.

هذا وكنا طلبنا منهم أن يرسلوا حقائبنا إلى مطار مدية (دارون) في أستراليا لأن رحلتنا إلى سنغافورة هي رحلة عبور لا يستغرق إلا عشر ساعات أو نحوها، وقد ركبنا في الدرجة الأولى على طائرة سعودية من طراز (جامبو) ٧٤٧ وأعلن المضيف أن قائد الطائرة هو سعودي اسمه (نشأت عويضة) وكبير المضيفين هو سعودي أيضاً اسمه (علي الشهري) وهذا تطور حميد في أن يتولى أبناؤنا الوظائف المهمة في رحلة طائرات السعودية بدلاً من أن يتولاها الأجانب.

امتلأت مقاعد الدرجة الأولى على رحبها بالمسافرين وأكثرهم من السعوديين الذاهبين إلى جاكرتا حيث تنتهي رحلة الطائرة بعد سنغافورة، ومن بينهم أناس من الجنس الملايوي ذاهبين إلى سنغافورة، وفي سنغافورة كما نعلم نحو من ١٨% من الملايويين، ولا نقول الماليزيين، لأن الماليزيين هم من يحملون جنسية الدولة الملايوية، سواء أكانوا من الجنس الملايوي أم لم يكونوا.

وأعلن المضيف أن السفر إلى سنغافورة سوف يستغرق سبع ساعات ونصفاً، وأقلعت الطائرة في العاشرة والربع مساءاً متأخرة ٢٥ دقيقة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو العاشرة إلاّ عشر دقائق.

وقد عرضت شاشة العرض في الطائرة شيئين مهمين أولهما بيان موقع القبلة وهذا مهم لمن لم يكن صلى العشاء أو المغرب والعشاء إن كان مسافراً، أو حتى لمجرد معرفة اتجاه الطائرة بالضبط مقارناً بموقع الكعبة المشرفة، وثانيهما: المعلومات التي تتعلق بالرحلة من الوقت المتبقي على الوصول من ناحية المسافة وسرعة الطائرة وارتفاعها والوقت في بلد المغادرة وبلد القدوم، وهذا أصبح شيئاً معتاداً الآن، ولكنه كان نادراً ومفيداً جيداً منذ سنوات.

ثم أعلن مكبر الصوت في الطائرة برنامج الرحلة والطعام الذي سيقدم فيها للدرجات الثلاث التي هي الأولى والأفق والضيافة التي هي السياحية، هكذا سمتها الخطوط السعودية درجة الضيافة.

ثم قدموا العشاء جيداً منوعاً فيه حتى البطارخ الذي هو الكافيار الأسود الغالي، وهو بيض سمك خاص يعيش في بحر الخزر المعروف الآن ببحر قزوين وكان هذا البحر تقع عليه سواحل دولتين في الماضي القريب هما إيران والاتحاد السوفيتي، و لذلك كان (الكافيار) يعرف بأنه روسي أو إيراني فقط، أما الآن ومنذ أن انفرط عقد الاتحاد السوفيتي فإن دولاً أخرى صارت لها عليه سواحل مثل أذربيجان وتركمانستان وقازاقستان.

وبعد العَشاء كانت لها تهويمات فوق سرير المقعد الذي هو المقعد أخرج من أسفله سرير إذا تأخر ظهر المقعد وهو هنا يتأخر كثيراً نام الراكب عليه كأنما هو على سرير، وكانوا أحضروا الوسائد والأغطية.

الصلاة في وقتها:

طلع الفجر علينا مبكراً لأن طائرتنا تقصده فصليناها في وقتها في المتسع الواقع بين مقاعد الدرجة الأولى في الطائرة مهتدين بموقع الكعبة من الطائرة الذي كنا نشاهده.

ثم عاودنا تهويمة من النوم خفيفة بينما كانت الشاشة تعرض شريطاً سينمائياً مطولاً لم أحفل به.

وقبل الوصول بساعتين اثنتين جاءوا بالإفطار، وهو جيد منوع وكان يقدمه مضيفا العشاء وهما شاب سعودي وفتاة أظنها إندونيسية.

مطار سنغافورة:

قبيل الوصول صارت الطائرة تطير غير بعيدة من جزيرة (بورنيو) الكبيرة التي تتقاسمها ثلاث دول، وإن لم تكن حصصها في تقاسمها متساوية، فأكبر نصيب منها لإندونيسية ويسمونها كلمنتين وهي تشتبه على بني قومنا باسم ولاية ماليزية اسمها (كلنتن) وينبغي التنبه لذلك.

وقد ذهبت إلى تلك الجزيرة من العاصمة جاكارتا إلى مدينة (بونتيانا) عاصمة كلمنتين الغربية منذ ثلاثة عشرة سنة لحضور مسابقة تلاوة القرآن الكريم التي كانت تقام هناك، وحضرها رئيس الجمهورية الجنرال محمد سوهارتو، وذكرت ذلك في كتاب: (مؤتمرات إسلامية حضرتها).

والدولة الثانية التي لها نصيب في هذه الجزيرة الكبيرة هي ماليزيا، إذ فيها ماليزيا الشرقية التي تتألف من ولايتين هما صباح وسراواك، وهما أكبر مساحة من

ماليزيا الغربية التي فيها العاصمة كوالالامبور، وفيها ولايات عديدة، وقد زرت الولايتين وكتبت عنهما ما كتبته في مؤلف عنوانه: (رحلات في بلاد الملايو).

والدولة الثالثة وهي الأصغر مساحة، والأصغر أيضاً من ناحية عدد السكان هي سلطنة بروناي التي ألفت عنها كتاباً بعنوان (زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية) طبع قبل سنوات ونفدت نسخه.

ورأينا في الجزيرة نهراً ذا شعبتين يصب في البحر، فتبدو مياهه أول الأمر حمراء باهتة قبل أن تختلط بالمياه البحرية اللازوردية الخضراء لأنه غير عميق.

ثم وصلنا إلى محاذاة ماليزيا الغربية التي فيه العاصمة كوالالامبور وهي خضراء لكن كثافة الغابة فيما نراه منها أقل من كثافة الغابات في (بورنيو) مع العلم بأن الطائرة كانت تطير فوق البحر وأننا نرى البحر على يسارنا غير بعيد.

ومن الطريف الجديد أن الموظفين رشوا أيدي ركاب الدرجة الأولى بطيب قبيل الهبوط بمثابة التوديع، وبمثابة (العود الذي ما بعده قعود) كما يقول المثل العامي.

وقد كثرت الجزر الصغيرة تجاه ساحل سنغافورة ثم اتضحت الجزيرة ولا أقول المدينة لأنها كلها تشبه أن تكون مدينة واحدة، وقد ارتفعت فيها الأبنية العالية ذات الطوابق المتعددة إلى درجة يشعر المرء بأن ذلك إسراف إلى أن يذكر أن هذه الجزيرة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها على ٦٤٨ كيلومتر مربع يسكنها قرابة خمسة ملايين من السكان.

وأذكر أن حكومة سنغافورة كانت قبل عشرين سنة قد شنَّت حملة واسعة بين السكان تدعوهم فيها إلى تقليل النسل معللة ذلك بأن الجزيرة ضيقة، ولا تحتمل المزيد من السكان، إلا أنها بعد ذلك ببضع سنين صارت تشجع النسل لأنها رأت على ضوء ازدهار الجزيرة اقتصادياً أنها لا تجد الأيدي العاملة الكافية من سكانها، ورأت أنها بحاجة إلى مزيد من السكان، لذلك انقلبت سياستها في هذا المجال رأساً على عقب.

وأخبرني بعض الإخوة من أهلها أن الحكومة صارت تشجع على زيادة السكان لهذا السبب.

ثم مرقت الطائرة من فوق الجزيرة فبدت خضراء منسقة غاية التنسيق مجملة غاية التجميل، بل إنه تنسيق يقل أن يوجد حتى في عواصم الدول الكبيرة الغنية كالولايات المتحدة وبريطانيا.

ولا شك أن السبب في ذلك هو ضيق الساحة مع الازدهار الاقتصادي، ولشيء آخر وهو كثرة المطر، لأن الجزيرة واقعة تحت خط الاستواء، وإن كانت لا تشابه المدن الأخرى الواقعة تحت خط الاستواء في العالم لأن تلك تغلب عليها عدم العناية وفي اكثر الأحيان يسودها الإهمال.

هبطت الطائرة في مطار سنغافورة ويسمونه مطار (شانقي) الدولي في الساعة الحادية عشرة والدقيقة السادسة ضحى، بتوقيت سنغافورة وهي السادسة وست دقائق فجراً بتوقيت مكة المكرمة، وأعلنوا أن درجة الحرارة في المطار هي ٢٩ درجة مئوية، وهذه درجة تكاد تكون ثابتة طول الدهر ماعدا تغيرات قليلة، لأن المنطقة استوائية ليس فيها ليل يطول ولا نهار يقصر.

وألقموها باب دهليز متحرك من لطيف ما لاحظته فيه ولم أره في غيره أنهم ركبوا فيه جهازاً لتكييف الهواء.

دخلنا مع الدهليز المتحرك إلى مطار سنغافورة الذي أعرفه جيداً، نزلت فيه مرات لا أحصي عددها وهو ممتاز في فرشه ورياشه، وأما سعته فإن هناك مطارات كثيرة هي أكبر منه ولكنها أقل منه مظهراً.

قلنا لممثل السعودية (المؤسسة) إننا سنسافر الليلة إلى داروين بعد ١٠ ساعات ونريد فندقاً نقيم فيه هذه الساعات، فأسرع ينادي موظفة مالاوية مسلمة ولو شئنا استعمال الصيغة التي يستعملونها هنا لن يكون من الملايويين لقلنا (مالية) لأنهم هكذا

يقولون (مالي) ولكنهم يميلون الياء نحو الألف- فسارت معنا حتى أنجزت لنا ذلك وقالت سوف يسلم الفندق الذي أعطيناه الأمر بأن يسكنكم أجرة (التاكسي) أيضاً.

سارت سيارة الأجرة مع شوارع معتنى بها تحت الخضرة وفي بعض الأماكن الزهور، وقد اعتنوا بتشجيرها حتى إنهم غرسوا شجرة كنت أراها كثيراً في المناطق الاستوائية يشبه شكلها شكل مروحة اليد الورقية، ولذلك تسمى المروحة.

حتى وصلنا إلى قلب المدينة المؤلف من أبنية ضخمة فيها العشرات من الفنادق الجيدة فدفع الفندق أجرة سائق السيارة ١٥ دولاراً سنغافورياً ويساوي ذلك سبعة دولارات أمريكية ونصفاً.

أما الفندق فاسمه (كراون بلازا) وهو من ذوات النجوم الخمس، فاسترحنا في الغرفة ونمنا إلى أن حان وقت صلاة العصر فصليناها مع الظهر.

وقد تعشينا في الفندق عشاءاً ممتازاً على أطعمة بحرية غالية، ومعها خضرات وطعام من طعام البحر مطهي على الطريقة الصينية مما ذكرني بالصين وأهلها.

وفي الثامنة والنصف ليلاً غادرنا الفندق عائدين إلى المطار.

قصدنا مكاتب شركة (كوانتس) الأسترالية التي سنسافر معها إلى (داروين) الأسترالية وشركة (كوانتس) هي شركة الطيران الوطنية الأسترالية التي تعمل في خارج البلاد، ولهم في الداخل عدة شركات أخرى ركبت معها جميعها.

ووجدنا أن مكاتب الترحيل للدرجة الأولى ورجال الأعمال خالية لأنها خمسة مكاتب كل مكتب عليه موظفة لذا لا زحمة فيها.

وقد واجهتنا صعوبة اضطرت الموظفة إلى سؤال من هو أكبر منها الذي كلمنا بالهاتف فذكر أن حجز أحدنا ليس مؤكداً، كما وجدوا أن سمة الدخول التي حصلنا عليها معاً من السفارة الأسترالية في الرياض لم تسجل اسمينا معاً لأن إحدى السمتين مسجلة عندهم فأخبرناهم بالأمر.

كان رفيقي يسعى في إنجاز السفر وأنا مستريح على أحد المقاعد أرقب المسافرين والمودعين الذين ضاق بهم المطار فأجد أغلبهم من الجنس الصيني الذي لا تخفى ملامحه على أحد، ولا يرى العربي فيمن يتأنقن من نسائه ما يعجبه إلا القوام غير الثقيل في بعض الأحيان، وهن أكثر تبرجاً من غيرهن، فالملابس قصيرة والعضدان بارزان.

ويلي الصينيين في الكثرة هنا كما في المدينة ذووا الملامح الملايوية، وأجمل ما في مظاهر نسائه التستر الغالب الذي أهم ما فيه اللباس السابغ الطويل والمنديل الذي يغطي أكثر رؤسهن، والجنس الثالث الهندي الذي يستوطن هذه المنطقة الملايوية بالتجنس وأقام فيها وبعض أفراده من المولودين فيها وقد ازدادت سمرته حتى غدت قاتمة، فاقت في سوادها سمرة أهله وأبناء منطقته في الهند.

وذلك لكونهم أقاموا في منطقة استوائية وهم ليسوا من الجنس الذي يكون في أجسام أهله خاصية مقاومة الاسوداد، وهو الجنس الصيني، إذ نرى الصينيين والماليزيين والإندونيسيين يعيشون تحت خط الاستواء ولا يركبهم السواد كما يفعل بالأفارقة الذين يعيشون تحت خط الاستواء وما قرب منه.

وقد لاحظت ذلك أول ما لاحظته في إفريقية، إذ العرب والهنود الذين أقاموا فيها مدداً طويلة غشيهم السواد حتى وإن لم يختلطوا مع غيرهم بالمصاهرة والزواج بخلاف أهل الصين الذين جاءوا في الوقت نفسه الذي جاء فيه العرب والهنود فإن ألوانهم لم يركبها السواد، وقادني ذلك إلى السبب الذي من أجله لم يصبح السكان منهم الذين يعيشون تحت خط الاستواء في هذه المنطقة سوداً.

وقد فسرت هذه المشكلة العويصة بنفسي حين وجدت السكان الأصلاء في البحر الكاريبي وهم الذين كانوا موجودين فيها قبل وصول الأوروبيين على عهد كريستوفر كولومبس ويسميهم الأوروبيون الهنود، والهنود الأمريكيين ليسوا سوداً

لكونهم على أصح الأقوال جاءوا من منطقة شمال القارة الآسيوية في بلاد المغول وسيبيريا التي تقطنها طائفة من ذوي الأصول المغولية، وهؤلاء مثلهم مثل الصينيين لا يؤثر الجو الاستوائي في أجسامهم بحيث يجعلها سوداء.

ونعود إلى الحشود الموجودة في المطار فنقول: إن فيهم نسبة قليلة من ذوي الأصول الأوروبية مثل الأستراليين وفيه غيرهم وهؤلاء مثلنا مسافرون عابرون.

أما بنو قومنا العرب ومن أشبههم أو جاورهم كالإيرانيين والترك فإنني لم أر منهم عدداً ذا بال.

حان الوقت بسرعة لدخول الطيارة فدخلنا إليها من إحدى البوابات الكثيرة في المطار ووجدناها من طراز بوينغ ٧٦٧، استقبلنا في درجة رجال الأعمال التي ركبنا فيها مضيفتان تخدمان ركاب هذه الدرجة، إحداهما أسترالية بيضاء تشبه العربيات الشماليات، والثانية ذات ملامح صينية أو مختلطة بالأوروبيين، ربما كان ذلك من أجل الركاب الصينيين ولكنني لم أر في درجة الأعمال أي راكب صيني، بل كل الذين ركبوا فيها معنا هم من ذوي المظاهر الأوروبية.

وجدنا شاشة العرض في الطائرة تعرض مناظر من أستراليا منها مناظر لبعض السكان الأصلاء ممن يسمون (أبورجنرز) ومناظر من حيوان أستراليا والأسماك في بحارها.

وهذا أمر جيد رأيت شركة الطيران الإفريقية المسماة (إيرافريك) وهي خاصة للأفارقة الغربيين أي الذين هم من أهل إفريقية الغربية تفعله، وهي مشتركة بين عشرة أقطار إفريقية، لذلك تعرض مناظر من الدول العشر المشتركة فيها.

من سنغافورة إلى داروين:

قبل أن تقلع الطائرة عرضوا على الشاشة فيها بياناً يوضح المعلومات المطلوبة عن الرحلة مثل المسافة التي ذكروا أنها ٣٣٣٩ كيلومتراً، والزمن وأنه أربع ساعات وخمس دقائق، كما أوضحوا الخط الذي ستسلكه الطائرة على خارطة للمنطقة، مع أن الطائرة لم تتحرك بعد، وتبين من هذه الخريطة أن موقع (داروين) هو إلى الجنوب الشرقي من سنغافورة، ولذلك يتقدم وقتها على وقت سنغافورة.

أقلعت الطائرة في العاشرة إلا الربع ليلاً متأخرة ربع ساعة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل، وبعد أن استوت في الجو جاء إلينا رجل من العاملين في الطائرة ومعه بطاقات الدخول إلى أستراليا، فصافح كل راكب وهو ينظر في ورقة فيها أسماء الركاب، ثم قدموا الطعام ومعه أنواع الشراب الثقيل لمن أراده من الركاب.

وكان عهدي بتناول الطعام قريباً، لذا لم أتناول إلا بعض المقبلات وشيئاً خفيفاً، وكانوا أوقفوا العرض على الشاشة حتى بيانات الرحلة، واكتفوا بما عرضوه عنها قبل قيام الطائرة، وذلك بأنهم قد جعلوا في كل كرسي من الكراسي شاشة تلفازية صغيرة اكتفوا بها عن عرض شريط عام.

الفضاء المظلم:

أطفأوا الأنوار كلها داخل الطائرة،و قد حاولت أن أنظر خارجها فرأيت الأ شيء إلا الظلام، حتى النجوم لا يرى المرء منها ما يراه في الخلاء إذا كان الظلام سائداً، وذلك بسب وجود الأنوار النسبية في الطائرة، وعدم شفافية الزجاج الكافية لتسرب الأنوار البعيدة خلاله إلى داخل الطائرة.

ومع ذلك تصورت أن الجو على هذا الارتفاع من الطائرة، والمراد بذلك الجو المحيط بها قد يعطي صورة، وإن لم تكن واضحة ولا كاملة عن الفضاء الكوني خارج الغلاف الجوي، وبعيداً عن وجود أشياء يمكن أن تنعكس عليها أضواء الشمس أو النجوم، فتصورته لذلك مظلماً حالك الظلام، إلى جانب كونه بارداً، قارس البرودة.

فحتى الشمس والنجوم لا تبين أضواؤها فيه لما ذكرته من عدم وجود أجرام تنعكس عليها تلك الأضواء.

وقلت في نفسي: ما أشد وحشة هذا الكون الشاسع الذي لا يعلم مداه إلا الله، بل الذي لا يزال الإنسان يبصر بالمناظير المقربة منه ما لم يكن يبصره من قبل كالبعيد، حتى ذكر الفلكيون أنهم يرون الآن عن طريق المناظير الضخمة المتطورة خارج الغلاف الجوي للأرض ما يصل مداه إلى ثلاثة عشر مليار سنة ضوئية، والسنة الضوئية هي التي يقطعها الضوء في سنة، ولتقريب ذلك نقول إنه لو فرض أن برقاً لمع في ذلك المكان البعيد، وكان من القوة بحيث يخترق حجاب المجرات والفراغات بينها وما يسمى بالثقوب السود داخل بعض المجرات فإنه سيحتاج إلى ثلاثة عشر مليار سنة حتى يصل إلينا.

وهذا بُعد سحيق لا يمكن لبرق أو نحوه أن يقطعه، ولكن الفلكيين قدروا ما أسموه نبض النجوم، وطيف النجوم فتخيلوا ذلك البعد السحيق.

وليس ذلك نهاية الكون الذي خلقه الله، ولكنه ما ذكروا أنهم وصلوا إلى معرفته بأجهزتهم التي صنعة مخلوق، فما بالك بصنع الله الذي أتقن كل شيء.

قال الله تعالى **﴿لخلقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**، ويبقى تصور مرور الإنسان في هذا الكون المظلم البارد السحيق والجواب أن ذلك غير متصور للإنسان بجسمه وطبيعة تكوينه الأرضي، ولكنه يمكن أن يقطعه بروحه إذا مات، لأنه يُحسُّ بها ما لا يحسه ببدنه، فهو لا يحتاج إلى آلة البصر لكي يبصر في ظلام الكون السحيق، كما لا يحتاج إلى أداة سمع كالتي يحتاجها في الحياة الدنيا على الأرض لأن الروح شيء آخر من أمر الله، كما قال تعالى: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** صدق الله العظيم.

هذا ولم استطع النوم في الطائرة إلا إغفاءة في آخر الوقت، وذلك أنني شربت الشاي في الليل وليس من عادتي ذلك.

فوق مطار داروين:

في الرابعة إلا الثلث بتوقيت سنغافورة كنا نصل إلى فضاء مدينة (داروين) وذلك بعد أن كان المضيفون أيقظوا الركاب بصوت هادئ من المكبر ولم يقدموا إلا شراباً لأن عهدنا بالعشاء قريب.

لم أر أنواراً ساطعة في منطقة داروين وحتى مطارها لم يكن ساطع الأنوار، ثم هبطت في المطار بسرعة وذلك في الرابعة إلا الربع بتوقيت سنغافورة، ويوافق ذلك الخامسة والربع بتوقيت داروين، فالفرق بين التوقيتين ساعة ونصف، وتقدم التوقيت هو لداروين لأنها تقع إلى الجنوب اشرقي من سنغافورة، وأعلنوا أن درجة الحرارة هي ٢٧ درجة مئوية، وهذه حرارة مرتفعة لأننا الآن وقت الفجر.

وقفت الطائرة في ساحة الوقوف رغم وجود أكمام متحركة غير كثيرة في المطار، ولم ينزل معنا في المطار إلا عدد قليل من الركاب، أما سائر الركاب فقد بقوا في الطائرة لكونهم مسافرين مع الطائرة إلى داخل القارة.

صعدنا مع درج إلى مكاتب المطار فوصلنا بسرعة إلى مكاتب الجوازات، ووجدتهم غيروا المبنى ولكنهم لم يوسعوه، أو هم فعلوا ذلك ولكنه بدا في نظري ضيقاً من واقع سعة المطارات والمرافق العامة في بلادنا بالنسبة لما كانت عليه عند زيارتي الأولى لداروين هذه قبل سبع عشرة سنة، ووجدنا عند الجوازات صفوفاً ثلاثة لطائرة كانت وصلت قبلنا، ولكن وقوف الصفوف لم يطل، إذا أنجزوها بسرعة.

كان على المكتب الذي وقفنا أمامه امرأة حازمة في منتصف العمر لم نقف عندها طويلاً وإنما نظرت في الحاسب الآلي عندها ثم ختمت على الجواز ولا شك في أنها رأت السمة فيه ولم تفعل كما فعل أهل مطار سنغافورة الذين هم أقل منهم مسئولية في هذا الخصوص.

ثم انتقلنا منها إلى منطقة الجمرك، ورايتهم يشددون التفتيش على الركاب

وكلهم من ذوي المظهر الأوروبي، أي الذين عند ضباط الجمارك، أما نحن فإن الضابط لمح جوازي (دبلوماسياً) فأفسح الطريق بسرعة ولم يسأل عن جواز مرافقي الأخ رحمة الله بن عناية الله، وربما كان تشديدهم في التفتيش من كون الركاب قادمين من سنغافورة حيث لا توجد جمارك على معظم البضائع.

ويشددون أيضاً على أشياء أخرى منها المخدرات، وقد رأيت ضابطة معها كلب من كلاب الشرطة تقوده بسلسلة وتجعله يتشمم حقائب الركاب يبحث فيها عن مخدرات، وربما عن مواد أخرى مرنوه على البحث عنها، ولم أجده عثر على شيء، لأنه لم يتوقف أمام أي حقيبة.

ومن أهم ما يبحثون عنه الأطعمة والنبات ويحرصون على عدم دخوله لئلا ينقل جراثيم وطفيليات تؤثر على النبات عندهم لأنهم في قارة منعزلة عن العالم.

وأذكر بهذه المناسبة أن بلادنا أصيبت بنكبة نتيجة لما سمي بالسوسة الحمراء وهي حشرة جاءت إلينا مع نخيل الزينة من الهند وباكستان، وصارت تدمر النخل الثمين، وما تزال الحكومة تكافحها وتعلن ذلك في الجرائد المحلية.

ورأيتهم هنا كتبوا في مدخل المطار للركاب الذين يصلون توا إعلاناً بالإنكليزية وحدها لأنها لغتهم الوطنية، (نرجو أن تعلنوا عما معكم من النبات والأطعمة ونحوها).

خرجنا إلى قاعة الترحيل في المطار ووجدنا مكتباً للسياحة حجزنا منه غرفتين في فندق في قلب مدينة داروين، ذكرت امرأة مسنة فيه أنه من ذوات النجوم الثلاث، وأنه في وسط المدينة، وأن سعر الغرفة لليلة الواحدة ٦٣ دولاراً أسترالياً ويساوي ذلك ثلاثة وأربعين دولاراً أمريكية، وهذا سعر جيد.

ثم حجزنا إلى مدينة (بروم) من مكتب في المطار على رحلة تقوم في السادسة من هذا المساء.

مدينة داروين:

تركنا المطار إلى سيارة أجرة كانت تسوقها فتاة نشطة، إذ حملت حقائبنا التي كان يرهقنا حملها ووضعتها في صندوق سيارتها.

وكانت تحمل الحقائب وهي تبتسم، وكذلك كانت تحدثنا وهي شابة ذات مظهر إنكليزي.

كانت تحدثنا طول الطريق عن المدينة وعن عملها، وكأنما كانت تعرفنا من قبل، وذكرت أن المدينة منتشرة المساكن وأنها نظيفة.

حتى وقفنا عند مدخل الفندق واسمه (بونشنا إنْ) وكانت الساعة عندما وصلناه قد بلغت السادسة، وقد أعطينا السائقة أجرتها ١٥ دولاراً أسترالياً وتساوي تسعة دولارات أمريكية ونصفاً أي نحو ٣٦ ريال سعودية.

أنزلنا الفندق في غرف في الطابق الثاني وفيه مصعد جيد والغرفة واسعة فيها مكيف يعمل مثل فندق سنغافورة إذا وضعت مفتاح الغرفة في مكان تحته، فإذا نزعت المفتاح وقف، وقد فعلوا ذلك حرصاً على ألاّ يدع النزيل مكيف الهواء يعمل وهو خارج الغرفة.

وفيها كذلك تلفاز لم نفتحه وثلاجة وأدوات صنع الشاي و القهوة معها السكر والحليب، والقهوة والشاي في أكياس صغيرة، وهذه صارت من مميزات المستعمرات الإنكليزية السابقة حافظت عليها هذه المنطقة في المحيط الهادئ وضيعها قوم آخرون، وفيها حمام خاص وسرير عريض لشخصين وثالث لشخص واحد ربما يكون ولد الزوجين، لأن الناس هنا اعتادوا على أن يسيحوا مع أسرهم وقد لاحظت ذلك في المرات السابقة في أستراليا.

يوم الخميس ١٤١٩/٨/١٤هـ ٣ ديسمبر ١٩٩٨:

صلينا الفجر ونمنا قليلاً وأجرينا اتصالات بالإخوة المسلمين عن طريق مدير مكتب الرابطة في ملبورن، وقد علم بنا أناس من أهل برزبن في شرق أستراليا، ومن أهل سيدني أكبر مدنها، فاتصلوا بنا بالهاتف وبالفاكس، إلا أننا لم نستطع أن نتصل بأهل هذه المدينة المسلمين بسرعة فكان أولئك يهاتفونهم.

مسجد داروين:

كنا قررنا أن نستريح على نومة حتى السابعة لأنه مضت لنا ليلتان في سفر في الطائرة دون نوم كافٍ، وأن نبدأ برنامجنا في داروين في الساعة التاسعة، غير أن ذلك لم يتيسر بسبب عدم وصول الإخوة إلى أن حلت الساعة الحادية عشرة فجاء إلينا الأخ الشيخ آدم كوندا إمام الجمعية الإسلامية ومرشدها وهو من فولتا العليا متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ويتسلم راتبه من تبرعات المسلمين للجمعية الإسلامية.

شارع في داروين

وكان الأخ الشيخ عبدالقدوس... من برزبن قد هاتف المسلمين هنا يخبرهم بوجودي ويطلب منهم أن يتصلوا بي بسرعة ومنهم مسلم يوناني اسمه (معمر...).

ذهبنا مع الإمام بسيارته إلى مسجد داروين الذي لم يكن قريباً من الفندق لأن الفندق في قلب المدينة التجاري، مع أن المدينة ليست كبيرة، فعدد سكانها ٨٠ ألف نسمة، إلا أنها متفرقة المنازل إلا في وسطها.

قال الإمام ونحن في طريقنا إلى المسجد: إنه يأسف لكونهم لم يخرجوا إلى المطار لاستقبالنا، وذلك نتيجة لسوء فهم موعد وصولنا، قال: وكنا خرجنا أمس في الساعة الرابعة فجراً أنا ورئيس الجمعية الإسلامية في داروين الأخ (ظل الرحمن) وكان نطق باسمه مثلما ينطق باسم (ذل الرحمن) لأنه لم يستطع إخراج الظاء أو لم نستطع نحن أن نفهم منه ذلك، وكان الذين اتصلوا بنا من برزبن وملبورن ذكروا لنا اسمه وفهمنا أنه (قل الرحمن) أي زهر الرحمن.

وهو من إخواننا أهل القارة الهندية، ظني أنه من بنغلاديش في الأصل، فأولئك الإخوة من البنغاليين سواء أكانوا في بنغلاديش أو في بنغال الغربية يسمون أولادهم بأسماء عربية ذات معنى شاعري مثل اسم وزير خارجية سابق لبنغلاديش (شمس الضحى) ومثل قمر الزمان، و(خورشيد عالم) بمعنى شمس العالم، وعندما زرت ولاية آسام في أقصى شرق الهند الشمالية كان أحد الإخوة المسلمين اسمه (فهيم الزمان) واسم والده وهو شيخ كبير قابلناه (خليق الزمان).

قال الأخ الإمام: لقد هتف بنا الأخ من ملبورن ومن سيدني بأنكم ستصلون من سنغافورة أمس الثاني من ديسمبر فخرجنا للمطار ولكنكم لم تصلوا، ولم نعرف الموعد بالضبط، فقلت له: إن الشيخ شفيق الرحمن عبدالله هتف بي من سيدني وأنا في مكتبي في مكة المكرمة وطلب مني أن أخبره بموعد وصولنا حتى يخبركم فامتنعت من ذلك، وقلت: إن وصولنا سيكون فجراً ولا نحب لهم أن يتعبوا فلا

تخبرهم بذلك، وهكذا فعلنا مع مدير مكتب الرابطة في ملبورن.

ولكنهم خرجوا جزاهم الله خيراً.

وقد اعتذر الإمام عن الأخ (ظل الرحمن) وقال: إن لديه شغلاً الآن شاغلاً ويبلغكم اعتذاره وسوف يتصل بكم بعد ذلك.

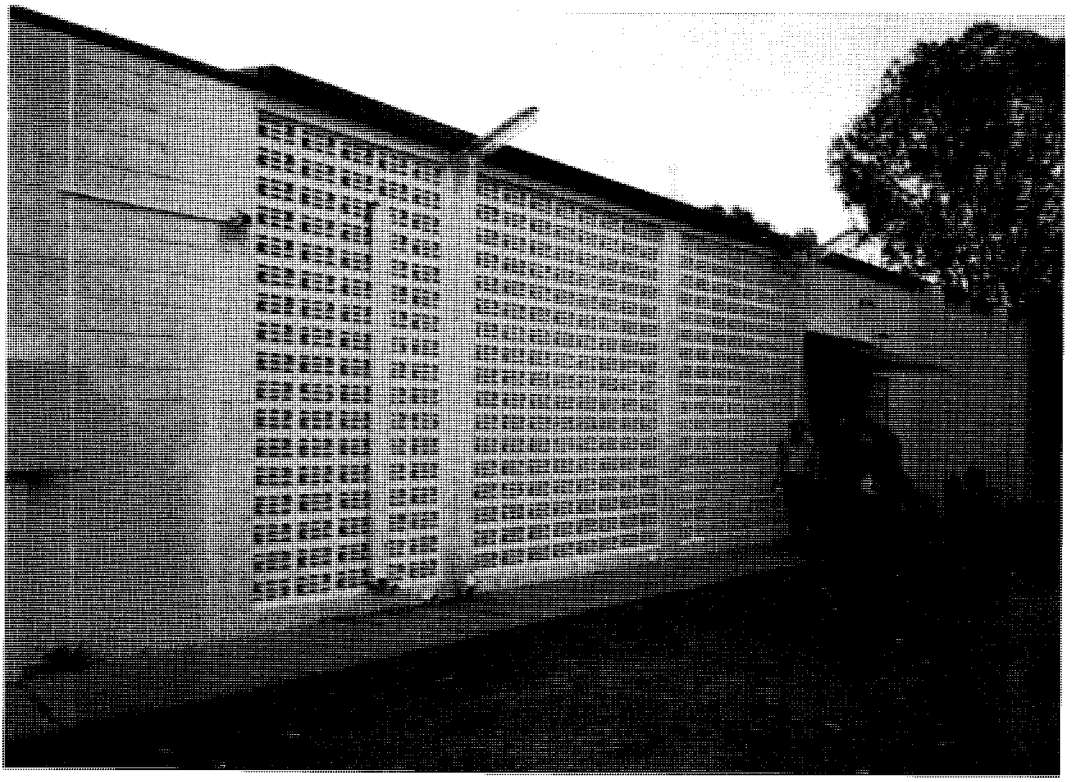

مسجد مدينة داروين

ذكريات من داروين:

استعدت في ذهني زيارة سابقة لهذه المدينة (داروين) مضت عليها ١٧ سنة ولم أر المدينة في نظري قد زاد حجمها عما كانت عليه، كما لم أرها تطورت التطور الذي نعهده في البلدان النامية، وذلك لكونها كانت في الأصل ذات مرافق معتنى بها.

كان رئيس الجمعية آنذاك الدكتور (حياة قريشي) من باكستان، وهو طبيب وامرأته طبيبة، وأخبرني الإخوة اليوم أن ابنه قد غدا طبيباً، وكان من أهم أعضائها، بل كان رئيسها في وقت من الأوقات، والأخ (محمد نور الحق) وهو مهندس زراعي من أصل بنغالي ذكر لنا الإمام أنه سيحضر عندما علم بقدومي.

ولن أسرد تلك الذكريات عن الزيارة البعيدة لداروين لأنني ذكرتها في كتاب: (وراء العمل الإسلامي في القارة الأسترالية).

رأيت شوارع المدينة كما عهدتها إلا أنني شعرت الآن أنها أضيق مما كنت أتخيله، وذلك أن مدننا في ذلك التاريخ لم تكن فيها شوارع واسعة بخلاف ما هي عليه الآن، لذلك رأينا شوارع بعض المدن الأجنبية ضيقة بالنسبة إلى شوارع مدننا.

ولكن المدينة معتنى بها من ناحية غرس الأشجار في شوارعها وهي خضراء، وإن لم تكن بالغة الخضرة، وقال الإمام: إنه رغم الخضرة هذه وكثرة الأمطار فإن الخضرات فيها غالية كالطماطم والبصل، لأنها تستورد من خارجها.

وهذا عجب من بعض المناطق الاستوائية، حيث كنت وجدت الأمر كذلك في منطقة استوائية بعيدة هي ولاية الأمازون في البرازيل حيث نهر الأمازون العظيم أكبر أنهار العالم، ومع ذلك رأيت بعيني الخضرات والفاكهة غير الاستوائية تجلب إليهم بالطائرات والسفن مع أن عاصمة الولاية وهي (ماناوس) تقع على نهر الأمازون وينزل المطر فيها كل يوم تقريباً، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (على ضفاف الأمازون) الذي طبعه النادي الأدبي في أبها في المملكة العربية السعودية، وفي كتاب: (في شمال البرازيل) الذي لا يزال مخطوطاً.

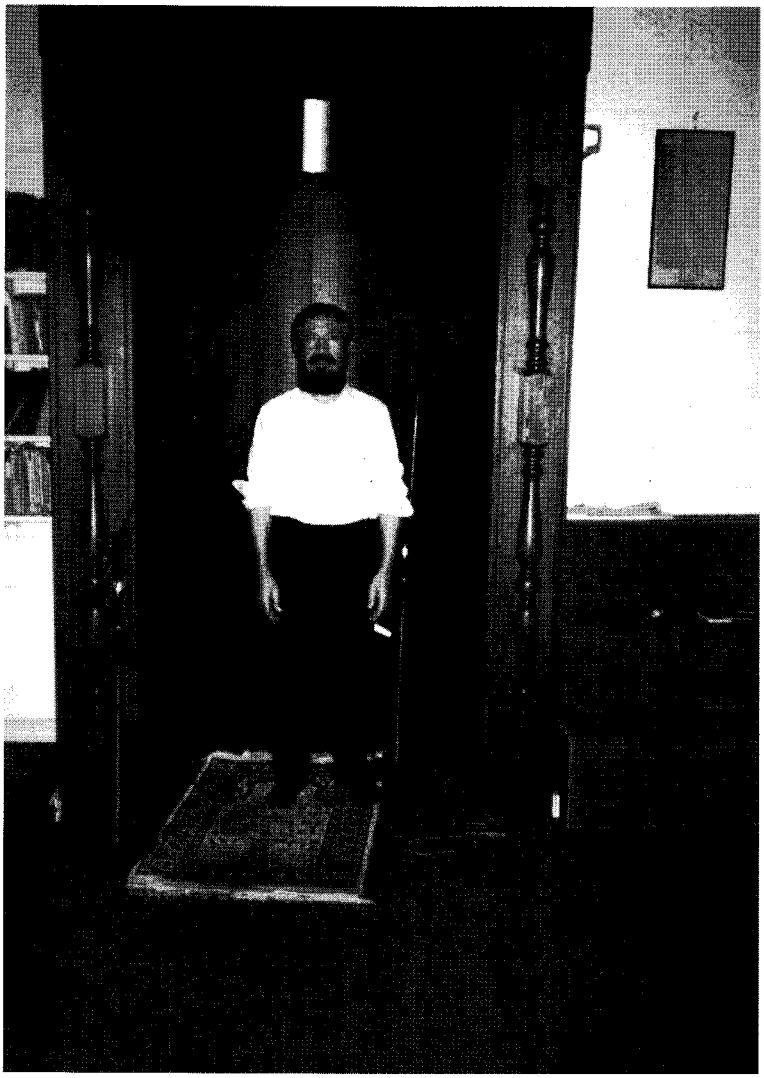

المؤلف في محراب مسجد داروين

لقد استغربت وجود الأخ آدم هارون كوندا في هذه المدينة القصية عن بلاده (فولتا العليا) التي صار اسمها (بوركينا فاسو) فقال ضاحكاً وهو شخص مرح رضيً النفس: إنني كل الفلتاويين في داروين، بل في أستراليا كلها، فلا يوجد في هذه القارة شخص آخر من فولتا العليا غيري!

فسألته عن وجود الأفارقة في هذه المدينة (داروين) فذكر أنه يوجد فيها عشرة يدرسون في جامعتها، ولكنهم كلهم مسيحيون ليس بينهم مسلم واحد، وهم من نيجيريا وغانة وتنزانيا.

وصلنا المسجد فوجدناه على حاله من دون منارة مع أنني عندما رأيته في الزيارة الأولى شجعتهم على بناء المنارة، وقلت لهم: إن وجود المنارة ليس شرطاً للمسجد، فضلاً عن أن يكون شرطاً للصلاة، ولكن وجودها يدل على وجود المسلمين في هذه البلاد، فقد أصبح رمزاً لذلك، كما أنه يدل غير المسلمين على المسجد، لذلك لابد من أن يتوجه إليه بعض من يرونه من أجل المعرفة عن الإسلام ولعلهم إذا عرفوا عنه شيئاً أن يسلموا.

وكنت في ذلك الوقت أشغل وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية) وذلك قبل أن ألتحق بالرابطة، وكانت النقود لدينا أوفر مما هي عليه الآن، ولكن الإخوة- هداهم الله- قد تهاونوا في ذلك، وربما كانوا كتبوا للرابطة ولم يعقبوا عليه.

ولكنني وجدتهم قد أضافوا إلى المسجد أبنية إضافية يحتاجون إليها من ذلك قاعة للاجتماعات وتستعمل مدرسة في بعض الأحيان أو لنقل: إنها فصل دراسي، كما تملكوا أرضاً بجانبه يريدون أن يبنوا عليها بيتاً للإمام، وذلك لكون وجوده قرب المركز مهم للعمل الإسلامي، إضافة إلى كونه يخفف عن الجمعية عبء البحث عن مال يستأجرون به بيتاً للإمام كما أخبرني بذلك بعد ذلك.

والمسجد مفروش كله بفراش نظيف وفيه رفوف مليئة بالكتب من الممكن أن تؤلف مكتبة صغيرة، وأغلبها بالإنجليزية، وهذا مهم لمن يريد أن يقرأ شيئاً عن الإسلام من أهل البلاد، أو حتى من المسلمين المهاجرين غير العرب الذين لابد لهم من أن يعرفوا الإنكليزية لكونها هي اللغة الوطنية في أستراليا، بل هي اللغة الوحيدة المستعملة من الجميع هنا.

فـــي محـراب مسجـد داروين بـين إمـــام
المسجد على يميني ومعمر.. على يساري

وبجانب المسجد قاعة واسعة للاجتماعات فيها أثاث جيد من المقاعد والكراسي المعتادة، ومنها يدخل إلى غرفة الإدارة للجمعية أرونا فيها نشرة يصدرونها كل ثلاثة أشهر متضمنة الشئون الإسلامية وأخبار المسلمين في هذه المنطقة الشمالية النائية من أستراليا.

وقد نوهوا بأنها نائية بالفعل، ولذلك لا يرغب كثير من الناس السكنى فيها، وكونها نائية واضح ليس من كونها بعيدة عن العاصمة (كانبرا) أو المدن الساحلية الجنوبية المعتدلة الهواء، بل إن هواءها مثل هواء بلدان البحر الأبيض المتوسط مثل ملبورن وسيدني، وإنما أيضاً لكونها يفصلها عن تلك الأماكن الجنوبية المعتدلة صحراء قاحلة ماحلة يصعب اختراقها إلا بالقطارات، ولذلك يعتمدون على السفر بالطائرات لهذا السبب إضافة إلى البعد الشديد.

معمر اليوناني:

صلينا في المسجد خلف الإمام صلاة الظهر وصلينا بعدها العصر جمعاً وقصراً، وبينما كنا نصلي وصل الأخ (معمر اليوناني) وهو مسلم يوناني كنا سمعنا بأخباره قبل أن نصل إلى أستراليا، وقال بعض الناس: إنه يحاول أن يكون له رأي أو تنظيم غير رأي الجمعية الإسلامية هنا، مع أنه يصلي معهم، ولكنه قد أنشأ جمعية للمسلمين اليونانيين في داروين ذكر أنها تضم عشرة أشخاص، إلا أن الإخوة المسلمين لا يرون من يصلي معهم منهم إلاّ (معمراً) نفسه.

واسم (معمر، كي، باتسالين دس) وله صلة بالليبين، ولذلك يدعونه إلى الاجتماعات التي تعقدها جمعية الدعوة الليبية في ليبيا وغيرها ويرسلون إليه التذكرة كما أخبرنا المسلمون، ومن أجل ذلك صار اسمه (معمر) على اسم الرئيس معمر القذافي، وقد سلم علينا وأعطانا بطاقته وفيها اسمه كما ذكرته وفيها بالعربية مع الإنكليزية، (الجمعية الإسلامية لليونانيين المسلمين في أستراليا).

إنه إذا كان هذا هو الواقع حرفياً فإنه يظهر السبب في عدم وجود من يصلي من المسلمين اليونانيين مع الإخوة في مسجد (داروين) لأن أولئك المسلمين ربما كانوا في ولايات أخرى، ولم يتكلم هو عن ذلك، وإنما كان ذهب ظني في أول الأمر إلى كونه من اليونانيين ذوي الأصول التركية، وهم موجودون بكثرة في بعض أنحاء اليونان، ولكنه أخبرني أنه يوناني أصيل، وليس له أصل تركي وأنه أسلم في أستراليا قبل ٧ سنين.

المسلمون في داروين:

حضر إلى المسجد الأخ (محمد نور الحق) الذي قدمت ذكره وهو من أوائل العاملين في الجمعية الإسلامية وسلَّمَ عليَّ سلام العارف، وذكر أنه يعرفني حقاً ويذكر زيارتي قبل ١٧ سنة، كما أنه رآني بعد ذلك في المملكة، وذكر أنه متقاعد الآن لأن عمره صار ٦٧ سنة إلا أنه لعلة في ركبتيه يتوكأ على عصاً.

جلسنا معهم وهم الإمام ونور الحق هكذا يدعونه اختصاراً وقالوا: هذا هو اسمه الكامل مثلما قالوا إن اسم رئيس الجمعية إنه (ظل الرحمن) وإنه اسمه الكامل مع أنه اسم له خاصة ولكنهم يكتفون بذلك، ومعهم (معمر اليوناني) وكان أول ما سألناهم عن عدد المسلمين الآن، فأجابوا بأنهم زهاء (٨٠٠) نسمة أي نحو ١٥٠ أو ١٦٠ أسرة، وقال الأخ نور الحق وهو يحمد الله تعالى ويشكره: لقد كان عدد المسلمين عندما وصلت إلى هذه المدينة في عشر الستينات يعد على أصابع اليد الواحدة، والآن بلغ ما بلغ، وقد بني المسجد عام ١٩٧١م.

والمفرح أنهم قالوا: إن عدد المسلمين يزيد الآن، وذلك لمجيء بعض الإندونيسيين، وإن كان ذلك على نطاق ضيق لكون الحكومة صارت تضيق على من يريد الهجرة، وبخاصة من البلدان النامية.

قالوا: وكانت الحكومة تتسامح في السابق مع بعض الإندونيسيين الذين يصلون إلى منطقة الساحل في داروين خلسة عن طريق البحار، أما الآن فإنها صارت لا تتسامح في ذلك بل تقبض عليهم إذا علمت بأمرهم، وتعيدهم من حيث جاءوا.

قالوا: ولم يكن ذلك لكونهم مسلمين، فهي لا تتعصب ضد المسلمين، ولكنها تفعل ذلك حتى مع المسيحيين الإندونيسيين.

وإنما زيادة المسلمين من الولادات فهم أكثر أولاداً من الأستراليين ذوي الأصول الأوروبية، إضافة إلى من يأتون بصفة رسمية، وإن كان ذلك على نطاق ضيق.

وأكثر المسلمين في داروين في الوقت الحاضر هم من الإندونيسيين، يليهم ذوو

الأصول الهندية ثم العرب ثم الأستراليون البيض من ذوي الأصول الأوروبية.

ويبلغ عددهم الآن عشرة من البيض كلهم أسلموا حديثًا ويحضرون الصلاة مع المسلمين.

وأما السكان الأصلاء الأستراليون الذين يعرفون باسم (أبورجنرز) فإنه لم يسلم منهم أحد إلا شخص واحد أمه من السكان الأستراليين الأصلاء وأبوه أوروبي.

والكلام على الأستراليين الأصلاء سيأتي فيما بعد عندما نقابل طائفة منهم بإذن الله، أما العرب فإنهم في داروين ٤ أسر، أسرة واحدة من اليمن وأخرى من الأردن، وأسرتان من العراق، قال: وكلهم يصلون معنا الجمعة، ورب الأسرة اليمنية حسن مهندس زراعي ومواظب على الصلاة في المسجد، ويحضر حتى الصلوات غير الجمعة.

مطاعم المسلمين:

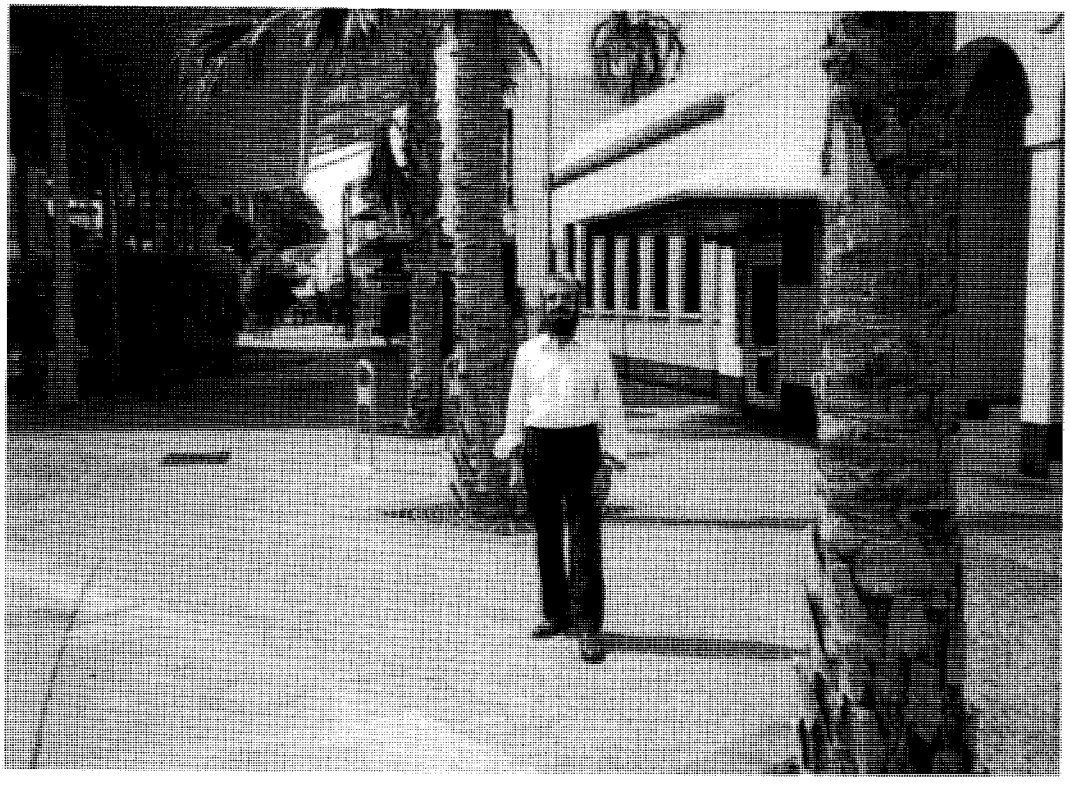

صورة للمؤلف في شارع سميث ستريت الرئيسي في داروين

أسرعنا نودع الإخوة المسلمين في المسجد لأن لنا موعداً مع جولة سياحية في مدينة (داروين) ولكن الإمام قال: إن في الوقت بقية تكفي للغداء وإن في المدينة خمسة مطاعم للمسلمين أربعة إندونيسية وواحد باكستاني، ولم نرد الباكستاني لكثرة الدسم والفلفل في طعامه، فذهبنا إلى مطعم إندونيسي قريب من فندقنا اسمه (ساري راسا) وجدنا الطعام فيه معداً مثل المطاعم الإندونيسية في بلادنا، وطلبنا صحناً مفعماً بلحم الغنم والخضروات المطبوخة المنوعة والأرز، وأكلنا ونحن ثلاثة بثلاثين دولاراً أسترالية وتساوي عشرين دولاراً أمريكية، أو ٧٥ ريالاً سعودية، ومثل هذه الأكلة بل أكثر منها في بلادنا بثلاثين ريالاً للثلاثة، وجميع الذين يعملون في المطعم من النساء الإندونيسيات، رأيت الآكلين من ذوي المظهر الأوروبي من غيرا لمسلمين ما عدا واحداً إندونيسياً سلّم على الإمام وسأله عنا فأخبره أننا سعوديون.

ويقع هذا المطعم في ركن من الشارع التجاري الرئيسي الذي بدأت فيه مثلما بدأت في الفنادق زينة عيد الميلاد، وهي المتمثلة في شجرة عيد الميلاد التقليدية المزدانة بمصابيح صغيرة ملونة، وتكون في المحلات التجارية، ومعها عقود من المصابيح الكبيرة تزين السوق.

ثم أعطانا الإخوة القائمون على الجمعية الإسلامية رسالة بالعربية ذكروا أنها تتكلم عن الجمعية الإسلامية، و تتكلم عن أحوال المسلمين في داروين وقد رأيت أن أذكر نصها لإطلاع القراء الكرام على مضمونها وعلى لغتها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الجمعية الإسلامية ترحب بإخلاص فضيلة الشيخ محمد العبودي والسيد رحمة الله.

والجمعية الإسلامية في غاية من السرور والتقدير لزيارة فضيلته لجمعيتنا الإسلامية.

سوء الحظ لم يتمكن الكثيرون من الحضور لاستقبال فضيلته وذلك بسب الانشغال وقصر مدة الإعلام.

نحييكم باسم الجمعية الإسلامية بشمال أستراليا ونحيي كل الإخوة والأخوات العاملين في رابطة العالم الإسلامي تحية حارة.

لقد استفادت المؤسسات الإسلامية حول أستراليا من الدعم الخُلقي والمادي السخي الذي قدمته مؤسستكم خلال السنين في دورها القيادي الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين وخاصة في البلدان الغير الإسلامية.

الجمعية الإسلامية بدارون يتألف من أكثر من خمسمائة مسلم من عشرين جنسيات مختلفة وبلدان مختلفة.

وعندنا مسجد عظيم والحمدلله بفضل الله والجهد الخالص العظيم من أفراد الجمعية وهذا المسجد يبعد عن أقرب مسجد إلينا حوالي ١٧٠٠ ك م في آلسبرنج.

وقد مضى على جمعيتنا الإسلامية بدارون عدة سنوات بلا إمام مناسب، حيث لم تسمح الظروف المادية استقدام أي إمام.

ومن خلال هذه المدة الطويلة لقد شجع كثير من المؤسسات منها (الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية) الجمعية الإسلامية بدارون أن يبحثوا عن إمام مناسب محلي أو من خارج البلاد، حتى يتمكن المسلمون وأطفال المسلمين في هذا المكان النائي من أستراليا أن يتعلموا دينهم ويؤدوا واجباتهم الدينية على النحو الصحيح، ويحافظوا على هويتهم الإسلامية في هذا البلد الغير إسلامي البيئة وخاصة الأطفال.

وقد وعدنا بعض المؤسسات بأنه إذا وُجد إمام مناسب للأكثرية من المسلمين في دارون سوف يساهمون ببعض المال تجاه راتب الإمام، وقد وفا الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية بهذا الوعد بعد أن درسوا الوضع بدقة، وأشارت بأن نصف تكاليف الإمام بدارون لابد أن يدبر من الجمعية وأعضاء الجمعية، ويطلبوا مساعدات من مؤسسات أخرى كذلك.

وقد قامت الجمعية الإسلامية بتقديم طلب معونة من رئيس المجلس الإقليمي للدعوة الإسلامية بشرق آسيا والمحيط في ماليزيا، وكذلك من فضيلة الشيخ محمد الجميلي سفير المملكة في كمبرا، ولكن هذه الطلبات لم توفق.

فقط منذ سنتين وجدت الجمعية إماماً مناسباً من خارج أستراليا، وهو الإمام آدم كوندا من بوركينا فاسو.

وهذا الإمام قد درس الشريعة الإسلامية في سوريا وأكمل الدراسة الجامعية في جامعة المدينة المنورة الإسلامية، وهو حافظ قرآن، وقد أدى واجباته بأكمل وجه عند جميع المسلمين في دارون.

وقد نظم لأطفال المسلمين في دارون مدرسة يومية ستة أيام أسبوعية وقد تمت صلته بالجمعية تماماً بعد زواجه من فتاة مسلمة في دارون ولها الآن ولد.

والحمدلله بمساعدة من الحكومة الأسترالية وجدت الجمعية مسكناً للإمام حيث يدفع نصف الإيجار، وكذلك وجدت الجمعية مساعدة مالية من الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية، وذلك لمدة سنة ويعتبر ذلك جزء من راتب الإمام، والمساعدة هذه لن تجاوز هذه السنة، لأن لهم مشاريع أخرى، ودَخْلهم منخفض.

وبما أننا نعلم أن الهدف من زيارة فضيلته هو لقاء المسلمين في كل الأمة الإسلامية ودراسة حاجاتهم ومشاريعهم نستغل الفرصة لإلقاء الضوء على مشاكلنا ونلفت نظر فضيلته إلى قضيتين:

الأولى: راتب لإمامنا.

والثانية: مسكن للإمام في حقل المسجد.

فنحن المسلمون بدارون نطلب مساعدتكم في هذا الأمر بشكل مبلغ سنوي (٢٥,٠٠٠) خمسة وعشرون ألف دولار لدفع راتب الإمام فقط.

ورأس مبلغ (١٥٠,٠٠٠) مائة وخمسين ألف دولار أسترالي لبناء مسكن للإمام في ساحة المسجد.

نتمنى لكم ولكل العاملين في رابطة العالم الإسلامي أكثر توفيق في خدمة الإسلام والمسلمين.

وجزاكم الله خيراً على سعيكم ودعمكم.

والسلام عليكم وبالله التوفيق والهداية.

أخوكم في الإسلام

محمد ظل الرحمن

رئيس الجمعية الإسلامية بشمال أستراليا

١٩٩٨/١٢/٢م

وذكر الإمام أن عدد الذين يصلون خلفه يوم الجمعة يتراوح بين ٤٥ و٦٠ والمغرب نحو ٢٠ كما ذكر أنهم يقيمون الصلوات كلها إلا أن الحاضرين لصلاة الظهر يكونون قلة بسبب انشغال الناس عنها بأعمالهم.

وقال الإخوة جميعاً: إن الحكومة لا تتدخل في أمور المسلمين، ولا تضايقهم مطلقاً كما أن الشعب أيضاً لا يضايق المسلمين، ولا يعتبرهم أعداء، وبالنتيجة إن التقصير إذا وجد فإنه من المسلمين أنفسهم، ومن إخوانهم المسلمين القادرين على مساعدتهم في خارج القارة الأسترالية.

هذا وقد جعل الأخ (معمر اليوناني) يسأل ويكثر من السؤال ومن ذلك قوله: لماذا لم تمنحني السفارة السعودية سمة دخول؟

فقلت له: إننا لم نتصل بها ولم نعرف عن ذلك شيئاً، ولكننا بإمكاننا أن نساعد على منحك سمة دخول للحج أو العمرة إذا أردت ذلك.

ثم كان يقول: لماذا لم تفعلوا كذا؟ ولماذا لم تبنوا للمسلمين مدرسة؟

جولة سياحية:

حان موعد الجولة السياحية في الثانية والنصف ظهراً، وهي على سيارة خاصة بدليل خاص ليس معنا غيرنا، طلبناها بوساطة الفندق، وذلك أن الجولة العامة تبدأ في التاسعة وقد فاتتنا.

المؤلف مع الدليل السياحي السائق وسيارته (رولزرويس) في ضاحية داروين

حضر الدليل وهو في الوقت نفسه السائق، وفوجئنا بأن سيارته هي (رولز رويس) الفخمة التي لا يقتنيها عندنا إلاَّ كبار الأغنياء والأمراء، وسائقها إنكليزي ضخم اسمه (نوم ويلسون) ذكر لنا بعد ذلك أنه وأباه وجده ولدوا في أستراليا، فهو أسترالي عريق فيما يعتبرونه نظراً لحداثة السكنى بأستراليا، ولكن الرجل سمح التعامل، مثل سائر سكان هذه البلاد من أصل أوروبي، لأنه ليست لديه العادات الإنكليزية المتزمتة.

ذكر لنا ونحن نتحرك بسيارته أن الفندق واقع في وسط المدينة التجاري وأن الشارع الرئيسي فيه اسمه (شارع سميث) فوقفنا فيه والتقطنا صورة تذكارية.

اسم المدينة:

وسألته عن اسم المدينة فأخبرني أنه على اسم العالم الطبيعي السيئ السمعة عندنا نحن المسلمين وهو تشارلس داروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء، ذكر أنه سمع أنه زار المنطقة وأجرى دراسات على السكان الاستراليين الأصلاء الذين يسمونه (أبورجنرز) ولذلك سموا المدينة باسمه، ولم يقتصروا على ذلك، بل اسموا حديقة طبيعية فيها على اسمه أيضاً.

ويبلغ عدد سكان المدينة ٨٠ ألف نسمة، وقد بدأت العمارة فيها عام ١٨٢٦م، وعاشت على الزراعة وتربية الحيوان والمصانع الصغيرة، وفيها عدد من المعادن مثل اليورانيوم والذهب، كما وجد الغاز والبترول في البحر القريب منها.

سكان المدينة:

منظر يمثل السكان الأستراليين الأصلاء (أبورجنرز)

يتألف سكان المدينة حسبما ذكره الدليل من ٥٠% من البيض ذوي الأصول الأوروبية الذين أغلبهم من اليونانيين وليسوا من الإنكليز كما قد يتبادر إلى الذهن من كون البلاد كانت مستعمرة بريطانية، بل هي كانت من ممتلكات بريطانيا، ومن ٢٥ % من السكان الأصلاء (أبورجنرز) ومن ٢٥% من الصينيين ومن إليهم من الماليزيين وأمثالهم الذين هم معتبرون من الداخلين في الجنس الصيني الجنوبي، وفيهم أناس من أهل تيمور الشرقية التي كانت مستعمرة هولندية، وضمت إلى إندونيسيا لكونها جزيرة إندونيسية ولكن أهلها منصرون، ففر طائفة من أهلها إلى أستراليا وسكنوا في داروين لأنهم لا يريدون الحكم الإندونيسي، وقبلتهم أستراليا

بحجة أنهم قد يعاقبون إذا أعيدوا إلى إندونيسيا، قال الدليل: أما العرب فإنه يعرف منهم ثلاث أسر أو أربعاً، رآهم يذهبون إلى السوق بملابسهم الوطنية، فإنهم لا يعرفون بطعامهم الوطني في مناسبات الوطنية ونحوها، وأما غيرهم، فإنهم يعرفون مطعمهم الوطني في المناسبات الوطنية وغيرها.

ذكر الدليل وهو يشير إلى المنازل التي تعلو المتاجر في وسط المدينة، وهو تجاري، والبيوت التي خلفها أنها بيوت تؤجر للسياح، وقد عجبت من اهتمامهم بالسياح والسياحة، وعرفت من ذلك أنها سياحة أسر و إن كانت أسرهم قليلة العدد، ولذلك يجد المرء في كل فنادق أستراليا على وجه التقريب أن يكون في الغرفة سرير مزدوج واسع وسرير غير عريض لشخص ثالث يكون في الغالب ولد الزوجين اللذين ينامان على السرير العريض.

المؤلف في قلب مدينة داروين التجاري

ثم تجولنا في وسط المدينة التجاري فمررنا بالمجلس النيابي المحلي للمنطقة، ويسميه البرلمان، ولم ينص على أنه محلي حتى سألته عن ذلك، وبمبنى المحكمة العليا.

وسألته وأنا أرى عنايتهم بتشجير الشوارع في المدينة عما إذا كان يوجد فيها نهر فذكر أنه لا نهر فيها، وإنما يشربون من سد يحجز وراءه مياه الأمطار يقع على بعد ٤٠ كيلو متراً من المدينة، وذلك لكون المياه في الآبار كثيرة ولكنها ملحة.

وقال: ذكر الخبراء أن هذا السد يكفي المدينة ٤٠ سنة.

وهذا ظاهر من كون زيادة السكان على وجه العموم ليست كبيرة، فالمدينة المعتادة التي لا تطرأ تطورات على سكانها تجعلهم يزيدون زيادة غير طبيعية كأن تكتشف فيها معادن تحتاج إلى مزيد من الأيدي العاملة لا تكون زيادة السكان فيها ظاهرة لأن المواليد عند السكان من ذوي الأصول الأوروبية قليلة، والبلاد واسعة، والعجيب أنه حتى السكان الأصلاء من الذين يسمون (أبورجنرز) لا يزيد عددهم زيادة كبيرة، كما هي عليه الحال بالنسبة إلى البلاد التي يتزايد فيها أولاد غير المتعلمين أكثر من المتعلمين، وذلك أنهم- أي السكان الأصلاء- لم يكن لديهم نظام للزواج يقدس الأسرة، وتكون فيه حقوق للزوجة والأولاد، وليست لديهم مساكن ولا يستطيعون إعالة أولاد كثيرة، إضافة إلى عدم عنايتهم بالصحة التي تنشأ عنها في الغالب زيادة النسل.

منازل شعبية:

مررنا بمنطقة على حافة الوسط التجاري بحي خارج عنه فيه منازل أكثرها من طابق واحد، وقال: هذه منازل رخيصة، وهي معتنى بها، شوارعها مظللة بالأشجار، ولها أرصفة جيدة.

ونوه بأن هذه المنطقة كانت قبل ٦٠ سنة أرضاً سبخة لا تصلح للسكن، ولكن الحكومة جعلت تأتي إليها بالرمل تستصلح أرضها، فذكرت أن الناس عندنا في مدينة بريدة

التي هي مسقط رأسي يصلحون السباخ بوضع الرمال عليها، ودفنها بها فتختفي السباخ ويصبح منظر الأرض معتاداً إلا إذا كان مستوى الماء قريباً جداً من سطح الأرض.

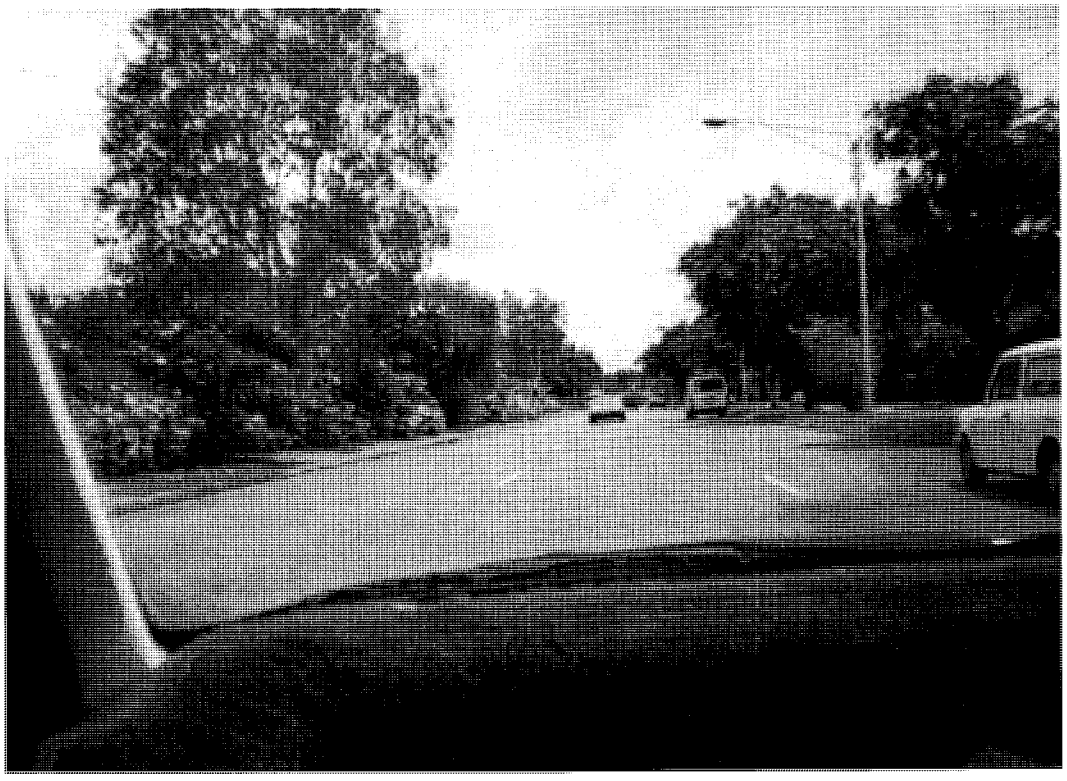

شارع رئيسي في إحدى ضواحي مدينة داروين

ومما يجدر ذكره أن مدينة (داروين) هي مدينة بحرية واقعة على ما يسمى بالمحيط الهندي مع أنه بعيد عن الهند وأهله، وإنما يصح أن يسمى بالمحيط الجنوبي، وليست المنطقة مرتفعة لذلك تكون المياه الملحة غير بعيدة من مستوى الأرض، ولولا الأمطار لكانت السباخ أكثر.

وهي منطقة شبيهة بالاستوائية، لذلك تكثر فيها الأمطار، ويكون الجو فيها حاراً رطباً طول العام، ولولا لطف الله بهم بإرسال الأمطار بكثرة لكانت الحياة لا تطاق في المناطق الاستوائية، كما كان علماءنا الأوائل قد تابعوا اليونان فقرروا أن الناس تحت خط الاستواء، لا يستطيعون أن يعيشوا العيش الطبيعي بسبب قرب الشمس منهم كما زعموا، وبعضهم قال: إن أدمعتهم تغلي من حرارة الشمس، وكل ذلك لكونهم يتخيلون أمرها تخيلاً.

حي الأغنياء:

تركنا الأحياء الشعبية التي ليس فيها ما قد تدل عليه هذه الكلمة من سوء الوضع وعدم النظافة إلى حي آخر مرتب غاية الترتيب كل المساكن فيه داخلة عن الشارع يكون ما بينها وبين الشارع مشجراً، وقال الدليل (نوم ويلسون): إن هذا حي للأغنياء لا يوجد فيه منزل قيمته أقل من مليون دولار، ومظهر هذه البيوت دون مظهر البيوت التي تباع في بلادنا بمليون ريال، ويساوي ذلك ثلاثمائة ألف دولار، على وجه التقريب، إلا فيما يتعلق بالتشجير والحدائق مع أن بيوتنا التي هي مثل هذه على هيئة دارات (فيلات) فيها حدائق في الأغلب وإن لم تكن في مثل الحدائق في هذه البيوت.

وكرر قوله: إن هذه البيوت للأغنياء وهذا ظاهر.

ورأيت في طرف هذا الحي أكواماً من الرمل فسألته عنها فذكر أن الحكومة جلبت الرمل إلى هذا الحي من أجل تحسينه ومقاومة السباخ فيه.

خليج كالين:

يقع حي الأغنياء هذا مجاوراً لخليج ضيق يسمونه خليج كالين، وفي جانب منه منطقة فنادق خاصة بالأسر مثل ما يسمى بالموتيل وهو الذي يستطيع النازل فيه أن يدخل سيارته فيجد في غرفته مطبخاً مجهزاً بأدوات المطبخ وأدواته، فيطبخ فيه ما يريد، وهذه المنازل أو الفنادق كثيرة في أستراليا، لأن سيارات الأسر عندهم

واسعة وبلادهم متسعة بحيث يرى المرء في بعض الأماكن ما هو غريب عليه وموطنه لذا يعتبر نفسه سائحاً فيها.

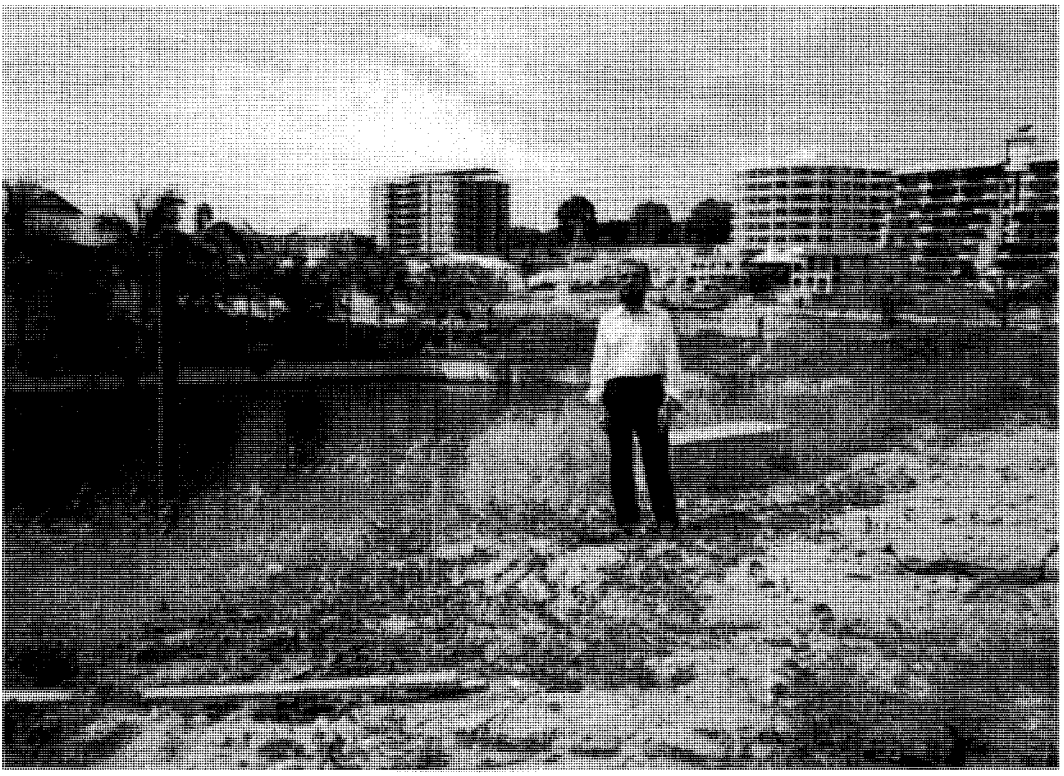

المؤلف في خليج كالين (كالين بي) قرب مدينة داروين

ومعظم هذه المنازل واقع في قرب البحر، ومررنا بميناء صغير للقوارب نوه به الدليل السائق وظني أنه لا يستحق ذلك لقلة القوارب فيه.

ثم أوقف سيارة عند مرفأ للسفن ضيق لكنه عميق، ولا ترسي فيه إلا السفن غير الكبيرة وهو صغير ولكنه لافت للنظر من كونه كأنما محفور معد لذلك.

الحي الذي هدمته الحكومة:

مررنا بأرض غير بعيدة من خليج كالين أوقف الدليل سيارته فيها وقال باهتمام: هذه الأرض كانت بيوتاً فهدمتها الحكومة ولما كان من المعروف أن حكومة أستراليا ديمقراطية ومن أحسن الحكومات الغربية للشعب وإن كانت تقع في أقصى الشرق فإنني سألته عن السبب فأجاب، لكونها محاطة بالبحر من عدة جهات وتأتيها رياح قد تهدد أمن السكان الذين يكونون فيها لأنها تهدمها.

ولكن السؤال الذي لم يجب عليه: لماذا سمحت الحكومة لأهل هذه البيوت في أول الأمر أن يبنوها؟

والدليل إنكليزي ولكنه فيما يظهر من حاله غير متعصب، وقال لنا وهو يشير إلى البحر: لقد حاول اليابانيون أن يستولوا على هذه المنطقة من أستراليا أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكنهم اصطدموا بالمقاومة من الجيش والشعب، وقتل كثير منهم.

تمساح المياه الملحة:

لم أكن أعرف قبل ذلك أن التمساح يعيش في المياه الملحة، وإنما كنا نعرف أنه يعيش في الأنهار والبحيرات العذبة، غير أنه ذكر لنا وهو يشير إلى البحر إلى وجود تماسيح كثيرة فيه، وقال: هي نوع من التماسيح معروف بأنه أسترالي، وأرانا لافتات تحذر الناس من الاقتراب من ماء البحر لأن التماسيح موجودة فيه.

المؤلف على شاطئ البحر في قرية فورت كليف قرب داروين

ولا أعرف درجة ملوحة ماء البحر هذا غير أن الأمطار الغزيرة في المناطق الاستوائية قد تخفف من ملوحة المياه البحرية الضحلة إذا كانت منقطعة عن المياه العميقة.

ومررنا بالكنغرو وهو يعيش طليقاً يمنع صيده في هذه المنطقة القريبة من المدينة، وقال: نحن نعرف أن الكنغرو أنواع عديدة منها نوع كبير طويل يبلغ طوله يريد ارتفاعه إلى صدر الرجل وجسمه ممتد أيضاً، وقال: بعض أنواع الكنغرو نحن نأكله فقلت له: إنه حلال لنا نحن المسلمين، لأنه يرعى كما ترعى الغنم والغزلان، وليس له ناب يفترس به، إلا أنه قال: إن لحم الغنم أطيب من لحمه وهو متوفر، لذا يأكل الناس لحم الغنم.

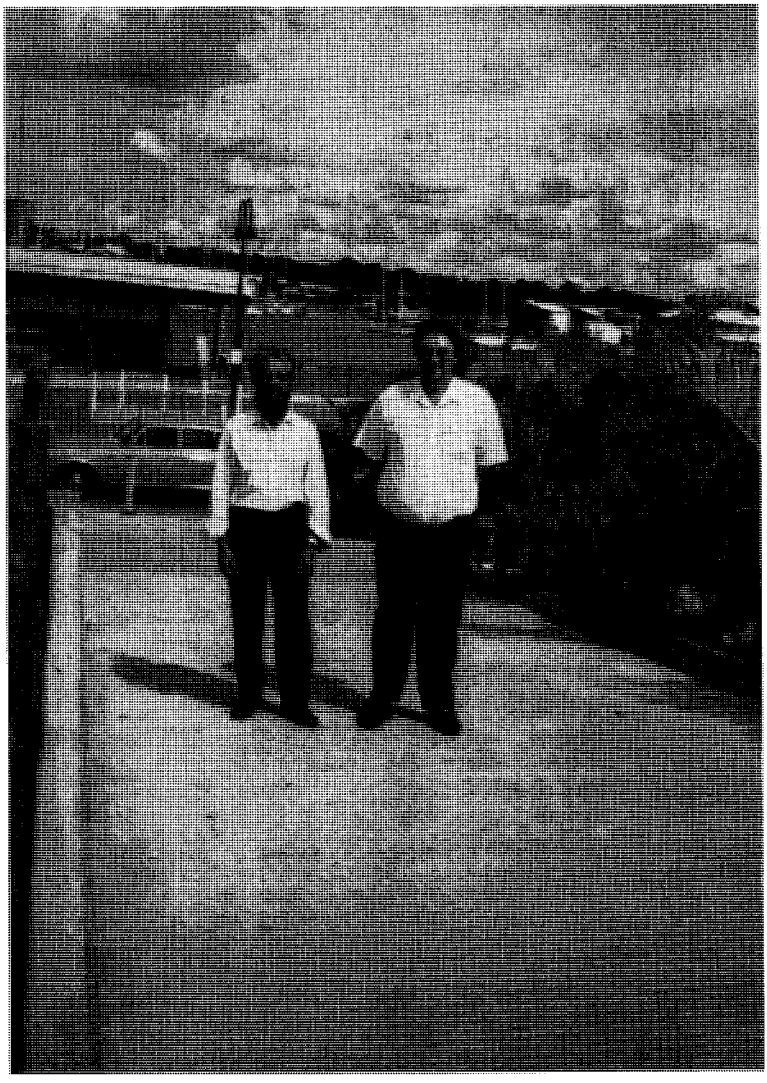

صورة مع الدليل السياحي في ميناء القوارب في مدينة داروين

وقال: لحم الكنغرو يشبه لحم الإبل، وهو أكبر من الغزال، وقال: لا يوجد لدينا في هذه المنطقة أي حيوان متوحش كالأسد والنمر إلا أنه يوجد حيوان متوحش يسمى (الدنقو) وهو يشبه الكلب المتوحش، ويفترس الكنغرو، إلا أن أعداده قليلة، وقال: المشكلة هنا في كثرة الحيات والثعابين، وبعضها شديد الخطورة.

وهنا خطرت ببالي حالة السكان الأصلاء المسمين (أبورجنرز) وهم السود الذين كانوا يوجدون في أستراليا قبل وصول الأوروبيين، فقلت له: ماذا يفعل (الأبورجنرز) في هذه الأخطار؟ فذكر أن لهم وسائلهم الخاصة، وإذا مات أحد منهم بسبب لدغة ثعبان عدوا ذلك أمراً طبيعياً.

الكنقرو واليربوع:

قلت في زيارة لي سابقة إلى أستراليا بعد أن تأملت الكنغرو على عدة حالات له: إنه يشبه تماماً اليربوع عندنا ذلك الحيوان الصحراوي الصغير الذي يشبه الفأر، بل ان بعض الناس يزعم أنه نوع من الفأر لولا قصر في يديه، وطول قليل في رجليه، فهو قصير اليدين كالكنغرو، لذا هو ينقز في سيره نقزاناً، والنقزان هو القفز الذي يشبه مشية العصفور، وذلك ما يفعله اليربوع.

لذا جاء الخيال ليقول: ألا يجوز أن تكون هناك علاقة لليربوع بالكنغرو، وأن للكنغرو علاقة باليربوع؟

بمعنى أن الكنغرو أصله يربوع نزل في قارة أستراليا المطيرة الخصبة في أطرافها فنما جسمه وكبر حجمه لهذا السبب؟

أم أن اليربوع كان أصله كبيراً كالكنغرو نزل في صحرائنا العربية القاحلة فنحل جسمه وصغر حجمه نتيجة لقلة ما يلقاه من الغذاء؟

ثم قال الخيال: ألا يجوز أن يكون هذا المقال من الجدال الذي مآله المحال؟

الكنقرو والثور الهندي:

ذكر أبوعثمان الجاحظ في كتابه الحيوان عن شيخه أبي إسحاق النظام وهو من رؤساء المعتزلة، والمعتزلة معروفون بدقة التفكير، وأبوإسحاق النظام معروف بقوته في البحث، وتحكيم العقل في ذلك أنه قال: إن الثور الهندي يخرج ولده من بطن أمه فيرضع منها، و يأكل العشب ثم يعود إلى بطنها.

وقد أعظم الجاحظ صدور هذا القول من شيخه النظام وعجب أن يصدر عنه مثله، لأنه بعيد الاحتمال، بل هو مخالف لما هو معروف عن الحيوان، يريد بذلك ما يعرفه الناس عن حال الحيوان في ذلك الوقت.

وظاهر كلام الجاحظ أن شيخه يقصد بالحمار الهندي أو الثور الهندي الكركدن الذي يعرف الآن بوحيد القرن عند عوام الكتّاب والمترجمين إلى العربية الذين أخذوا هذه التسمية له من لغة أجنبية مع أن له عدة أسماء بالعربية منها الكركدن والخرتيت، ولكن شيخه أبا إسحاق النظام هو أوسع ثقافة من أن يظن ذلك لأن الكركدن معروف أنه مثل غيره من الحيوان يلد ولده ويرضع منه مثلما تفعل الخيل والسباع والحمر الوحشية والأهلية، ولذلك جاء في ذهني أن أبا إسحاق النظام ربما كان يريد بذلك هذا الكنقرو فهو الذي تلده أمه فيرضع منها ثم يعود إلى كيس في بطنها يظن من يراه على البعد أنه عاد إلى بطنها، ثم ينزل من بطن أمه ويرعى العشب ثم يعود إلى ذلك الكيس من بطنها وهكذا، فظن من سمع كلام من يصفه أنه يريد به أنه يعود إلى بطن أمه حقيقة بحيث يدخل إلى مخرج الولد منه، وهذا غير صحيح على حين أن الأول صحيح واقع.

وهذا الافتراض أو الفهم إذا صح يدل على شيء مهم جداً، وهو أن الإنكليز ليسوا أول من عرف أستراليا من الأقوام الذين يعيشون خارجها، وإنما عرفها قبلهم أناس من سكان الجزر الإندونيسية القريبة من أستراليا فدخلوا القارة ورأوا حيوانها المميز (الكنقرو) ووصفوه، ولما لا؟ والمسافة البحرية التي تفصل القارة الأسترالية عن الجزر الإندونيسية هي قصيرة وليست محيطاً هائلاً كالذي يفصل بين أوروبا

وإفريقية من جهة وقارتي أمريكا من جهة أخرى.

ولكن البحارة الأوائل ليسوا من المستعمرين، ولا من ذوي الطموح إلى التملك لذا اعتبروها أرضاً كغيرها من الأراضي الواسعة يسكنها شعب متوحش وهي بعد ليس فيها ما يمكن أن يحصلوا منه على طائل، والله أعلم.

وهنا كان حديث الدليل وهو يسوق سيارته يصل إلى اليابانيين فيقول وهو يشير إلى منطقة قريبة من البحر: ههنا وصل اليابانيون وعسكروا، قبل أن يهزموا.

وغير بعيد من هذه المنطقة رأينا بعض حيوان الكنقرو على هيئة قطيع قليل العدد ولكنه ليس مجتمعاً كما تجتمع الغزلان مثلنا، وقد نقز عندما اقتربنا منه.

ثم رأيت أشجاراً مزدهرة من أشجار النارجيل الذي ثماره جوز الهند، وثماره من النوع الأصفر الجيد، فقلت له: لماذا لا يغرس الناس أشجار النارجيل هنا مع كونها تزدهر وتثمر؟

فذكر أن الناس لا يفضلون زراعتها، وإنما يزرعون بديلة عنها ثمار الأنبة وهي (المانقو) فهي تزدهر وتثمر ثمراً جيداً.

وقلت له وقد خطر ببالي أن هذه المنطقة الاستوائية قد تناسب السود والسمر دون البيض لأنني رأيت أهلها الأصلاء في أماكن استوائية على مدار الأرض هم من السود والسمر: ألا تحسون أن السكنى في هذه المناطق الاستوائية الحارة الرطبة ليس جيداً للصحة؟ فقال: نحن لا نحس بذلك، وقال أنا متزوج ولي ولدان، والمشكلة الصحية هنا هي في وجود بعض الملاريا نتيجة لوجود المستنقعات الكثيرة في البلاد.

السكان الأصلاء:

مررنا بمنطقة خصصتها الحكومة لسكان أستراليا القدماء المعروفين باسم (أبورجنرز) وقال السائق: نحن لا نكلمهم لأنه ليست لنا علاقة بهم، ولهم سلوكهم الخاص وأكثرهم بدون عمل، وإنما تعطيهم الحكومة معونات مالية، ولكنهم ينفقون

ذلك في شرب الخمر فهي شغلهم الشاغل، فتعطي الحكومة الشخص الواحد (٣٠٠) دولار لكل أسبوعين من أجل أن يعيشوا، لأنهم من دون ذلك تصعب عليهم الحياة، فهم لا يصبرون على العمل الذي يصبر عليه غيرهم.

وذكر أن بعضهم يعمل ولكن نسبتهم قليلة، وقال: لهم قبائل وأراض خاصة بهم لا يجوز للأبيض أن يدخلها إلا بتصريح من الحكومة، وقد فعلت الحكومة ذلك حماية لها من أن ينتزعها منهم أحد من غيرهم.

وقال: إنهم لا يرسلون أولادهم إلى المدارس.

وقال: مقتضى ثقافتهم الموروثة أن الإنسان إذا صاد ما يكفيه ليومه فإنه لا يبحث عن شيء آخر، ويظل جالساً أو نائماً يقضي وقته في شرب الخمر.

وذكر أنهم إذا جاعوا سرقوا، ولكنهم لا يسرقون إذا شبعوا.

ومررنا بمنطقة على شاطئ البحر ذكر أن اسمها (نورث كليف) أي كليف الشمالية، ولم تسترع انتباهي هذه المنطقة أول الأمر فهي معتادة إلا أنني رأيت فيها شيئاً شدني إليها شداً وهو أن السائق الدليل أشار إلى مكان فيها على شاطئ البحر محجوزاً من جهتين بسور من الأسلاك الخفيفة، و قال: هذه المنطقة خصصتها الحكومة لـ(أبورجنرز) أي للسكان الأستراليين الأصلاء.

وطلبت منه أن يدخل إليها بسرعة ورأيت مجموعتين منهم تحت ظلال الأشجار كما هي عادتهم، إلا أنه أوقف سيارته بعيداً وذهب، ومعي مرافقي في الرحلة الأستاذ (رحمةالله بن عناية الله) فطلبت منه أن يلتقط لي صورة مع شاطئ البحر وأنا لا أريد هذه الصورة، وإنما أريد أن أتقرب بها منهم واسترعي انتباههم، وقد أفاد ذلك إذ نظروا إليَّ باهتمام فقلت لهم: أنا تورست أي سائح، وهم يعرفون ذلك لأن الإنكليزية هي اللغة الوحيدة هنا، وأريد أن التقط معكم صورة تذكارية ففرحوا بذلك وأسرعت امرأة منهم تلتصق بي وأنا أحاول أن أبتعد عنها أو أفر فلا أستطيع لأن الآخرين أحاطوا بها وبي وأذكر حادثتين مشابهتين، بل ثلاثاً سوف أذكرها بعد الانتهاء من حديث هؤلاء القوم.

فقلت للأخ رحمة الله: أسرع بالتقاط الصورة لكيلا يغيروا رأيهم، وذلك أنني رأيت رجلين وامرأة منهم لم ينضموا إلينا عند التصوير وينظرون نظرات فيها بعض الريبة، والتقط الصورة وهم فرحون ولم يطلبوا مني شيئاً كما كان فعل أناس منهم في سيدني قبل خمس عشرة سنة.

ثم رأيت رجلاً يشرب جعة (بيرة) من علبة معه وامرأة بجانبه حول مائدة صنعتها الحكومة لهم فأتيت إليهم لأظهر لهم حسن نيتي وحييتهم وطلبت منهم أن ينضموا إلينا في صورة أخرى فأجابوا.

فكانت هذه الصورة التي تراها الآن.

المؤلف مع السكان الأصلاء (أبورجنرز) في ضاحية ... قرب دارون

وقد حاولت أن أبقى مدة أطول معهم غير أنني خفت على المصوِّرة (الكاميرا) وما فيها من الصور الغالية عليَّ، وإن كنت لم ألمس منهم أية معاملة خشنة، بل إنهم كانوا طبيعيين وأكثر من ذلك، وقبل أن أتركهم أعطيت رجلاً منهم خمسة دولارات أسترالية وقلت لكم جميعاً وودعتهم.

عجب السائق من هذا الود ما بيننا وبينهم، ولا شك أنه وأمثاله لا يفعلون مثلما فعلنا لأنهم ليسوا بحاجة- مثلنا- إلى أن يعرفوا عنهم بعض المعلومات.

وتمنيت أن أبقى معهم وقتاً أطول، ولكن جماعة صغيرة جاءت وهي تنظر نظرات غير مريحة فخفت من سوء الفهم.

وعندما عدت إلى سائق السيارة الأوروبي وسيارته غالية جداً لأنها (رولز رويس) أسرع يبتعد بها مع أنه كان وقف بعيداً عنهم، فقال: هؤلاء لا منازل لهم إنما ينامون على العشب وليس لهم أثاث ولا غيره، وقال: ليس (أبورجنرز) كلهم كذلك ففيهم أناس لديهم منازل، ولكن هؤلاء الذين رأيتموهم ليس لهم منازل، وإنما يعيشون هكذا، ولم أتصور قوله ذلك، فقد رأيت فقراء الهنود في بومبي ينامون في الأرصفة، ولكن يكون مع الرجل منهم وأسرته خيشة أو قطعة من الورق المقوى (الكرتون) يفرشها على الرصيف وينام فوقها.

وقلت للسائق الأبيض: إن هؤلاء عليهم ثياب نظيفة، فقال: هكذا هم يكونون في المدن، وأما في الريف والأماكن الخلوية فإنهم لا يلبسون إلا رقعة صغيرة من الجلد والقماش حول العورة الأمامية، وقال: حتى إنهم في الأماكن الباردة لا يلبسون ثياباً تقيهم البرد، وإنما ينامون تحت الأشجار طلباً للدفء.

وسألته عن ديانتهم؟ فقال: أكثرهم لهم أديان بدائية فيها آلهة متعددة، كأنما هم يعيشون في العصر الحجري.

وتركتهم مسروراً بما رأيته، عازماً على أن أذكر الإخوة الدعاة وبخاصة من يكونون منهم سمر الألوان بحيث تقرب ألوانهم من لونهم أن يتوجهوا بالدعوة إليهم لعل الله ينقذ من ينقذه منهم بسببهم، لأنهم إذا أسلموا حقيقة تركوا علة العلل عندهم، وهي إدمان شرب الخمر، وقد يحملهم ذلك على تغيير عاداتهم، ومن ثم عيشتهم معيشة طبيعية مفيدة لهم ولبلادهم، وهم قبائل قد يسلم بإسلام بعضهم إسلام آخرين.

وكنا سمعنا قبل أربع سنوات أن زعيماً من زعمائهم أسلم وأسلم معه عدد من قبيلته في منطقة (سيدني) فأرسلنا إليهم ٤ دعوات للحج على ضيافة رابطة العالم الإسلامي، ولكنهم لم يصلوا لأن سمات الدخول لم تصلهم إلا متأخرة.

وفيما يتعلق بما قلته من قبل: إنني تذكرت عندما لصقت بي هذه المرأة ذكرت ثلاث حالات مشابهة، إحداها كانت في (سيدني) بأستراليا قبل خمس عشرة سنة، وكان معي الشيخ شفيق الرحمن عبدالله فرأيت بعض هؤلاء الأستراليين الأصلاء في حانة فطلبت من رجل وامرأة وطفلين أن التقط معهم صورة تذكارية ولكن المرأة طلبت دولاراً فأعطيتها إياه، فأسرعت تضمني إلى صدرها وهي مسنة ومنفرة الصورة فأسرعت أتخلص منها.

والثانية كانت في جزر تاهيتي في أقصى جنوب المحيط الهادئ ذكرتها في كتاب"تايه في تاهيتي" فقد ركبت من عاصمتها (بابيتي) في جولة سياحية تشمل جزيرة (موريا) الواقعة إلى الشمال من بابيتي وهي جزيرة مهمة من جزرها، وبينما كنت أتجول على شاطئ البحر فيها وسط حديقة وحشية أي نامية من دون غرس قرب فندق في ظلال الأشجار وكنت وحيداً من دون أن يكون معي أي رفيق فرأيت جماعة من الشبان الفرنسيين معهم فتيات جميلات من أهل الجزيرة فطلبت أن يلتقط أحدهم لي صورة فوافق على ذلك غير أن فتاة من الجالسات أسرعت تحتضنني تريد من باب المجاملة أن أظهر لأصدقائي ومعي في الصورة فتاة جميلة من (التاهيتيات) فأسرعت

أخلص نفسي من بين يديها، وأنا أقول: إن زوجتي تغضب إذا رأت هذه الصورة.

فابتعدت عني والتقط الفتى الفرنسي الصورة، ثم عدت إليهم، وكلمتهم بما لا أدري أفهموه أم لا من الإنكليزية لأن لغتهم هي الفرنسية حيث إن تاهيتي تعتبر الآن أرضاً فرنسية خارج البحار لأنها كانت مستعمرة فرنسية صوت أهلها بالبقاء مع فرنسا قائلاً لهم جميعاً: إنني مسلم لا يجيز لي ديني أن تمسني هكذا امرأة غير زوجتي وإن هذا من محاسن الإسلام.

أما المرة الثالثة فهي أنني كنت في ولاية بارايبا في شمال البرازيل في جولة سياحية في عاصمة تلك الولاية واسمها (جوا بوسوًا) فأراني الدليل ميداناً صغيراً ولكنه مهم من قلب تلك المدينة فيه تمثال لإحدى الشخصيات التاريخية فيها، فطلبت من الدليل وهو برازيلي من أهل المدينة أن يلتقط لي صورة مع التمثال فأسرعت فتاة برازيلية جميلة عرفت أنها كانت لأحظت وجودي قبل أن أراها تحتضني، تريد أن تخرج معي في الصورة حتى يكون في ذلك- بزعمها- دعاية للمدينة، وقد تخلصت منها إلا أنها وقفت بجانب التمثال بعيداً عني.

حديقة داروين الوطنية:

وربما صحت ترجمة اسمها بأنه منتزه داروين لأنه حديقة طبيعية، بل محمية طبيعية قصد منها إبقاء حالتها على ما كانت عليه، وعدم المساس بها، وحماية ما فيها من أشجار وحيوان وحتى حشرات، واسمها (تشارلس داروين ناشنال بارك) سميت على اسم العالم الطبيعي البريطاني صاحب نظرية النشوء والارتقاء التي من أبرز ما فيها أن الإنسان قد ارتقى من قرد، ومنكراً ما في الأديان السماوية عن أصل الإنسان وهو الذي سميت مدينة داروين على اسمه.

حديقة تشارلز داروين الطبيعية خارج مدينة داروين

وهذه الحديقة الوطنية ليست على اسمها من ناحية أن تكون حافلة بالحيوان والنبات الغريب كما كان منتظراً، فأشجارها الوحشية ملتفة ولكنها ليست مظلة كما تكون عليه الحدائق الطبيعية في البلدان المطيرة، وربما كان سبب ذلك قربها من البحر، وقد لاحظت أن أشجاراً غريبة تنبت في أطراف مياه البحر التي بدت كالمستنقعات منقطعة عن سائر ماء البحر.

ولذلك لم نطل المكث فيها وإنما وقف بنا الدليل على شفير وادٍ ملتف الشجر ترى المدينة على شاطئ البحر منه بعيدة، ولكن في منظر متميز فالتقطنا صوراً من هذا

المكان، كما التقطنا صورة مع الدليل الذي بدا مثل أكثر البيض ذوي الأصول الإنكليزية من سكان البلاد هادئ الطبع، كثير المجاملة من قلبه، وليس من لسانه كما يفعل أكثر الإنكليز ويفهم الناس منهم ذلك في بلادهم، والصورة له مع سيارته التي تبين أنها ليست سيارة أجرة بل هي سيارة خاصة، والشيء الذي لاحظته أن ذلك عام في الرجال والنساء فالمعاملة في الفنادق والمطاعم وغيرها هي جيدة والمجاملة هي السائدة.

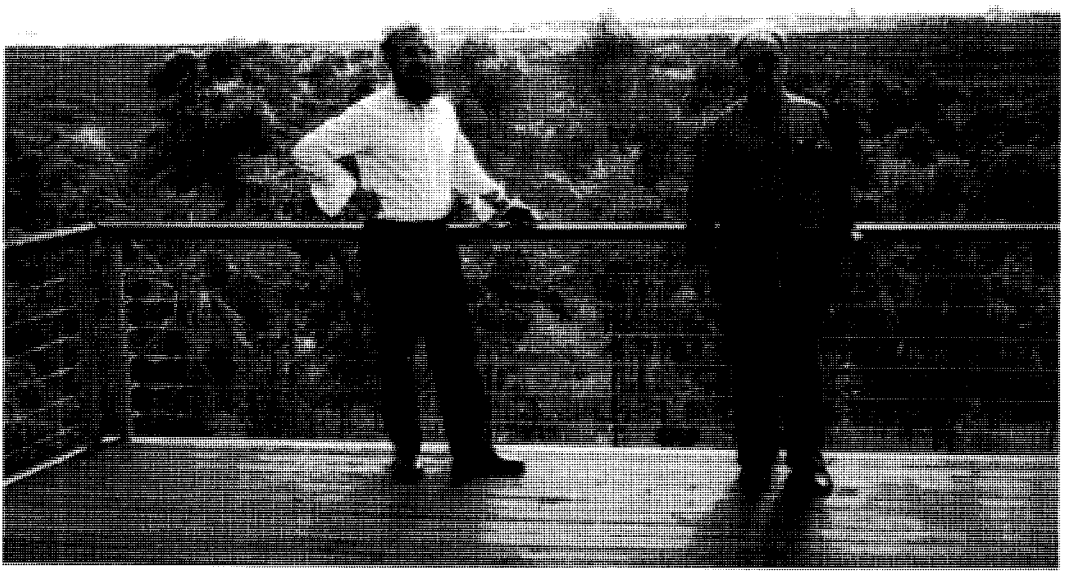

مع الأستاذ رحمة الله بن عناية الله في جانب
من حديقة تشاركز داروين الطبيعية

وبينما كنت في هذا المكان المرتفع أرعدت السماء إذ كان سحاب قريب منا لم

نشعر بتألفه لأن السماء فوقنا شامسة، فعلق الدليل على ذلك بأن السحاب في هذه المنطقة غريب لكونه يكون محدود المساحة وأشار إلى أثر السيارة قائلاً يمكن أن يصيب المطر جانبه دون الآخر، أي أن يكون حد المطر ما بين مترين إلى ثلاثة، وليس المراد بذلك أن المطر يكون ضيقاً لمثل هذه المسافة، ولكن يكون له حد معين يقف عنده، وقلت له: ربما كان ذلك من أجل أن الدهر كله فيها صيف لأنها منطقة شبيهة بالاستوائية، وعهدنا في بلادنا أن سحاب الصيف يكون ضيقاً لأنه يكون قريباً من الأرض بخلاف السحاب في الشتاء الذي يكون مرتفعاً عن الأرض أكثر من ذلك بكثير فيكون أوسع من سحاب الصيف ولذلك قالت العرب لما ينقضي بسرعة (سحابة صيف عن قليل تقشع).

فقال: ربما كان الأمر كذلك.

العودة إلى مدينة داروين:

انقضت الساعتان اللتان كنا اتفقنا مع السائق الدليل على أن تكونا مدة الجولة بسرعة وهي جولة مفيدة رغم قصرها، وذلك لكون المدينة حديثة وتاريخها ليس عريقاً، ومع ذلك اجتهد هذا الدليل فنقدناه ما طلبه من أجر لم نتفق معه عليه من قبل وإنما حدده بعد ذلك وهو (٩٠) دولاراً أسترالية ويساوي ذلك ٦٠ دولاراً أمريكية، وهو مبلغ ليس كبيراً لأنه دليل خاص على سيارة (رولز رويس) الغالية.

شارع الشاطئ في مدينة داروين

مغادرة داروين:

أعطينا الفندق الذي سكنا فيه أجرة يوم كامل مع كوننا لم نظل فيه إلا إحدى عشرة ساعة وهي ٦٣ دولاراً أسترالية للشخص الواحد، وغادرناه إلى المطار لأن موعد سفرنا من داروين قد أزف، وذلك مع سيارة الأخ الإمام هارون كوندا جزاه الله خيراً، وابلغنا أن الأخ محمد نور الحق سوف يكون في انتظارنا في المطار مع الأخ (ظل الحق) رئيس الجمعية الحالي.

ووجدنا الأخ نورا لحق في المطار بالفعل واعتذر عن عدم حضور الأخ (ظل

الحق) بأن له موعداً سابقاً محدداً مع طبيب القلب ليعالجه، ولذلك لم يستطع الحضور فجلسنا معه ومع الأخ الإمام جلسة طيبة قدم فيها الأخ نور الحق عن الجمعية الإسلامية التي كان رئيساً لها في السابق وهو الآن عضو فعال فيها طلباً بأن تتحمل رابطة العالم الإسلامي راتب الإمام لأنه يثقل كاهل الجمعية التي تريد أن تبني بيتاً للإمام على أرض تملكها الجمعية ملاصقة للمسجد، فوعدته بأننا سوف ننظر في أمر مساعدتهم على راتب الإمام إن لم يمكن صرف راتبه كاملاً من الرابطة، وأعطيناهم مبلغاً قليلاً عاجلاً يساعدهم على نفقات الكهرباء والماء للمسجد.

وفي السادسة إلاّ الربع كنا نودعهم وندخل إلى دهليز متحرك وقفت الطائرة في نهايته وهو الذي اسميه الكُمَّ في بعض الأحيان لأنه أشبه ما يكون بكم الثوب.

وفي السادسة ضبطاً وهو الموعد المحدد لإقلاع الطائرة في الأصل أقلعت إلى بوروم: وهي مدينة واقعة إلى الغرب من داروين على بعد شاسع، والحديث عنه وما بعدها في كتاب (غرب أستراليا)، ونسأل الله التيسير والتسديد.

إلى مدينة الميس اسبرنغ

إلى مدينة اليس اسبرنغ

كنا ذهبنا إلى بلدة (بروم) الواقعة في ولاية (غرب أستراليا) التي عاصمتها مدينة بيرث وإن كانت تبعد عنها كثيراً، وبلدة (بروم) أيضاً ليست في غرب أستراليا بالضبط، وإنما هي في الشمال الغربي، ولكنها تابعة للولاية الغربية، وقد زرنا بعد بلدة بروم مدينة (بيرث) عاصمة ولاية غرب أستراليا ومدناً أخرى قريبة منها في الولاية، وكتبت ذلك في كتاب: "غرب أستراليا".

ومن مدينة بيرث اتجهت رحلتنا إلى مدينة (اليس اسبرنغ) الواقعة في الولاية الشمالية الأسترالية التي عاصمتها داروين.

وهذا ما وجدته في مذكراتي عن زيارتها.

يوم الاثنين: ١٤١٩/٨/١٨هـ ١٩٩٧/١٢/٧م:

من بيرث إلى أليس اسبرنغ:

وصلنا إلى المطار الداخلي في مدينة (بيرث) وهو مطار مهم لسعة البلاد وكثرة الطائرات التي تتنقل بين بلدانها النائية.

وغادرناه متوجهين إلى مدينة (أليس اسبرنغ) في الساعة الواحدة إلاّ الربع ظهراً متأخرة عن موعدها المحدد في الأصل ١٠ دقائق وهذا لا يعد تأخيراً يستحق أن يعتذر عنه أهل الطائرة إلى الركاب.

وأعلنت المضيفة أن الطيران إلى (اليس اسبرنغ) سيستغرق ثلاث ساعات دون توقف، وهذه مساحة شاسعة تتجاوز ضعف المسافة بين جدة والرياض بنحو نصف ساعة، والطائرة تابعة لشركة (انست استراليا) التي هي شركة طيران داخلية قوية، سبق أن ركبت معها أكثر من مرة داخل المدن الأسترالية في رحلات سابقة قبل هذه الزيارة.

والمضيفات فيها ليس معهن مضيف، ومظهرهن- كالعادة- يختلف عن مظهر المضيفات في بلادنا فهن يلبسن سراويلات غليظة واسعة (بنطلونات) تصل إلى الكعبين وهي سوداء اللون فوقها قمص- جمع قميص- بيض ذوات كمين قصيرين ولا يكنّ في العادة من الشابات، وإنما هن من المتوسطات في العمر.

وذلك ما عرفناه من ركوبنا في درجة رجال الأعمال في كل الرحلات في أستراليا في هذه المرة، وليس في طائراتهم الداخلية درجة أولى، بل فيها درجة رجال الأعمال التي نسميها في بلادنا (درجة الأفق) ويسمونها (بزنس كلاس) أي درجة العمل، ويريدون بذلك أنه يركب فيها رجال المال والأعمال.

وهي درجة جيدة تعادل من حيث سعة المقاعد والطعام والخدمة الدرجة

الأولى في البلدان العربية، ماعدا سعة ما بين المقاعد في أكثر الطائرات العربية.

حلقت الطائرة مباشرة فوق ضواح من ضواحي مدينة بيرث مجملة ولكنها ليست فاخرة، وهي كسائر المدن الأسترالية منثورة نثراً، يرى المرء فيها فراغات من المنازل تشغلها الأشجار والحدائق ليس بعيداً من وسط المدينة فيظن أنها انتهت عنده، ولكنه يفاجأ بأحياء سكنية جديدة، وهكذا.

ولاحظت في ضواحي بيرث تلالاً تشبه أن تكون تلالاً رملية أي أقل ارتفاعاً من الكثبان الرملية، ولكن تركبها أشجار غير كثيفة تحتها أعشاب تخفي مظهرها الرملي المجرد.

ثم تجاوزت الضواحي إلى حدود الريف، فبدا ريفها غير مسكون، أي ليست فيه قرى كثيرة، وإنما المنازل فيه كمنازل الفلاحين أو المزارعين، وهي منازل متباعدة حتى تكون منفردة وسط مساحات واسعة من الحقول.

وأكثر هذا الريف خالٍ من الأشجار الكثيفة مما يدل على أنهم قطعوها من أجل الاستفادة من الأرض في زراعة الحقول كالقمح والشعير، وفي تربية الماشية من الأغنام والأبقار.

وبينما كنت محدقاً في الأرض تحت الطائرة مؤملاً أن أرى كيف ينقطع تأثير المحيط على الأراضي من ناحية الخصب، وإذا بسحاب ثقيل الظل على الأرض، ولكنه ثقيل أيضاً على نفسي يحول بيني وبين ما أريد رؤيته.

ثم انجلى ذلك السحاب عن أرض أقل كثافة في الأشجار، وأكثر حقولاً، وحقولها فيما يظهر من الطائرة هي حقول القمح الحصيد الذي حصدوه فبقيت منه أصول قصبه صفر تشبه الرمل الأصفر الموجود في منطقة بيرث، ولكن المرء لا يراه إلاّ إذا حفر حافر عنه وجه الأرض، أو جلب حديثاً من مكان آخر، ولم يمض عليه كثير وقت يجعل الأعشاب تنبت على وجهه.

كانت بجانبنا امرأة أصلها من سيريلنكا ولكنها أسترالية الجنسية معها طفلة ذات سنتين ونصف، انصرفت إحدى المضيفات إلى العناية بها، وملاطفتها إلى درجة

أن المضيفة جلست على أرض الطائرة، وأحضرت إليها ألعاباً وشراباً وبسكويتاً.

هذا وبينما كانت الطائرة تمعن في طيرانها جهة الشمال الشرقي حيث مدينة (أليس اسبرنغ) الواقعة في منطقة صحراوية، وإن لم تكن قاحلة تماماً مثل صحرائنا كان الجفاف تحتها قد بدأ مظهره متمثلاً في نبات جافٍ في حقول متصلة.

ثم حال بيننا وبين الأرض غيم أبيض مطبق، فارتدت أبصارنا داخل الطائرة فرأت المضيفات يسعين في إعداد الضيافة.

وكنت أنظر إلى الأرض بين لحظة وأخرى انتظر انفراج الغيم فلم ينفرج للحظة واحدة، وإنما ظل مطبقاً كأنما تعمد أن يحول بيني وبين ما أريده من رؤية الأرض.

وقد ركبني من ذلك غم عظيم وذلك بأنني أعد من اللحظات السعيدة من حياتي أن أصل إلى بلدة أو بقعة من العالم لم أزرها من قبل ومدينة (أليس اسبرنغ) من تلك البقاع التي لم تسبق لي زيارتها كما سبق.

ولذلك كنت أتعمد أن يكون مقعدي في الطائرة مما يلي النافذة.

وكانت ضيافتهم سخية فقد أخبرناهم أننا لا نريد أن يقرب طعامنا شيء فيه خنزير فذكروا أنه لا يوجد معهم خنزير الآن، إنما هو السمك والدجاج، وقد أكلنا السمك وكرهنا أكل الدجاج مما بلغنا منهم عن طريقة غير حميدة في ذبحه، بخلاف لحم الضأن والبقر فإن الذي نعرفه عنهم أنه يذبحونه بالمقصلة وهي حادة كالسكين، حتى لو فرض أن الضرب بها على أعلى العنق فأن ذلك لا يجعل الذبيحة حراماً، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكُلْ) أي فكله.

ومعنى أنهر الدم: أجراه خارجاً من أوداج الذبيحة وهي عروقها الكبيرة أشبه النهر، وكان مع الضيافة فاكهة منوعة قليلة مقشرة، وسلطة وضعت عليها خلاً أحضروه مخلوطاً ببهارات أخرى لتطييب طعمها وإزالة الوسواس من كونها لم تغسل، لأن الخل يقتل بعض الجراثيم.

وكانت معاملة المضيفات ممتازة، وذلك أمر عرفناه منهم في هذه البلاد الأسترالية ليس في داخل الطائرة عند السفر وإنما فيما قبل ذلك.

هذا وقد استمر وجود السحاب المطبق وهو الكثيف الذي ليست فيه فرجة.

مطار أليس اسبرنغ:

ذكر مكبر الصوت في الطائرة أن درجة الحرارة في مطار (أليس سبرنغ) ٣٤ درجة منوية وهي درجة جيدة في الجواء الجافة، وذلك مثل درجة الحرارة في الرياض، إذا كانت ٣٤ درجة فإن المرء لا يشكو منها حراً بخلاف ما إذا كانت هذه الدرجة في بلاد رطبة فإنها تضايق كثيراً.

وقبيل الوصول إلى المطار بنحو ربع ساعة بدأ السحاب ينفرج قليلاً، ولكن لا تزال منه بقية فرأيت الأرض لأول مرة حمراء اللون حمرة متميزة لافتة للنظر فذكرت الآية الكريمة: ﴿ **ومن الجبال جُدَد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود....**﴾ .

وجبالها منقادة، وليست تلالاً منفردة ولا جبالاً مكومة بعضها يركب بعضاً، مع وجود خضرة في الوديان التي بين الجبال مصدرها أشجار برية.

وهذه الجبال ليست عالية، وعلى سفوحها وظهور التلال المتطامنة منها أشجار برية خضر، مما نفى عنها المظهر الصحراوي الذي نعرفه في بلادنا وفي بلاد الصحارى الأخرى في العالم التي رأيتها كلها مثل الصحراء الإفريقية الكبرى وصحراء جوبي في الصين وفي منغوليا وصحراء كلاهاري في ناميبيا وبتسوانا، وذكرت ما رأيته فيها في كتبي التي ألفتها عن تلك المناطق.

ومع ذلك فإن الأرض هنا رغم وجود الأشجار البرية الخضر الكثيرة فإن المرء لا يرى فيها بساتين ولا يرى حقول القمح التي اعتاد على رؤيتها من يزور المدن الأسترالية حول القارة.

بل ليس فيها فيما يراه الناظر من الطائرة مزارع تربية الأنعام من الماشية كالأبقار والأغنام.

وحتى العمارة المعتادة هي قليلة قبل الوصول إلى المدينة.

وشيء مهم آخر وهو أنني لم أر في ريفها إلاَّ خطاً برياً واحد مزفتاً مما يدل على قلة القرى المأهولة فيما قرب من المدينة منه.

هبطت الطائرة في مطار (أليس اسبرنغ) في الخامسة إلاَّ الربع بعد أن مضت ثلاث ساعات مستمرة من الطيران، بدون زيادة أو نقص.

ولم أر فيما حول المطار عمارة من بيوت للسكنى، أو مزارع ظاهرة لتربية الأنعام، وإنما حول مدارج المطار أعشاب برية ذات أوراق دقيقة تشبه النَّصيَّ أو السبط الذي ينبت عندنا في فصل الصيف الذي يسمى الآن عند عوام الكتَّاب بالربيع وهو الذي يقع بين الشتاء والقيظ، وتكون أوراقه أشبه بالأغصان الدقيقة الخالية من الأوراق.

وخلف هذه الأعشاب أعشاب برية أخرى غريبة عليَّ وليست في المنطقة أشجار لاطئة على الأرض، وهي القصيرة جداً التي لا تكاد ترتفع عن الأرض كما يكون عندنا مثل الرمث والعجرم والهَرم.

وقفت الطائرة في باحة المطار، ونزلنا من درج ألصقوه بها فسرنا مع ممر مبلط بالأسمنت، وما بين ساحة الوقوف ومبنى المطار وما حوله يبدو أرضاً معتادة.

وتحيط بهذا الممر أعشاب برية نامية مثلما تكون عليه أعشاب الربيع في بلادنا إذا جادها مطر كثير.

ثم وصلنا المبنى فوجدناه جيداً وإن لم يكن واسعاً، ووجدنا عند مدخله الأخ (عبدالجبار كمال) وهو تركي من مدينة(أذنه) ونائب رئيس الجمعية الإسلامية، وأخاً معه شاباً هو عمر بن الشيخ عبدالقيوم خان رئيس الجمعية الإسلامية في (أليس اسبرنغ)، وقد أمره أبوه باستقبالنا والبقاء معنا مدة إقامتنا في (أليس اسبرنغ) وذلك

لكونه غائباً في داروين، ومعهم أخ اسمه (جاويد بن نور الهدى) من بنغلاديش وهو عضو الجمعية الإسلامية.

رحب بنا الإخوة وحجزنا معهم إلى مدينة أديلايد عاصمة ولاية جنوب أستراليا وهي التي من المقرر أن نزورها بعد (أليس أسبرنغ).

بلدة أليس سبرنغ Alice Springs:

بلدة تقع على الطرف الجنوبي لولاية التخوم الشمالية في وسط أستراليا، وقد نشأت هذه البلدة باسم ستوارت **Stuart** عام ١٨٧١م ثم تغير اسمها رسمياً إلى أليس سبرنغ عام ١٩٣٣م، ويقدر عدد سكانها بنحو ٢٥,٥٨٥ نسمة حسب إحصاء عام ١٩٩١م.

صحراء أستراليا التقطتها والحافلة تسير في برية اليس اسبرنغ

وقد ازدهرت بعد افتتاح الطريق الصحراوي السريع الذي يربط بين مدن أديلايد Adelaide وبين بورت أغوستا Port Augusta وداروين Darwin، وهي في منطقة صحراوية تسمى صحراء سيمبسون Simpson تغطيها الرمال القاسية، وقد لا تكون تماماً مثل الصحراء الإفريقية، ولكنها جافة وقليلة السكان، تنتشر فيها التلال الحمر، وسلسلة جبال ماكدونال الحمراء.

وحتى تظهر أنها منطقة صحراوية أنشأ الأستراليون فيها مزرعة نخيل سموها حدائق نخيل مكة Macca Date Gardens على بعد ٧٠ كيلومتراً جنوب شرق أليس سبرنغ عام ١٩٥٠م، ثم جرى توسيعها عام ١٩٩١م.

ومع أن تاريخ دخول أول نخلة إلى أستراليا يعود إلى عام ١٨٨٠م إلا أن فيك ده فونتناي Vic De Fontenay يعتبر أول من استورد فسائلها من كليفورنيا في أمريكا عام ١٩٥٠م ثم استورد مالكاً لمزرعة الجديد ب. و ج. دافينبورت P. & J. Davenport ١٧ فسيلة من النخيل وهي: ٧ مجلول، و٢ حلاوي، و٢ زاهدي، ٢ دقلة نور، ٢ ثوري، ٢ برحي، وعندما بيعت مزرعة النخيل إلى شركة ج. وت. لودي J. & T. Luedi عام ١٩٨٤م جلبت مائة فسيلة أخرى من مزرعة نخيل الواحة لابن لافين في ثرمال في كلفورينا Ben laflin's Oasis Date Garden in Thermal, California.

كما أن هناك مزرعة لتربية الإبل تسمى Frontier Camel Farm، وقد جلب أوائلها الأفغان الذين استعان بهم الإنجليز في شق الطريق بين الشمال والجنوب في عام ١٨٨٠م، وفي هذه البلدة يجري تنظيم سباق الإبل في شهر يوليه سنوياً.

يرجع الوجود الإسلامي في بلدة أليس سبرنغ إلى تاريخ ظهورها، أو بعده بقليل أي في عام ١٨٨٠م، حيث استقدمت الشركة التي تولت شق الطريق الحديدي بين الشمال والجنوب عمالاً من قبائل البتان التي تقطن في شمال شرق باكستان مع الإبل للاستعانة بهم في التنقل والعمل في صحراء أستراليا.

بين المطار والمدينة في اليس اسبرنغ في أستراليا

وقد كان الإنجليز حينذاك يحكمون أستراليا وباكستان قبل استقلالها، واستوطن هؤلاء المسلمون الأوائل (أليس سبرنغ) وتزوج بعضهم بزوجات من الوطنيين الأصلاء المعروفين باسم أبورجنرز Aboriginal.

ويعرف طريق القطار الحديدي الذي عمل المسلمون على شقه باسم طريق غان Ghan Train إلى اليوم، كما أن أحدهم اسمه محمد اشتهر بخدمات اجتماعية أطلق اسمه على أحد شوارع البلدة تخليداً لذكراه، ولكن مع الأسف انقرض هؤلاء الأوائل ولهم أحفاد لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه وأن أجدادهم مسلمون، ويتردد بعضهم إلى المسجد.

وقد بني أحد أولئك الأوائل واسمه سعد الدين مسجداً في (أليس سبرنغ) ولكنه هدم لعدم وجود المسلمين في البلدة عام ١٩٧٠م.

أما اليوم ففي (أليس اسبرنغ) يوجد نحو ثلاثين أسرة مسلمة من جنسيات مختلفة باكستانية وتركية وعربية لهم جمعية باسم جمعية أليس سبرنغ الإسلامية Alice Springs Islamic Association يراسها الأستاذ عبدالقيوم خان من أصل باكستاني، ولهم مسجد صغير تم بناؤه عام ١٩٩٢م، ولكن يحتاج إلى أماكن وضوء وحمامات ومئذنة وأهم من هذا حاجتهم إلى إمام يرشد كبارهم ويعلم صغارهم.

في مدينة أليس اسبرنغ:

ركبنا مع الأخ عبدالجبار كمال بسيارته وتبعنا الأخوان الآخران بسيارة عمر عبدالقيوم خان فقررنا أن نذهب راساً لزيارة مسجد أليس اسبرنغ اغتناماً للوقت ومن أجل صلاتي الظهر والعصر فيه جمعاً.

عندما نزلنا من الطائرة في مطار أليس اسبرنغ شعرت بما يشعر به من يصل إلى بلاد صحراوية من وجود جفاف في الهواء قد يصل إلى درجة السموم، ولكنه سموم خفيف يشعر المرء بأنه يخالط الهواء، وليس كل الهواء، كما تكون عليه الحال عندنا في الربيع والخريف، وهذا ما لم أشعر به قبل (أليس اسبرنغ) ولا بعدها في أستراليا، لأن الهواء في مدنها التي زرتها إما أن يكون رطباً أو معتدلاً ولكن من دون أن يكون جافاً.

لكنني لاحظت ونحن ننطلق من المطار إلى المدينة ويبعد عنها بـ ١٤ كيلومتراً أن المنطقة ليست بذات مظهر صحراوي فيما يتعلق بوجود الشجر الكبير الذي تبينت أنه في أغلبه من شجر (الكينا) الذي نعرفه في بلادنا، وكنا أكثرنا من غرسه لكونه يعيش في الجو الصحراوي وهو سريع النمو، وإذا وجد ماء بقربه نما بسرعة، وإذا لم يكن بقربه ماء فإن عروقه تتطلب الماء عن بعد، ولكن الناس تركوه.

وأذكر أنه كانت عندي في بيتي في الطائف شجرة غرستها في رصيفه حباً بالخضرة ولكونها لا تحتاج إلى ماء في الطائف فكبرت وعظمت إلى درجة أنها قلعت رصيف الشارع بجانب البيت، ثم كان الأدهى من ذلك أن عروقها دخلت في

خزان الماء، لذلك دفعت أجرة كبيرة لعمال قطعوها بجهد.

ومثل ذلك حدث في بيتي في بريدة إذ كنت غرستها قديماً قبل أن يعرف الناس مفاسدها، فعظمت ولكن عروقها دخلت إلى خزان الماء حتى أفسدته فقطعت بأجرة كبيرة أيضاً لكونها عالية وضخمة الساق.

وتبين لنا بعد ذلك وجود هذا الشجر الذي ينمو في البلدان الصحراوية ونصف الصحراوية طفيلياً لا يحتاج إلى سقي هو من الأشجار الأصيلة في أستراليا وكان موجوداً في براريها نامياً من دون غرس واستفاد منه السكان الأصلاء فيها المعروفون بـ (أبورجنرز) كثيراً في معيشتهم التي تعتمد على ما تنتجه الغابات من أوراق وثمر وحتى الدود والحبوب الصغيرة كما سيأتي الكلام عليه عندما نزورهم في مواطنهم.

شارع في ضاحية اليس اسبرنغ مع غروب الشمس

وأخبرني الأخ عبدالجبار كمال ومن بعده غيره أنهم ليس عندهم أنهار ولا عيون، وإنما يستخرجون الماء من جوف الأرض مثلنا، ولكنهم لا يزرعون خضرات أو فاكهة، وإنما تأتي إليهم من أماكن أكثر ماء لا تبعد عن المدينة إلا بتسعين كيلومتراً، وبعضها يبتعد أكثر من ذلك بكثير.

مررنا بالسوق الرئيسي ونحن سائرون بالسيارة دون وقوف اغتناماً للوقت فاخترقنا المدينة ورأيتها مدينة لا بأس بها، بل إنها جيدة مع كونها صحراوية أو شبيهة بالصحراوية ولكنها نظيفة، وفيها حركة بيع وشراء نسبية الكثرة.

مسجد أليس اسبرنغ:

مسجد اليس اسبرنغ

خرجنا من المدينة من جهة الجنوب فانقطعت منازلها المتقاربة بسرعة لأنها صغيرة قليلة السكان وإن كانت المنازل الأخرى الكبيرة موجودة متباعدة، وسط مساحات من الفراغ ، لسعة الأراضي هنا حتى لاح لنا المسجد في لون الحصان الأشهب لأنه مبني بنوع من الآجر أشهب اللون أي لونه بين البياض والسواد ولكن فيه شيئاً من الحمرة، ولذا بدأ لنا أنه مبني من الحجارة لأنهم جعلوا لبن الآجر كبيراً بشكل الحجارة، وله منارة صغيرة ذات شاهد نحاسي فوقه هلال، وكان أول ما فعلناه أن صلينا الظهر ثم العصر وصلوا خلفنا العصر ثم أتموا بعدنا.

مسجد الأفغان:

واسموا المسجد مسجد الأفغان، اعترافاً بكون الأفغانيين هم أول المسلمين الواصلين إلى هذه المنطقة، وهم أول من بنى مسجداً فيها، ولكن مسجدهم أي مسجد الأفغان الأصيل قد اندثر وذهب وذلك أنه لم يبق مسلم بعد الأفغان الأوائل فيها فتعطل المسجد، ولم يبق من يصلي فيه، ولا من يطالب به فهدم، ولم يعترض أحد، وبنيت في مكانه (المكتبة العامة) للمدينة ومكانه لا يزال معروفاً، ولكن لم يطالب به أحد.

وقد قام على بناء هذا المسجد الجديد الأخ عبدالقيوم خان وهو أسترالي من أصل باكستاني، ولم يطالب بأرض المسجد، لأنه لا تمكن إعادتها حيث إنها صارت مكتبة عامة، وإنما أعطتهم الحكومة أرض المسجد الحالي بالمجان، جرياً على عادتها في إعطاء الجمعيات الدينية التي تعترف بها أرضاً تبني عليها معبدها.

وقد بدءوا أول الأمر بإنشاء الجمعية الإسلامية لمدينة (أليس اسبرنغ) ثم منحتهم الحكومة الأرض ووضعوا عليها حجر الأساس لمبنى المسجد في عام ١٩٩٢م وأنجزوه بسرعة.

وهو مسجد صغير إلا أنه نظيف ومرتب ومفروش بفراش من البساط الواحد (الموكيت)، وتبلغ مساحة الأرض التي منحتهم الحكومة أربعة آلاف متر مربع، وهي أرض واسعة ليس فيها بناء الآن إلاّ هذا المسجد الصغير.

وقام بجمع التبرعات للمسجد الأخ عبدالقيوم خان جمعها من المسلمين في سيدني حتى أكملوه ويبلغ عدد المصلين يوم الجمعة ما بين ١٥ إلى ٢٠ وفي بعض الأحيان لا يزيد على عشرة، وذلك أنه يقدم عليهم في بعض الأحيان أفراد من المسلمين الساكنين في أماكن غير المدينة فيصلوا معهم الجمعة.

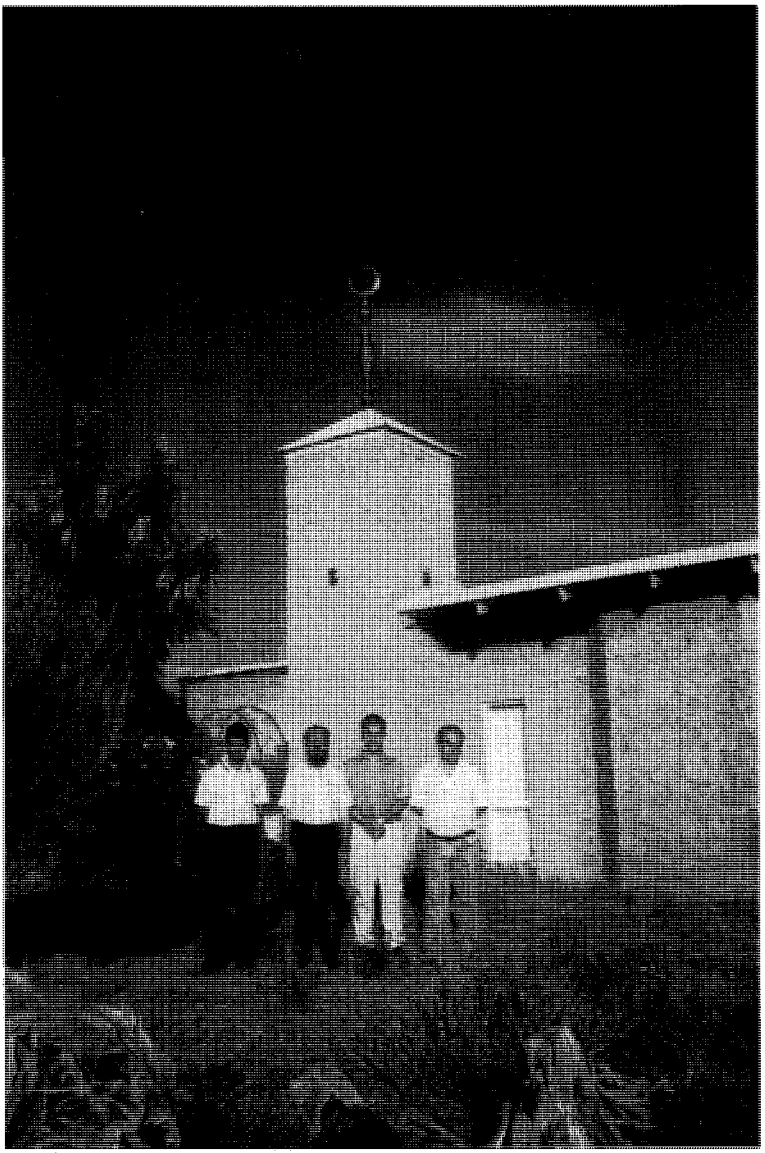

عند منارة مسجد اليس اسبرنغ مع الإخوة المسلمين

ومع صغر هذا المسجد وقلة عدد المسلمين في المدينة فإنني رأيت فيه سبورة عليها كتابة ذكروا أنهم يحضرون بعض أطفال المسلمين ليتعلموا كيفية الصلاة وأن لديهم عشرة أطفال يأتون إلى المسجد للتعلم يوم السبت والأحد.

ويقوم بالإنفاق على المسجد النفقات المتكررة كالكهرباء والماء ونحوها الأخ عبدالقيوم وعبدالجبار ويحتاجون للمساعدة على ذلك، وإن كان عمل المسجد لا يتوقف عليه.

وفي المسجد لوحات كلها عربية مع أنه ليس في البلدة أي عربي مسلم، وإنما وضعها هؤلاء الإخوة القائمون على المسجد حباً في الإسلام.

ويقع المسجد في حي (نارابيتا).

الوجود الإسلامي في أليس اسبرنغ:

تاريخ المسلمين في هذه المنطقة وما حولها من منطقة الصحراء الأسترالية يجب أن يدون ويوضح للمسلمين في العالم وبخاصة للعرب فأكثرهم لا يعرفون عنه شيئاً، ولا يعرفون إلا أموراً مجملة، مع أن المسلمين الأوائل الذين كانوا أول الواصلين إليها، وكانوا أول المقيمين فيها من الذين جاءوا من العالم المتمدن، وذلك من أجل أن يستثنى من ذلك السكان الأصلاء المسمين (أبورجنرز) وهم قوم بدائيون متخلفون كما سيأتي من ذكر شيء أو أشياء عنهم فيما بعد بإذن الله.

وسبب وصول المسلمين إلى هذه البلاد أن الإنكليز احتاجوا إلى أن يمدوا سكة الحديد من أماكن تجمعهم على الأطراف الجنوبية للقارة، حيث المناطق المناسبة للسكنى، فجوها ليس بعيداً عن جو البحر الأبيض المتوسط، وفيها أنهار وأمطارها مناسبة وأرضها صالحة للزراعة، وفوق ذلك هي قريبة من البحر، وبعد أن استقر الأمر لهم هناك، وعزموا على استعمار القارة الأسترالية والسكنى فيها بعد أن كانوا يعتبرونها منفى للمجرمين، أرادوا الوصول إلى قلب القارة وهو قلب صحراوي شبيه

بالميت إلا ما كان من الأشجار البرية التي أهمها وأكثرها شجرة الكينا، وإلا من هؤلاء السكان الأصلاء الذين كانوا على حالة من التأخر والتخلف بحيث لم يكونوا يفعلون شيئاً من أعمال الاستقرار والتمدن التي يعرفها العالم، كما أنهم قاوموا المستعمرين الإنكليز مقاومة بدائية ساذجة إلا أنهم رأوا فيهم المحتلين الذين يريدون أن يستأثروا ببلادهم دونهم، أو لم يروا ذلك بالضبط ولكنهم رأوا فيهم الأعداء الذين منعوهم من مواصلة حياتهم المعتادة وأقاموا في أراضيهم في أطراف القارة.

في داخل مسجد اليس اسبرنغ في أستراليا على يساري نائب رئيس الجمعية الإسلامية ثم ابن رئيس الجمعية

في سبيل الماشية:

لم يكن في القارة الأسترالية قبل وصول الأوروبيين واستقرارهم فيها أي حيوان من الحيوان الأليف الذي يستعمله الإنسان، فليست فيها خيل ولا إبل ولا حمير ولا بغال ولا غنم ولا ضأن ولا بقر ولا دجاج ولا أي غير حيوان أو طير أليف، مما يربيه الإنسان ويأكله.

وحتى الحيوان الوحشي أي غير الأليف لم يكن فيها إلا حيوانها الشهير (الكنغرو) الذي رجلاه طويلتان، و يداه قصيرتان، لذلك لا يستطيع ان يعتمد على قوائمه الأربع إذا ركض ولا إذا وقف، وإنما يركض على رجليه الاثنتين ينقز نقزاً، والنقز هو القفز في السير مثلما يفعل العصفور، وإذا وقف فإنه يعتمد أيضاً على رجليه، ولكنه يضيف إليهما ثالثاً وهو ذيله القوي الطويل فيكون إذا وقف كأنما هي معتمد على مثلث.

وهذا الحيوان البري الآكل للعشب كما تفعل الظباء التي لم يكن يوجد في القارة منها شيء في السابق كغيرها مما ذكرته يأكله السكان الأصلاء (أبورجنرز) فيحتالون على صيده بطرق بدائية، بل ربما لا يصح القول بأنها حيل وإنما هي طرق للصيد بدائية من ذلك مطاردته وضربه بحربة من الخشب، فلم يكونوا يعرفون الحديد مطلقاً ولذلك لم تكن لديهم حراب أو رماح من الحديد.

وكأنما خلق هذا الحيوان في هذه القارة لكي يصطادوه فهو سريع في الجري ولكنه لا يصل إلى سرعة الحيوان في البلدان التي فيها سلاح من الحديد مثل الجزيرة العربية كالظباء والغزلان وحمر الوحش، ولو كانت له سرعة الظبي لم يستطيعوا صيده بتلك الطريقة البدائية.

وعلى أية حال فإن الكنغرو كان حيوان اللحم الوحيد الذي يصطادونه، وقد جلب الإنكليز الغنم من الضأن من إنكلترا فكان أولئك السكان الأصلاء يرون هذا الحيوان الذي لا ينفر منهم ولا يفر بعيداً لذلك كانوا يصطادونه بزعمهم، ويأكلونه.

فكان الإنكليز يحاولون منعهم من ذلك بالكلام الذي لا يفهمونه، وبالتصرفات التي لا يعرف السكان الأصلاء معناها، فيصل الأمر بالإنكليز إلى أن يقتلوا أولئك السكان الأصلاء قتلاً بالبنادق القديمة والسلاح الحديدي حتى أفنوا منهم طوائف بسبب الماشية.

وقد حدث على سبيل المثال أن خلت جزيرة (تسمانيا) الواقعة إلى الجنوب من القارة الأسترالية من السكان الأصلاء كلية، وكانوا فيها منذ عصور سحيقة، ولكنهم عندما أحضر الأوروبيون الغنم صار (الأبورجنرز) يأكلونها ولا ينتهون عن ذلك فصار الأوروبيون يقتلونهم حتى أفنوهم عن أخرهم فيها قتلاً.

ولم يكن لدى (أبورجنرز) من الفهم والوسيلة ما يستطيعون أن يردوا به على الأوروبيين مثل أن يهاجروا من الجزيرة لأنه ليست لديهم وسيلة لذلك، ولا يفهمونه.

الأفغان الأوائل:

لذلك عندما أراد الأوروبيون أن يوغلوا في القارة الأسترالية بعد أن استقروا فيها احتاجوا إلى رجال أشداء يقومون بالعمل الشاق الذي لا يقوون- أي الأوروبيون- على تحمله، وأن يكون معهم حيوان صبور على حمل الأثقال والعيش في الصحراء فلم يجدوا رجالاً أفضل من الأفغان، ولا حيواناً أصبر من البعير، بل ربما صح القول بأنهم لم يجدوا في مستعمراتهم التي كانت واسعة في ذلك الوقت وفي مقدمتها بلاد الهند التي كانوا يسيطرون منها على بعض بلاد الأفغان، كما كانوا يسيطرون في شمالها الغربي على بلاد (الباتان) وهم فرق من أصول أفغانية تقوم هناك وعاصمتهم في الوقت الحاضر مدينة (بشاور) حيث يتكلمون اللغة البشتوية أو فرعاً منها.

فجلبوا منهم بالسفن ٢٨٠ رجلاً معهم أعداد من الإبل ليست كلها جمالاً كما يعبر عنه الغربيون ومن قلدهم من كتاب العرب حيث يسمون البعير بالجمل سواء أكان ذكراً أم أنثى، مع أن من البدهي أن الجمل هو ذكر الإبل، وأن أنثاها هي الناقة، ولكن كلمة (جَمَل) عندهم صارت تقابل كلمة (بعير) بالعربية.

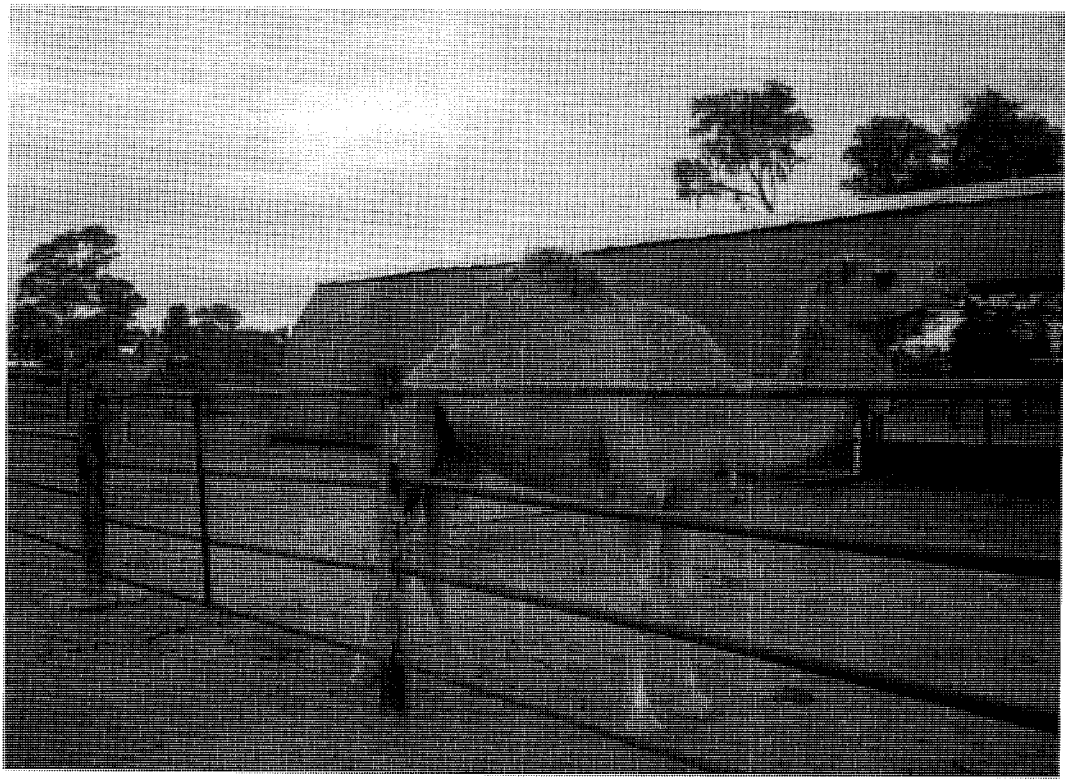

بعير أسترالي مُرَبِّع في اليس اسبرنغ

وعندما وصل الأفغان وكلهم مسلمون إلى هذه القارة، بدءوا بهذا العمل الشاق ابتداء من جنوب أستراليا وبخاصة من منطقة (أديلايد) التي سوف نزورها بعد (اليس اسبرنغ) بإذن الله، وهي عاصمة جنوب أستراليا، وساروا بذلك العمل يبنون خط السكة الحديد الأول في اختراق القارة الأسترالية تحت إشراف المهندسين الأوروبيين، ولكن بصبر الأفغان وإبلهم وجلدهم مع إبلهم على العمل وخبرتهم في العيش الخشن الجاف.

وقد نجحوا بالفعل حتى عرف لهم الأوروبيون ذلك، وسجلوه في كتبهم، وما زالوا يدونونه حتى الآن كما سيأتي في كلام الدليل السياحي الذي خرجنا معه من مدينة (أليس اسبرنغ) إلى مكان (أبورجنرز) في الريف.

الزواج من السكان البدائيين:

وجد الأفغان المسلمون الأوائل أنفسهم في مكان ناءٍ عن بلادهم، بل هو ناءٍ حتى عن الأماكن المأهولة بالحياة المدنية المعتادة في أستراليا، وكانوا متدينين على حسب ما عرفوا به، فلم يكن أمامهم من النساء إلا نساء أولئك السكان الأستراليين الأصلاء على ما هن عليه من جفاء الطباع، وخشونة العيش، ولكن الحرمان من الجنس الآخر كان أصعب عليهم من مقاربتهن فتزوجوا منهم.

وقد سألت عدداً من العارفين بالأمور في أستراليا عن السبب في زواج الإخوة الأفغانيين وهم من البيض من نساء الوطنيين الأصلاء وهم من السود الجفاة، ولم يتزوجوا من نساء البيض الأوروبيين؟

فأجابوا إن البيض كان عددهم قليلاً، وكان عدد النساء بينهم ليس كثيراً، وقد استأثروا بالنساء دون الغرباء الذين يرون فيهم رجالهم ونساؤهم أنهم أدنى منهم منزلة وبخاصة أنهم يمارسون أعمالاً شاقة، ويعيشون معيشة خشنة تجعل مظاهرهم خشنة، وقال بعض الناس لي: إن الإنكليز كانوا منعوهم من الزواج بالنساء البيضاوات ولكنني لا أرى ذلك صحيحاً.

وأيًا كان الأمر فقد تزوجوا من أولئك القوم وأنجبت (الأبورجنيات) إن صحت هذه النسبة الثقيلة لهم أولاداً، غير أن الأفغان أنفسهم كانوا من العوام،و لم يكن معهم أحد من طلبة العلم يعلم أولادهم أمور دينهم، فمات الرجال المسلمون وبقي أولادهم يعتبرون أنفسهم أحياناً مسلمين وفي أكثر الأحيان لا يعتبرون أنهم كذلك، ولكنهم ليسوا مسيحيين، ولا يصفون أنفسهم بذلك، وإنما يقولون: إن آباءهم كانوا مسلمين، ولكنهم هم أنفسهم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً.

وقد برز منهم رجال ذوو مكانة حتى الوقت القريب، وكان آخر البارزين رجلاً أفغاني الأب أمه من أبورجنرز سماه والده (قول محمد) وعرف اسمه (محمد)

الذي أصبح اسماً لأسرته (محمد) وكان رجلاً قوياً كريماً حتى إن الحكومة أسمت شارعاً في مدينة (أليس اسبرنغ) باسم شارع محمد، وكان يعتبر زعيم (ابورجنرز) في المدينة، وقد عمر حتى مات في عام ١٩٧٠م.

وفي الوقت الحاضر:

ويوجد في الوقت الحاضر أعداد من أنسال أولئك الأفغان الأوائل ممن أخوالهم (ابورجنرز) اختلف الناس في أعدادهم لأنه لم يوجد من يهتم بهم اهتماماً خالصاً، فبعض الناس أوصل أعدادهم مع أولادهم إلى أربعمائة نسمة، ومنهم من قال إنهم أقل من ذلك.

ولكن شخصاً معروفاً منهم الآن ذكر لي الأخ (عبدالجبار كمال) أنه يعرف الفرق بين اللحم الحلال واللحم الحرام، وأنه يأتي إليه في مطعمه مع أولاد له أربعة يأكل في مطعمه، لأن الأخ عبدالجبار له مطعم كبير معروف في المدينة سيأتي ذكره فيما بعد.

وذكر أن أحد أبناء الأفغان ذوي الأخوال (أبورجنلية) هو مدير محطة التلفاز في (اليس اسبرنغ).

ومن المحزن أن عدداً من أنسال الأفغان هؤلاء يكون اسم اسرته إسلامياً مثل (محمد) الذي مر ذكره، ويكون الاسم الأول له اسماً مسيحياً، لأن الذين سموه باسمه لا يعرفون عن الإسلام في هذه البلاد شيئاً.

ضرورة الدعوة في المنطقة:

قال لنا الإخوة عبدالجبار كمال نائب رئيس الجمعية الإسلامية في (أليس اسبرنغ) وغيره من المسلمين إن إرسال داعية متفرغ يكون إماماً للمسجد أمر ضروري جداً للحركة الإسلامية في البلاد ويجب أن يجعل من دعوتهم سبيلاً إلى دعوة غيرهم من السكان الأصلاء الذين يفهمونهم ويستطيعون أن يؤثروا فيهم.

قالوا: والأمل كبير في أنه إذا جاء إمام مجتهد متفرغ أن تكون نتيجة ذلك دخول أعداد جديدة إلى الإسلام سواء من أنسال أولئك الأفغان أو من غيرهم.

أما في الوقت الراهن ومن خلال الوضع الحالي للمسجد، فإنه لا توجد دعوة موجهة إلى غير المسلمين، وإنما كل الجهد كان منصباً على إيجاد مسجد يصلي فيه المسلمون، ويتعارف بعضهم على بعض من خلاله، وقد حصل هذا بالفعل ولله الحمد.

وفي ظل هذا الوضع قال الإخوة وهم يشرحون لنا حال المسلمين الآن: لا يجد المسلمون حتى من يغسل الميت ويجهز الجنازة لأنه لا أحد يحسن ذلك.

وذكر أحدهم بأن وجود إمام عارف متفرغ ضروري للمحافظة على العدد القليل من المسلمين لئلا يضيع أولادهم في هذا الجو الثقافي البعيد عن الإسلام.

لاسيما أن الحرية الدينية الكاملة مكفولة في هذه المنطقة مثل غيرها من المناطق الأسترالية، ولا توجد معوقات للدعوة الإسلامية لا من الحكومة ولا من الشعب.

ويبلغ عدد المسلمين في (اليس اسبرنغ) في الوقت الحاضر ٣٠ أسرة في قول بعضهم، وقال أخرون: إن العدد لا يزيد على (٢٠) أسرة.

ذكروا أن منهم من باكستان وبنغلاديش شخص واحد هو الحاضر معنا الآن، وتركياً مع التنويه بأنه يوجد تركيان أحدهما الأخ النشط (عبدالجبار كمال) والثاني: لا يحضر المسجد، ولا يهتم بأمر الإسلام، ويعيش كما يعيش الأوروبيون.

ويذكرون أنه يوجه ٤ أسر من المسيحيين العرب الذين جاءوا إلى المدينة من مناطق أسترالية أخرى، ولا يوجد أي عربي مسلم فيها إلاّ واحد اسمه مروان مولود في هذه البلاد ذكروا أنه يحضر معهم إلى المسجد، وهو لبناني الأصل.

وذكروا أن المسلمين يزيدون عن طريق الولادة، وعن طريق حضور عدد من الناس من الأماكن النائية من أستراليا غير البعيدة منهم،ولكن ذلك على نطاق ضيق، ولم يعرفوا أنه دخل في الإسلام هنا أي شخص، وذلك بسبب ما ذكروه من عدم وجود إمام أو غيره من القائمين بالدعوة.

تجولنا في أرض المسجد والشمس توشك على الغروب، وقد سوروا أرضه بسور جيد بحيث لا يدخل إلى المسجد إلا من باب يغلق، ووضعوا في ركن المسجد ما يشبه المطبخ الصغير لإعداد القهوة والشاي والمأكولات الخفيفة.

وفي حديقة المسجد أشجار من أشجار الكينا التي لا يخطئها النظر أبداً أينما توجه سواء في المدينة أو في الريف.

كباب السلطان:

كانت الساعة قد بلغت السابعة وهي لنا بمثابة الخامسة والنصف عصراً، لأن ساعاتنا كانت مركبة على وقت بيرث التي قدمنا منها قبل قليل، ويتقدم توقيت (اليس اسبرنغ) على توقيت بيرث بساعة ونصف، لأنها واقعة إلى الشرق الشمالي من بيرث ركبنا مع الأخ (عبدالجبار كمال) بسيارته تتبعها سيارة الأخ عمر عبدالقيوم معه فيها الأخ البنغالي إلى مطعم المسلمين الذي يملكه ويديره الأخ عبدالجبار، وذكر لنا أنه كان قد أعد الغداء لنا مع أن الشمس تغرب الآن.

وجدنا مطعمه الذي اسماه (سلطان كباب) وكتب اسمه عليه بالإنكليزية وحدها وهي (كباب السلطان) بالعربية لأنه قدم المضاف على المضاف إليه.

وقد قدم من العشاء ما ذكرنا لكثرته ونوع الأطعمة فيه ببلادنا الوسطى بين الشرق والغرب مثل الحمص والفول والشاورمة واللبن العيران الذي يراد به المخيض أي الذي جرى مخضه أو (خضه) مثلما يفعل باللبن عندما يراد استخراج الزبد منه.

وهذا اللبن شائع في المطاعم التركية كلها، وفي المطاعم القريبة منها في سوريا مثل حلب، وكان بعض الناس يظن أنكلمة (عيران) أو (ايران) كما يلفظ بها الأتراك إنما هي كلمة تركية، غير أن الصحيح أنها عربية أخذها الأتراك منا، ذكرها ابن منظور صاحب لسان العرب، وقد أحضر أيضاً من السلطات الجيدة أنواعاً، وقال: هذه تزرع على مسافة تقرب من ٣٠٠ كم، ونستوردها من هناك.

وقد حضر إلى المطعم ونحن جلوس التركي الذي لا يبالي بالإسلام، ولا يحضر المسجد، فلم يسلم علينا، ولم يسأل عنا رغم كونه عرف مرافقنا الأخ عمر عبدالقيوم، وكذلك حضر إلى المطعم الأخ اللبناني المسلم الوحيد في هذه المدينة، وهو شاب مولود في هذه البلاد اسمه مروان، ولذلك يحاول أن يتذكر بعض الألفاظ العربية من اللهجة اللبنانية، ولا يرضى بأن نكلمه بالإنكليزية، ربما كان ذلك ليعرف كيف ننطق بالعربية لأنه لم ير أناساً قدموا من السعودية من قبل.

وسرنا أن رأينا مطعم (كباب السلطان) هذا الذي صاحبه مسلم تركي، بل هو مجتهد لدينه، ولذلك صار نائب رئيس الجمعية الإسلامية، مزدحماً بالطاعمين وكلهم من الإفرنج البيض، ليس فيهم مسلم واحد إلا من ذكرته.

وعرفنا أنهم يترددون عليه ويأكلون فيه، لكونه منوع الطعام، ولطعامه نكهة خاصة، وأسعاره معتدلة.

وفي الثامنة والنصف كنا فرغنا من الطعام فذهبنا مع الأخ عبدالجبار إلى أكبر فندق في المدينة وأغلاه وهو فندق (بلازا اسبرنغ) وقال الأخ عبالجبار: لقد حجزت لكم في هذا الفندق رغم غلاء سعره لكونه بعيداً عن المدينة لا يستيطع (الأبورجنرز) أن يصلوا إليه، وهو بالفعل واقع خارج المدينة.

وسعره غالٍ إذ هو ١٩٠ دولاراً استرالياً، ويعادل ذلك ١٢٣ دولاراً أمريكية، ومع ذلك هو واسع مبنى على أرض واسعة، بحيث لا يستطيع المرء أن يهتدي لغرفته منه بدون دليل إلا بخارطة، وهذا ما حدث إذ أعطتنا الموظفة خريطة مطبوعة جعلت على مكان غرفتنا فيها علامة بلون أخضر.

فخرجنا إلى الغرف واخترقنا مطعماً ومقصفاً للفندق ثم سرنا مع دهليز طويل حتى وصلنا المصعد والفندق مؤلف من طابقين، فسرنا بعد أن أوصلنا المصعد للطابق الثاني مسافة حتى وجدنا الغرف.

وذكر موظف في الفندق أن الفندق كان حكومياً في الأصل، إذ بنته الحكومة، ولذلك هو كبير، وقد حرصوا على أن يجعلوا عليه ما يشبه الرداء الأخضر فأوجدوا

مستنقعات صغيرة كالبرك في أركانه، وغرسوا ما حولها أشجاراً وزهوراً.

ومع غلاته وكون الحكومة بنته فإن فيه أشياء قديمة لم نرها في الفنادق الأخرى في هذه القارة مثل كونهم لم يجعلوا في الغرفة ساعة وهو أمر يكون حتى في الفنادق الصغيرة، وذلك لاختلاف التوقيت بين المدن الأسترالية، بسبب سعة القارة، واختلاف التوقيت بين بلدانها وحماماته مجهزة على أطرزة قديمة.

جولة في مدينة (أليس اسبرنغ):

لا يمكن للمسلم إذا حضر إلى هذه المدينة إلا بأن يتطلع إلى التجول فيها بحثاً عن المسلمين وآثارهم، أو بحثاً عن المعرفة بحال السكان الأصلاء (أبورجنرز) الذين يوجدون في المدينة ومنطقتها أكثر مما يوجدون في المدن الأخرى في أستراليا والمراد بذلك المدن الكبيرة.

المؤلف مستند على الحافلة السياحية في بلدة اليس اسبرنغ

يبلغ عدد سكان المدينة ٣٠ ألف نسمة ٦٥% منهم من البيض، و٣٥% منهم من السكان الأصلاء (أبورجنرز) ومع سواد ألوانهم الظاهر فإن الناس هنا اعتادوا على أن يسموهم (أبورجنرز) وهي كلمة أصلها (أورجنرز) بمعنى الأصلي، بالإنجليزية مضافاً لفظ (أب) أو (أبو) وليست كنية كما تكون في العربية ولكنها لفظ لم أدر معناه.

كان موعد حضور الحافلة السياحية لأخذنا من الفندق في الثامنة والثلث مع أنهم ذكروا أن الجولة تبدأ في التاسعة وتنتهي في الثانية عشرة ظهراً.

وقد أخذ معنا من فندقنا وحده ثمانية سياح كلهم من ذوي المظهر الأوروبي.

سارت الحافلة قاصدة مع طريق المطار الذي لا يبعد عنه فندقنا إلا بمسافة قصيرة وخارج المدينة في اتجاه المطار وهو طريق واحد للسيارات المتقابلة في الاتجاهين مفصولاً بينهما بخط أبيض ولكن حالته جيدة، وقد نمت عليه أشجار الكينا بكثرة عجيبة إذ يراها المرء على الطريق وفيما خلفه، وفي الأماكن النائية من الصحراء، وفي بريتهم أشجار غير الكينا ولكنها أكثر من غيرها، وتأكدنا من حالتها أنها تنمو من تلقاء نفسها، من دون غرس، وزعم لي بعضهم أنها متنوعة إلى درجة أن الحكومة سجلت منها ستين نوعاً، ونحن نراها مختلفة الأوراق ما بين ذات ورق عريض طيب الرائحة وأخرى دقيقة الأوراق وغير ذلك.

ثم مرت الحافلة على فندق آخر أخذت منه اثنين من البيض المسنين مثل الذين كانوا ركبوا معنا من قبل وقد علمنا أن بعضهم من الأمريكيين إذ أخبرونا بذلك.

وفي الأرض عشب يشبه الثيل أخبرونا أنه كان قد نبت بسبب مطر كان قد نزل قبل ذلك.

ثم وقف السائق مرة أخرى عند فندق ثالث التقط منه بعض السياح وفيهم اثنان من ذوي المظهر الياباني.

ولاحظت وجود نوع من شجر الطرفاء الموجودة في بلانا تنبت في السباخ- جمع سبخة- وهي الأرض التي تكون كالملح، إلا أن طرفاءهم قصيرة ليست عالية مثل الطرفاء عندنا، و شوارع المدينة جيدة الزفت والأرصفة، ولكنها غير واسعة.

وفي التاسعة إلا الربع ضحى كانت الحافلة تقف عند مكتب الشركة التي تسيرها في قلب المدينة، وكان السائق ينزل منها ورأيته بعد ذلك يأكل فطوره.

ومن الغريب أنني تأملت أشجار الرصيف فإذا بها من الكينا وهي عندنا إذا كانت في الرصيف أو نحوه أفسدته لأن عروقها قوية قادرة على اقتلاع بلاط الرصيف أو تشقيقه إن لم يكن بلاطاً، وإنما كان ملاطاً.

بدء الرحلة:

في التاسعة تماماً ركب السائق، وقال: الآن تبدأ الرحلة إلى مقر ألـ(أبورجنرز) خارج المدينة على بعد ١٥ كيلومتراً.

وقال والسيارة تمعن في السير ونحن لا نكاد نعدم أن نرى أناساً من الأبورجنرز جالسين تحت الأشجار، كأنما لا عمل لهم، وقال لي أحد الإخوة بعد ذلك: إن أكثرهم سكارى من الإفراط في شرب الخمر.

قال السائق: الحياة هنا تعتمد على نزول المطر، والمزارع تصلح عندما ينزل المطر، لكنه نادر النزول، ومع ذلك قد ينزل غزيراً في بعض السنين كما حدث في عام ١٩٤٨م حيث ظل المطر ينزل نحو ٢٤ ساعة، ونحن الآن في موسم نزول المطر ولكن ليس من المؤكد نزوله.

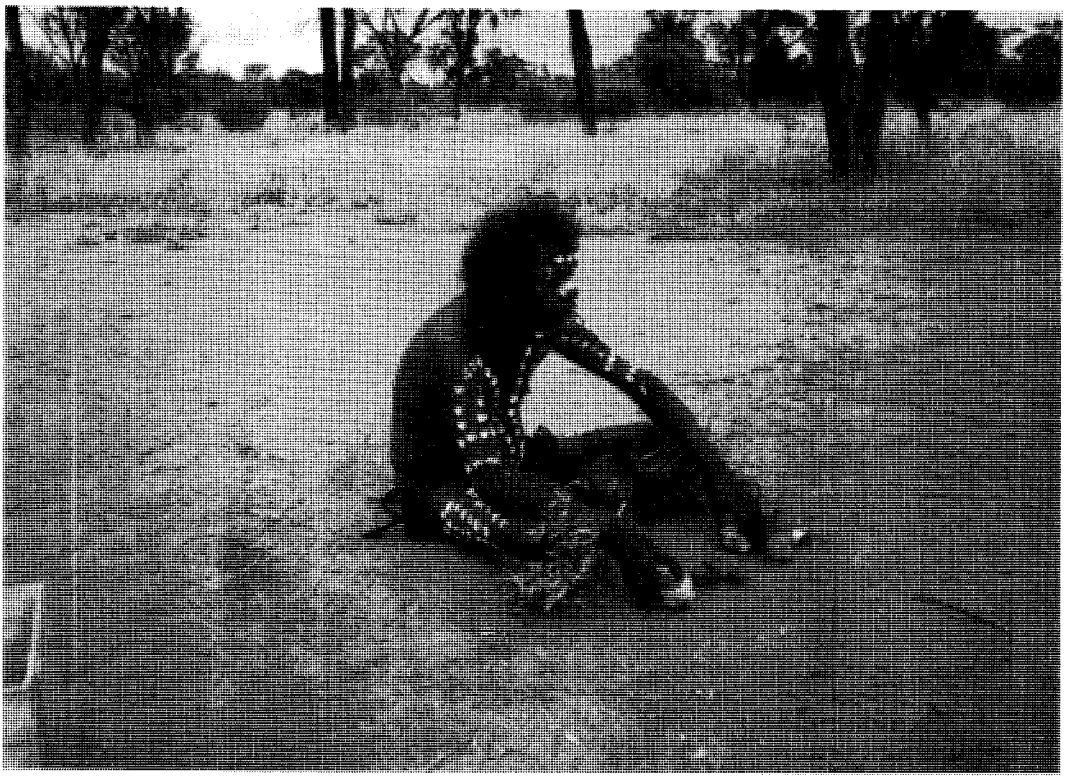

أسترالي أصلي جالس في البرية (تصوير المؤلف)

ومر الطريق بوادٍ كالوديان الصحراوية الخصبة ملئ بالأشجار البرية الخضر، وإن تكن خضرتها غير نضرة، ولا شك أن مرجع ذلك إلى كونهم يحرمون قطع الأشجار إلا لأغراض خاصة، أما الأماكن المرتفعة وسفوح الجبال فإنها ليست فيها أشجار كثيفة.

فضل الأفغان على المنطقة:

قال الدليل وهو أوربي ذو أصل إنكليزي فيما فهمت من حاله، إن الأفغان هم الذين جاءوا إلى هذه المنطقة قبل غيرهم فشقوا الطرق وبنوا السكة الحديدية، وقد

جاءوا إلى هنا عام ١٨٧١م، ولذلك ينبغي أن ننوه بفضلهم عليها.

وقال بهذه المناسبة: إنهم جاءوا مع جمالهم يريد إبلهم وأنه توجد هنا (مزرعة جمال) على حد تعبيره قال: ولذلك تقام هنا مسابقة للإبل في كل عام.

وقد سألته عن أصل تسمية المدينة (أليس اسبرنغ) فقال: أليس، هذه امرأة كانت تعمل في اللاسلكي عندما وصل الإنكليز إلى المنطقة وكانت كثيرة الاتصال، وتبزق بأشياء كثيرة لذلك سماها (أليس اسبرنغ) بمعنى نبع (اليس).

ومررنا بالمطار فاشار إلى مبنى بجانبه، وقال: هنا يوجد مستشفى سلاح الطيران.

داخل الصحراء:

وكدت أقول: داخل الغابة لأن الأرض فيها أشجار كثيرة أهمها شجرة الكينا التي ذكرتها، ولكنها نبتت من دون غراس، وإنما هي قديمة في هذه المنطقة.

ترك الدليل الخط الأسفلتي، ودخل بسيارته إلى الصحراء مع طريق ترابي يغلب الرمل المختلط بالطين عليه، لذلك لا تسيخ فيه عجلات الحافلة.

وقال: لقد دخلنا في هذه الصحراء لكي تختلطوا بأبورجنرز، وتسألوهم عن ثقافتهم.

وما شبهت سير الحافلة في هذا الطريق الترابي إلا بسير السيارة في بلادنا في أوقات الربيع، بل إن الأعشاب في هذه الأرض الصحراوية أقل منها في أرضنا لولا أن الأشجار الكبيرة هنا أوفر وأكثر التفافاً.

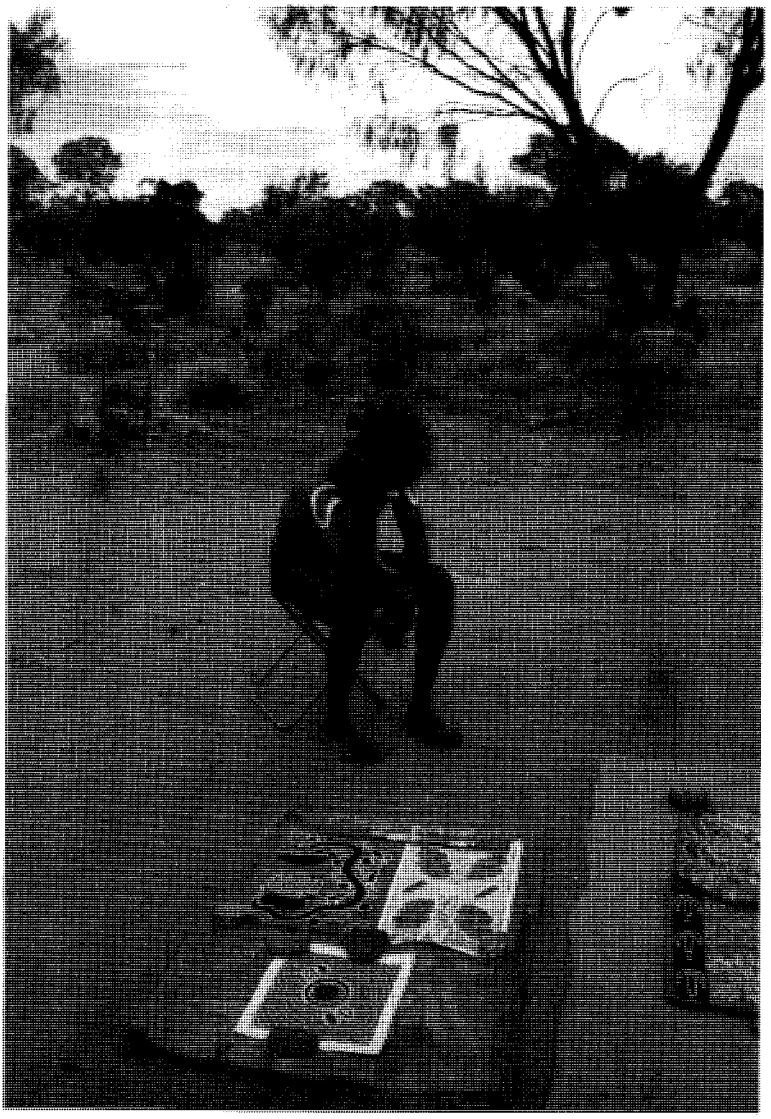

أسترالي أصيل (على كرسي) لم يكن أسلافه
يعرفونه يبيع لوحات تمثل حياتهم على السياح في
برية اليس اسبرنغ (تصوير المؤلف)

محاضرة في عادات الأبورجنرز:

لم تمض الحافلة كثيراً في السير داخل الصحراء بدون طريق مزفت، وإنما وقفت في مكان أشار علينا السائق بالنزول منها ثم وجدنا رجلاً شاباً أبيض، تقدمنا أيضاً إلى الداخل دون أي أثر لأي سيارة، ثم وقف عند عِشَّة رثة أي رديئة متشعثة، فأعوادها غير مستقيمة وأركانها غير متساوية، وسقفها ليس كله ظلاً.

وهي من أعواد أقل من أن تسمى أخشاباً مركوزة في الأرض فوقها أعواد معترضة ولها مدخل من جهة واحدة بل تلك الجهة ليس لها باب وإنما ترك من دون عوائق، وقال: هكذا يجعل (أبورجنرز) مكانهم في الغابة، ثم يتركونها إذا انتقلوا عنها، مع أن الانتقال ليس صفة لازمة لهم، كما يكون للأعراب في الصحراء، وذلك أن (أبورجنرز) ليست لهم ماشية، ولا دواب، ولا أمتعة ثقيلة كالتي للأعراب.

وإنما يستظلون بظل الأشجار الكبيرة هذه من الكينا ونحوها ويصنعون مثل هذه العشة غير المتقنة يكونون تحتها.

وقد أعطانا الرجل الأبيض كراسي صغيرة مقاعدها من الجلد وليس لها ظهور، وإنما يجلس الجالس فيها غير مستند إلى شيء، وليست مما يستعمله أبورجنرز فهم لا يعرفون استعمال الكراسي ولكن من أجل أن نجلس فوقها بدلاً من الوقوف الطويل.

سلاح (الأبورجنرز):

أمرنا بالجلوس على هذه الكراسي تحت العشة الرثة، وبعضنا جلس أمامها، ونثر عدداً من الأدوات الخشبية بعضها كالعصي و بعضها كالرماح، وبعضها تشبه المنجل المستقيم أي غير المنحني، وكلها من الخشب، وقال: هذه الأدوات مما يستعملها الـ (أبورجنرز)، فهم لم يعرفوا الحديد ولا غيره من المعادن، ولم يعرفوا أو يستعملوا إلا الخشب الذي يأخذونه من الأشجار المحيطة بهم.

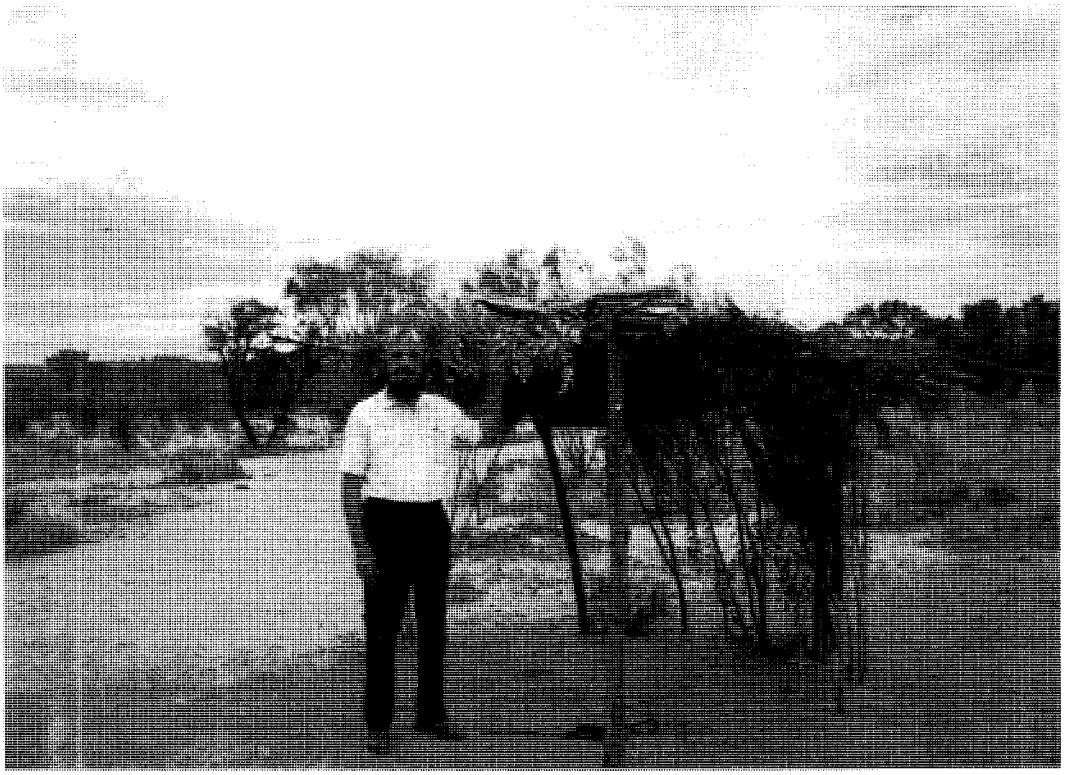

المؤلف عند عشة للأستراليين الأصلاء

وقال: سوف نشرح لكم ما يفعلون بهذه الأدوات التي هي كلها من الخشب، ثم نذهب بكم إليهم بعد ذلك ليخبروكم بأحوالهم ويحدثوكم عن مميزات قبائلهم.

وكان أول ما بدأ به أن تناول إحدى الأدوات الخشبية وهي تشبه المنجل، إلا أنها أكثر استقامة أو قل: إنها أقل تقوساً منه.

وقال: هذه تستعمل في صيد الطيور، وهي تطير، تحذف خلف الطائر فقد تصيبه، وقال: من عادتهم أن يذهب أناس منهم إلى البحر أو قال إلى شاطئ البحر، فينفروا الطيور فتطير فوق البر، فيحذفونها بهذه الأداة الخشبية التي هي حادة الطرف

كما ترون، ولابد من أن يكون من يحذفها قوي البنية حتى تكون ضربته قوية، ولابد من أن يكون قد تمرن على ذلك، حتى تكون الإصابة منه محتملة.

ثم أراها أحد السياح ممن يجلسون في طرف الصف من الكراسي، وأمره أن يناولها من بجانبه، وهذا يناوله من بجانبه إلى أن رأوها كلهم، وقد تأملتها فوجدتها من خشب صقيل قوي، ولكنها ليست ثقيلة، ولابد لكي يكون الحذف فعالاً من استعمال زواياها بمهارة ومعرفة اتجاه الريح واتجاه الطائر الذي يحذف بها لأنها لا تذهب إلى الأمام مباشرة.

صيد صغار الكنقرو:

أرانا بعد ذلك أداة خشبية ذكر أن اسمها عندهم (كالي) وأنها معدة لصيد صغار الكنقرو: حيوان أسترالي الشهير، وهي شبيهة بالحربة إلا أنها من الخشب، وذات رأس من الخشب هو جزء منها، فهي قطعة واحدة، وهي تشبه العصا الصغيرة ذات الرأس المدبب المحدد.

وقال: (كالي) هذه لا تقتل الكنقرو، ولكنه تصيبه فيتدحرج فيسرع الرجل من (أبورجنرز) ويمسك به.

ولهم في ذلك قواعد وأصول، لأنه إما أن يحذف بها السلاح الخشبي صغير الكنقرو فيتدحرج وذلك بضربه مباشرة، فيأخذ الحيوان، وأما أن يحذف هذا السلاح بحيث يضرب الأرض من مكان معين من المسافة، فيقفز هذا السلاح بعد ارتطامه بالأرض، ويصيب الكنقرو فيقبض عليه الرامي.

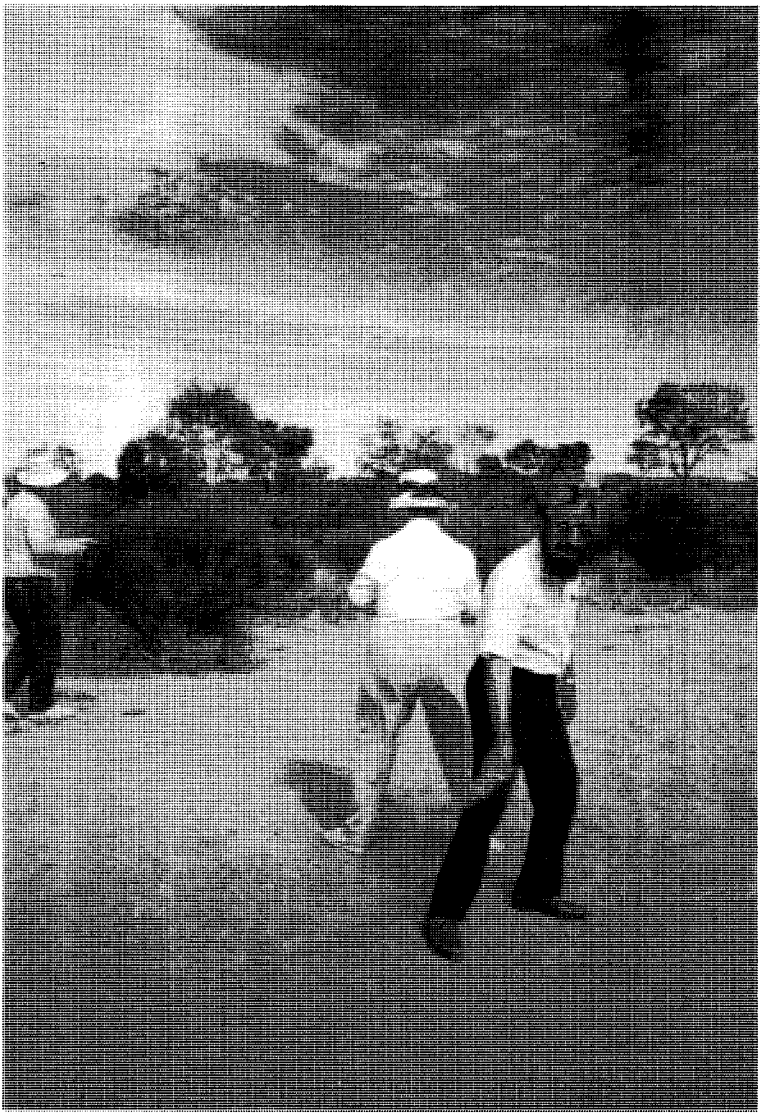

المؤلف يحاول حذف السلاح الخشبي الذي يصطاد به (الأبورجنال) الكنغرو في بادية اليس اسبرنغ

تانلالا:

أخذ معه ما يشبه العصوين: تثنية عصا، وقال: هذه تسمى (تانلالا)، وقال: هذان الاثنان يستعملها (أبورجنرز) لحفر أصول الشجر الرطب فقد يكون تحتها ماء، وقد يجدون تحته عروقاً رطبة للشجرة.

وقال: وهما يستعملان أيضاً لصيد حيوان الكنقرو والطيور البعيدة، وأحياناً يستعملونها لضرب النساء، فضحكت السائحات من النساء اللاتي معنا وهن في العدد مثل الرجال أو أكثر.

وقالت إحداهن: لماذا يضربون النساء؟ ولم يرد الدليل على ذلك، وقال: قد يضرب بها حيوان الكنقرو إذا قاوم.

ثم أرانا إياها فإذا هي من خشب ثقيل، ذكر أن اسمه- أي الخشب- (موقه) وبعد ذلك تكلم على أداة أخرى ذكر أن اسمها (ويلكي) وهي طويلة معكوفة الطرف من الخشب أيضاً تستخدم للصيد وللدفاع عن النفس، وهي في نحو المتر، إلا أن لها طرفاً حاداً بقدرما يسمح الخشب أن يكون حاداً، وأخذ بيد أحد السياح وهو شيخ هرم وصار يمثل ذلك بأن يهوي بهذه الأداة على رأس السائح كالذي يريد أن يضربه على عنقه، ثم يري السياح كيف يطعن به أيضاً بطن الشخص.

وبهذه المناسبة قال الدليل: الأبورجنرز: جماعات صغيرة، والحروب القبلية الكبيرة ليست منتشرة بينهم.

وذكر أن هذه الأداة الخشبية هي أيضاً من خشب الموقة القوي.

المؤلف في إحدى العشش التي أقامها السكان الأستراليون الأصلاء (الأبورجنرز) في برية اليس اسبرنغ

السيف الخشبي:

كان أسلافنا العرب يذكرون السيف الذي يصنع من الحديد الذكَر وهو القوي، ويتغالون في اقتنائه، ويذكرون السيف الهندي الذي يسمونه مهند بمعنى أنه مصنوع في بلاد الهند أو من حديد جاء من الهند، وقد بلغ بهم احتفاؤهم بالسيف أن ذكروا أنهم وضعوا له أكثر من ألف اسم، وقرأت في بعض الكتب اللغوية أنه لا يوجد في اللغة العربية شيء له ألف اسم إلا ثلاثة هي: الأسد والسيف والحب.

أما الأسد فإنه لا يوجد في هذه القارة الأسترالية، ولذلك لا يعرفه أولئك القوم في لغتهم حتى يضعوا له الأسماء الكثيرة، أما السيف فإنه هذا الخشبي، وإن لم يكن مثل السيف العربي القاطع، وأما (الحُبُّ) فإننا لا نعرف لغاتهم حتى نعرف مدى ما قالوه في الحب وتأثيره عليهم.

لغات الأبورجنرز:

ننقل هنا ما ذكره الدليل عن لغات هؤلاء القوم الأستراليين البدائيين لمناسبة الحديث عن الحب، وعدم معرفتنا بما قالوه عنه في لغتهم، وإن كان يمكن الرجوع إلى أبحاث لابد أنها تطرقت إلى ذلك، ولكن كتابنا هذا مثل سائر كتبنا في الرحلات هو كتاب مشاهدات، وذكر ما يتعلق بها من أحداث أو أحاديث.

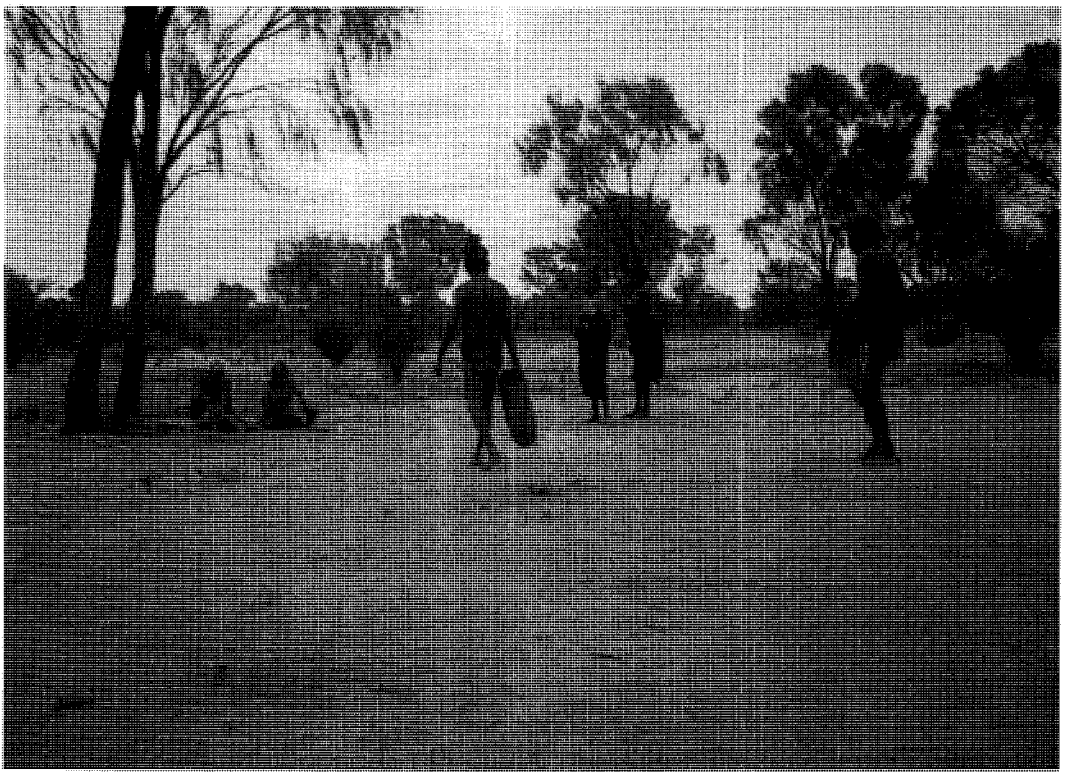

أستراليون أصلاء (تصوير المؤلف)

قال الدليل: لا يزال الأبورجنرز يتكلمون بلغتهم، وإن كان أكثرهم يعرفون الإنكليزية، غير أنه ليست لهم لغة واحدة، بل لهم أكثر من ٢٠٠ لغة لا يستطيع بعضهم أن يتفاهم مع الذين لا يعرفون اللغة الخاصة بقبيلته إلا بالإشارة أو بالإنكليزية.

ونوه بما رمى الغربيون به هؤلاء القوم البدائيين الأستراليين بأنهم ليست لهم رغبة في التعلم، لذلك لا يرسلون أولادهم إلى المدارس، ولا يرغبون في تعلم اللغة الإنكليزية إلا أنهم يضطرون إلى استعمالها اضطراراً للتفاهم مع الآخرين.

قال: وفي السنين الأخيرة تغيرت بهم الحال فصار ٤٠% إلى ٥٠% منهم يرسلون أولادهم إلى المدارس.

وغني عن القول أن لغاتهم غير مكتوبة، فلم يعرفوا الأبجدية، بل لم يعرفوا أي نوع من أنواع الكتابة، ولذلك لم يخلف أوائلهم آثاراً أو نقوشاً على الحجارة لأنهم وإن أرادوا ذلك لا يستطيعونه، لأنه ليست لديهم أدوات حديدية ينقرون بها على الصخر نقوشاً، أو رسوماً تبقى على الدهر، وإن كانت وجدت نقوش لهم وربما كانت لمتأخريهم على الحجارة منقوشة بحجارة حادة، فإنها قليلة وأكثرها غير واضح.

ونعود إلى الحديث عن السيف الخشبي الأسترالي، فنقول: إنه أداة خشبية اسمها عندهم: (أوميرا) عرضها الدليل بيده، وأخذ يهزها بيده كمن يريد أن يضرب بها إنساناً أو حيواناً وهو- بالفعل- يريد أن يطلع السياح على كيفية الضرب بها.

إنها ليست السيف المعروف، وإنما هي من الخشب فهي خشبية، وشكلها قريب من شكل السيف، فهي أقصر من السيف المعروف عندنا، وهي أقل تحديباً ولكن في شكلها تحديب كما يكون في السيف.

ومعها عرض الدليل (الرمح) الخشبي أيضاً، وهو عصا طويلة محددة الرأس، وذكر أنه يمكن أن يصل مداها إلى مائة متر أو مائة وخمسين متراً، إذا حذفها رجل قوي منهم فتصيب الرمية الذي غالباً ما يكون (كنقوروا)- نسبة إلى حيوان الكنقرو- في البر أو غيره.

السلاح ضد الآدمي:

وبعد عرض السيف والرمح الخشبيين عرض عصا طويلة ذكر أن اسمها عندهم (ولوم بركر) وقال: إنها تستخدم لضرب أسفل الركبة من الإنسان الذي يعتقدون أنه مكان مؤلم للمضروب، وفعال في شل حركته، وقال: وبها أيضاً يحفرون الأرض، ويجعلون علامات للحدود بها.

وقال: كانت القبيلة من هؤلاء القوم تعاقب القبيلة الأخرى عند ما يقتل أحد أفرادها قتيلاً منهم، وقال: ولكن الحكومة هي التي تعاقب القاتل الآن، إلا أن القبيلة التي قُتِل أحد أفرادها تعاقب القاتل بكسر رجله.

المجتمع القبلي:

ذكر أنهم يعيشون في مجموعات تتألف المجموعة الواحدة منها من ٢٠٠ شخص، وأن أفراد القبيلة يحمي بعضهم بعضاً، ويساعد بعضهم بعضاً في البقاء على قيد الحياة، وذكر أنه حتى الذين يعيشون منهم في المدينة يرجعون إلى قبائلهم في أكثر الأحيان، ويعيشون معيشتهم لفترة من الوقت.

أقول: ذكر لي كثير من الإخوة الذين يعرفونهم أنه حتى الذي اعتاد على شرب الخمر في المدينة إذا خرج إلي قبيلته في البرية ترك شرب الخمر، وصار يعيش معيشتهم، لأنه ليس في معيشتهم القديمة شرب الخمر، ولم يكونوا يعرفونها، وإنما عرفوها من الأوروبيين، ولما عرفوها وقعوا في حبائلها وصاروا لا يتركونها، بل صاروا ينفقون جل ما يملكونه على شربها، حتى يظل بعضهم سكران أكثر وقته، وليس له هم إلا أن يشرب الخمر، ويبقى دون عمل.

إلا أن الدليل استدرك قائلاً: إن الذين في المدينة قد تغيروا، ففي أول الأمر عندما أسكنت الحكومة بعضهم في منازل صاروا يخلعون أبوابها ونوافذها، ويوقدون

بها على الطعام، لأنهم لم يكونوا يحتاجون إليها في نظرهم، ولكنهم الآن اختلفوا.

وقال: المؤكد أن هؤلاء الذين يعيشون الآن قرب المدينة كانوا قبل ٧٠ سنة أو ١٠٠ سنة يعيشون معيشة إنسان العصر الحجري قبل أن يعرف الحديد، بل لم يعرف إلا أقل القليل من المعارف الإنسانية.

قال: وفي ذلك الوقت قبل ١٠٠ سنة لم تكن توجد خيول ولا غيرها من الدواب يمكن أن يتنقلوا عليها، وإنما ينتقلون من مكان إلى مكان آخر على أقدامهم يحملون أشياءهم القليلة البسيطة كهذه الأدوات الخشبية التي رأيتموها معهم.

تمثال الكنقرو:

بالنظر إلى كون الكنقرو هو الحيوان الوحيد الموجود بكثرة في أستراليا، وأنه ليس في السرعة مثل الحيوان الذي يجري على أربع، فإن هؤلاء البدائيين الأستراليين كانت لهم طرق في صيده وأكله، ولذلك نصبت شركة السياحة تمثالاً من رقائق الخشب للكنقرو مثبتاً في المكان الذي يشرح فيه الدليل لنا ما ذكرناه عن الأدوات الخشبية التي كان يستعملها (أبورجنرز) ليري السياح كيف يصطادونه.

ثم أعطى الأداة أو لنقل السلاح الخشبي الذي كانوا يستعملونه لصيد الكنقرو، وكيفية إصابته لأن السلاح الخشبي خفيف بطبيعة الخشب، ولا يقصد قصداً للكنقرو لأن الهواء يقاومه- كما هو معروف- لذلك صارت لهم قواعد لحذفه وإصابة الكنقرو به.

وطلب من كل سائح أن يحاول إصابة تمثال الكنقرو، فلم يستطع ذلك أحد منهم مع أن البعد عنه ليس كبيراً كما قد يفترض في الواقع الحقيقي.

وقد طاشت رميات السياح وبعضهم عجز حتى عن أن تقترب رميته منه ومن ذلك الأمريكيون الذين صنعت أمتهم الصواريخ الدقيقة التي زعموا أنها تصيب الهدف بدقة من مسافة آلاف الأميال.

وذلك وسط ضحكات السياح، ومرحهم، لكونهم جاءوا في رحلات سياحية ينشدون منها أن توفر لهم المرح والمتعة.

وحاولت عندما جاء دوري أن أصيبه فلم أستطع ذلك، ولم يكن سهمي في طيشانه وبعده عن الهدف من أكثر السهام.

هذا وكان ميدان الشرح أو لنقل: إنها المحاضرة التي كان يلقيها الدليل على السياح أرضاً صحراوية رملية خالية من الغبار، بل هي عذية التربة كما كان قومنا العرب يقولون، وكان الهواء أيضاً صحراوياً جافاً معتدلاً خالياً من الرطوبة، وكان مطر قد أصاب الأرض منذ مدة قريبة فلبدها، وكانت الأشجار البرية وأهمها الكينا التي لم نكن نعرفها في بلادنا من قبل، وعندما عرفناها عرفناها مغروسة كما تغرس الأشجار الأخرى، وليست برية وحشية تبدد وحشة الصحراء، بل تحاول أن تغير من طبيعتها لولا أن شح الماء وقلة نزول الامطار تمنعها من ذلك.

وحتى الذباب آفة أستراليا العامة الفظيعة لم يكن موجوداً إلا بأعداد قليلة مثلما تكون عليه في بلادنا الصحراوية في مثل هذه الحالة، وليس على ما هو عليه في المدن الأسترالية والبراري الأخرى فيها الذي كان يوجد فيها بكثافة لا يصدقها إلا من رآها، وتأذى به.

وقد ذكرت شيئاً مما عانيناه من هذا الذباب في كتاب: (في غرب أستراليا) من هذه السلسلة من الرحلات الأسترالية.

وجبة الأبورجنرز:

من أصعب الأشياء أن يتصور الإنسان حتى غير المتمدن كالأغرابي في الصحراء كيف يعيش هؤلاء البدائيون، وهم لم يعرفوا المعادن ولا القدور ولا أواني الطبخ الأخرى كالفخار فضلاً عن الخزف، كما أنهم لم يعرفوا السلاح من الرماح والسكاكين الحديدية التي قد يستعملونها في معيشتهم.

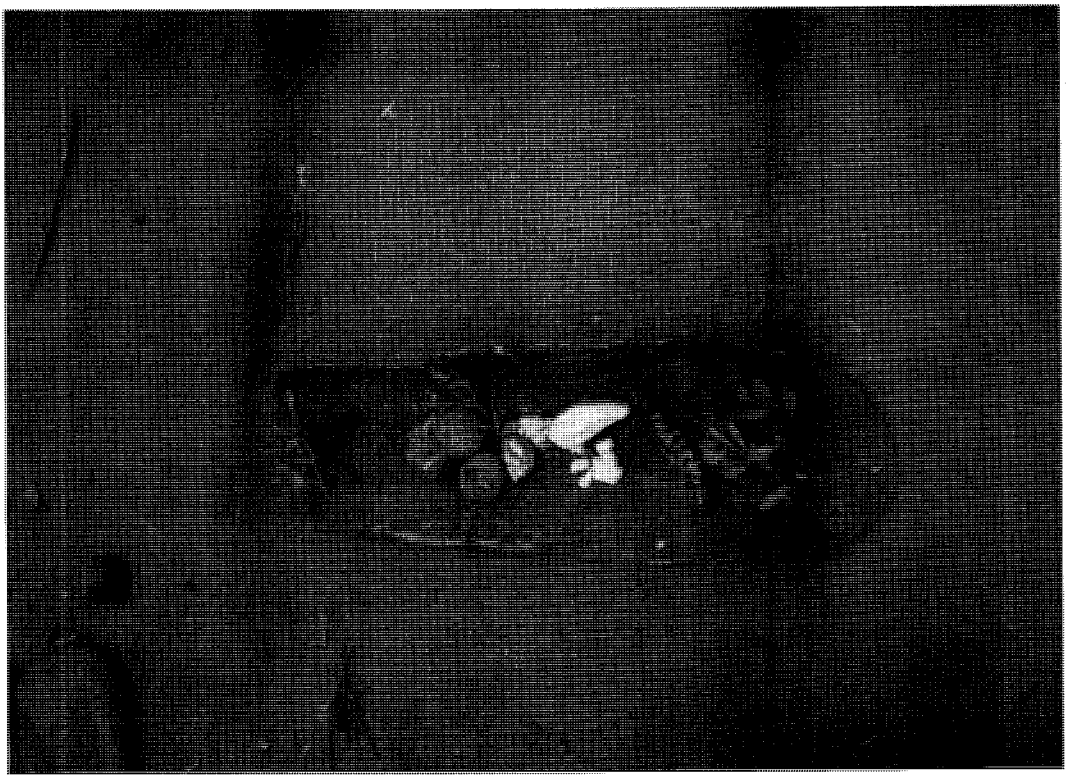

وجبة الطعام للأسترالي الأصلي على قشر شجرة

ولذلك كان لشرح الدليل كيفية معيشتهم في الغابة كما كان يقول ويكرر، وحق له ذلك، لأنه حتى هذه المنطقة الصحراوية فيها وديان ذات أشجار برية ملتفة، ويقول: الغابة تكفل لهم ذلك.

كنا قد ابتعدنا عن الحافلة التي نقلت السياح داخلين مشياً على الأقدام إلى داخل الصحراء نتبع هذا الدليل كما يتبع التلاميذ الصغار معلمهم، وذلك من دافع حاجتنا، بل تلهفنا إلى معرفة ما ذكرناه.

وجدنا ناراً موقدة بدقيق الحطب ليست كبيرة، وليس وقودها من الحطب

الجزل، وليس عندها أحد، وتبين أن شركة السياحة التي رتبت البرنامج هي التي أعدتها، وكنا نحمل الكراسي الصغيرة التي قدمت ذكرها، فأمرنا أن نتحلق حول النار جالسين على هذه الكراسي الصغيرة، ولك أن تعجب من نار في الصحراء يجلس الناس حولها على كراسٍ مع أن الأرض رملية نظيفة، وإن يكن رملها غير منهال فهو متلبد، وهي مستوية.

هذه النار موقدة عند عشة غير محكمة، بل هي رثة من عمل الأبورجنرز شبيهة بالتي جلسنا تحتها عندما كان الدليل يشرح لنا أمر الأدوات الخشبية التي كان يستعملها أولئك القوم.

وجدنا عند النار التي كان أحد القوم يضع عليها عيداناً دقيقة كانت موجودة لكي يستمر اتقادها شيئاً متخذاً من جذع شجرة يشبه السلة شكله كلوي ولكنه مستطيل نوعاً ما، وقال: هذا مهم لهم لأن المرأة تضع فيه مولودها تحمله فيه، وتضع فيه بعض الأشياء التي تحتاجها مثل جمع الطعام من الغابة، ومثل تنظيف الحبوب التي يأخذونها من الشجر أو النبات، واسمها: (كرجا).

ورأينا وهو يشرح لنا ذلك جماعة من (أبورجنرز) بعضهم تحت ظلال شجرة هناك، وبعضهم يستظل بعشة أخرى صغيرة ليس لها ظل يستحق الذكر، وتبين أنهم لا شغل لهم مثل أسلافهم إلا الجلوس والبحث في الغابة كما سماها عن طعام، ولكن هؤلاء كانوا جالسين بدون أي عمل- غير أنهم كانوا بعيدين عنا، وسألت الدليل عما إذا كان من الممكن أن نذهب إليهم، فقال: سيكون ذلك فيما بعد.

لا يهتمون بالنظافة:

كنا جالسين على الكراسي حول النار التي تأذت من دخانها بعض عيون نساء البيض، ولكن حب المعرفة أنسى الجميع ذلك، واستأنف الدليل شرحه فقال: كان أولئك القوم بصفة عامة لا يهتمون بالنظافة، ولا يعرفون الاغتسال، وأجيال منهم

مضت عليها مئآت السنين لم يغتسلوا، ولم يغتسل آباؤهم وأجدادهم، ففي هذه المنطقة التي هي من مواطنهم الأصلية لا يوجد أنهار ولا مياه متوفرة، غير أن القذارة أفادتهم لأن تراكم الأوساخ على الجلد يمنع من لسع بعض الحشرات فهي تنفر من رائحتها، وبعض الأشخاص تقيه قذارة جسمه لسع أذى تلك الحشرات إذا لسعته، فعلق أحد الحاضرين من السياح قائلاً: إذاً عليهم ثياب من القذارة!

ولم يعلق أحد على هذه العبارة، لأن الرثاء لهم من هذه الحال قد جعلنا على حالة من الاستغراب والوجوم لا مكان فيها لمثل هذا الكلام الذي أخرجه قائله من باب الدعابة وإرادة النكتة.

وقال: الحكومة تقدم لهم الطعام، وبعضهم لا هم له إلا شرب الخمر، وقال: إذا صادوا كنقرو دعوا جماعتهم كلها لأكله.

وقال: حتى النقود إذا أعطتها الحكومة للرجل وزعها على أقاربه، لأن ثقافتهم توحي إليهم أن الإنسان جزء لا يتجزأ من عشيرته.

إلا أنه استدرك قائلاً: أكثر التقاليد القديمة القوية صارت تتلاشى الآن للأمن والحضارة

طعام الأبورجنرز:

أخرج الدليل حبوباً صغيرة رمادية اللون أشبه ما تكون بحبيبات السكر لولا أنها ليست بيضاء وليست حلوة بل ليس لها طعم خاص، ووضعها في ذلك الذي اسمه (كرجا) بلغتهم، وهو الوعاء الخشبي الذي يشبه الشكل الكلوي المستطيل، وقال: هذه الحبوب يأخذونها من بعض الأشجار ويأكلونها.

ويبدو لي أنها ربما كانت من طلع بعض الأعشاب، إلا أن كثيراً من الأعشاب عندنا كالبروق تكون لها حبوب تسقط عند نضجها في آخر الربيع، وتبقى في الأرض فتأتي الطيور تلتقطها وتعيش عليها، وربما كانت من شجر عندهم لا نعرفه.

الدود الذي يأكله (أبورجنرز) وهم الأستراليون الأصلاء

وقد أعطانا منها بعد أن وضع شيئاً منها في فمه، وقال: يمكنكم تذوقها، وقد أسرعت إلى تذوقها، لأنها لا تكون ضارة ضرراً كبيراً، وهي غذاء شعب لسنين طويلة، ربما بلغت مئآت الآلاف حتى ولو كان شعباً بدائياً، فذقتها وعلكت بعضها فلم أجد لها طعماً.

وتذكرت وأنا أفعل ذلك أن الأعراب في بلادنا كانوا يأكلون في سني الجدب حبوباً صغيرة مثل هذه يسمونها السمح، وحبوباً أخرى مثلها تسمى (الدَّعاع).

كما يروون عن بني هلال أنهم أصابتهم سبع سنوات عجاف قضت على كل

ما كان لهم من مقومات العيش حتى أكلوا حبوب الأعشاب وقال شاعرهم:

ماكولنا حب الدَّعاع، وخلطـه (سَمح) وعـيد الغانـيات شـعير

يريد أن الشعير عندهم لا يقدم إلاّ في الأعياد والأعراس ونحوها لنفاسته وقلته.

والأول من هذه الحبوب وهو (السمح) كان يعرف عند العرب الفصحاء باسم (الفث) كما قال شاعرهم:

لم تعرف الفثَّ والدعاع، ولـم تأكـل هَبيـدا يجنيـه مهـتبده

والهبيد معروف لنا، وكان شائعاً عندنا، وهو حب تمر الحنظل المر، بل الذي يضرب المثل بمرارته، وأما (الدعاع) فإن هذا هو اسمه الأصيل الفصيح لم يتغير، وقد ذكرت اللفظين وتكلمت عليهما بتوسع في كتاب: (معجم الألفاظ العامية).

القذارة المأكولة:

يختلف استقذار الشيء ما بين شعب إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى، غير أن هناك أشياء يتفق أكثر أعضاء المجموعة البشرية على استقذاره وإن كانت توجد جماعات قليلة لا تشارك الأكثرية في ذلك.

ومن ذلك ما فعله الدليل إذ أخذ كرة من عدة كرات صغيرة أكبر من البيضة بقليل مشابهة للون جذع الشجرة اليابسة وأعطانا إياها لنتأملها، فلم نر فيها إلا أنها ثمرة شجرة برية يابسة غير أن الأمر اختلف عندما أخرج من جيبه مطواة صغيرة وهي السكين الصغيرة التي تدخل في نصابها، وفلق بها هذه الكرة فوجدنا في داخلها دودة قبيحة المنظر، لأنها ممتلئة الجسم، فكأنما رويت من شيء، وقال بدون مبالاة: هذه من الطعام المفضل لأبورجنرز، وأرانا حجراً ملأ الكف فيه تحديد وقال يكسرونها بها، وليس بمثل هذه السكين لأنهم لم يكونوا يعرفون الحديد، وذلك بعد وضعها على حصاة منبسطة.

كدت أغالب القيء وأنا أشيح بوجهي عن منظرها لأنها ذكرتني بدحروجة الجعل التي تكون من براز الإنسان أو روث الحيوان يدحرجها ثم يحفر لها في الأرض جحراً يضعها فيه بعد أن يضع فوقها بيضه ويدفنها، ثم يذهب ويتركها، فيدركه الحر الشديد فيموت لأنه يفعل ذلك في فصل الربيع.

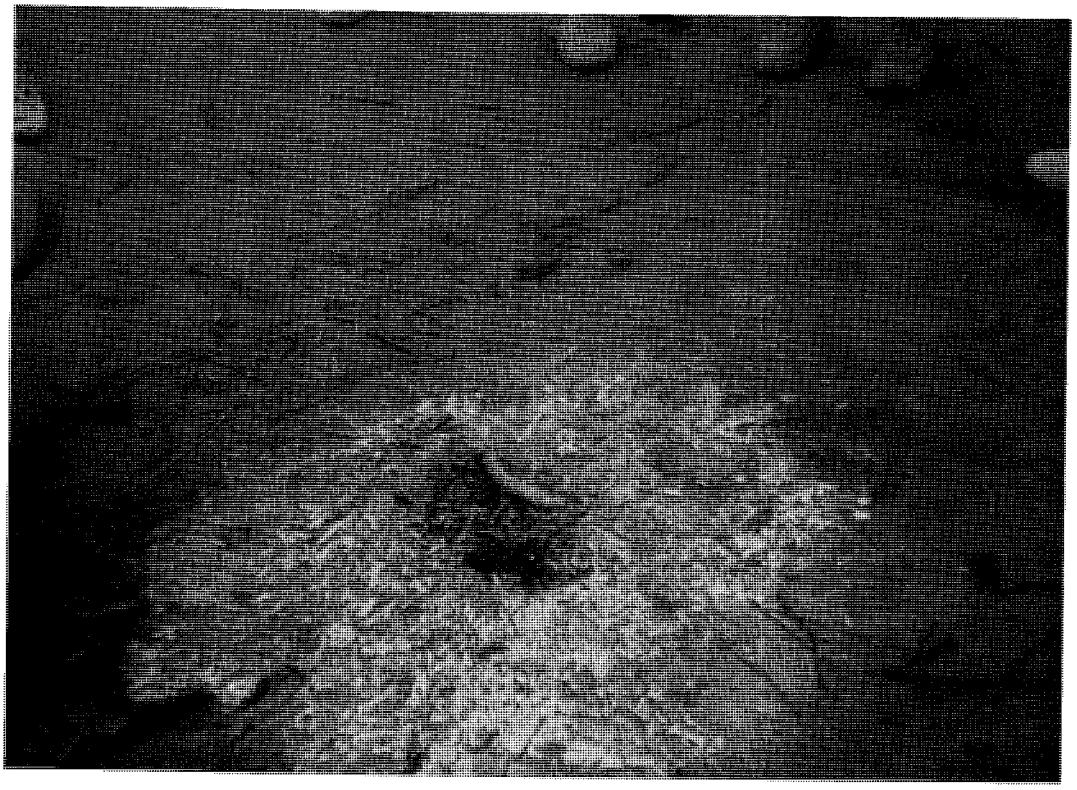

الدودة الكبيرة تشوى على الجمر عند منازل الأبورجنال في بادية اليس اسبرنغ

ويفقس بيضه بعد ذلك تحت الأرض، ويتغذى على هذا القذر من براز الإنسان أو الحيوان طول السنة يتطور أثناءها من دودة إلى جُعل وهو الحشرة السوداء الطائرة.

وقد تصورت أنها ربما كانت دحروجة الجعل نفسها، إلا أنني سمعت الدليل يقول: هذه ثمرة شجرة هنا تأتي إليها حشرة فتخترقها، وتضع بيضها داخلها ثم

تتركها فيفقس ذلك البيض عن دودة هي هذه يأخذها (الأبورجنرز) ويأكلونها.

فعرفت أنها ليست بها فأخذت واحدة منها لم يفتحها ولمستها فإذا بها بالفعل مثل طلع بعض الشجر إذا يبس مغضنة الجلد عليها ما يشبه الخيوط من الخيش، وشممتها فإذا ليس فيها من رائحة الروث أو القذر شيء، ولكنني تصورت الدودة وسطها فرميت بها.

فتح الدليل كرة أخرى وثالثة، وكلها فيها الدود الذي هو كبير بالنسبة إلى حجم الكرة التي هي أكبر قليلاً من كرة المضرب التي هي التنس، ووضعها في ذلك الإناء بجانب الحب الرمادي الداكن الذي ذكرته.

ثم أخرج دودة كبيرة ذات أرجل كبيرة تشبه الروبيانة- واحدة الروبيان- وهو الأربيان في الفصحى والجمبري بالعامية المصرية، لها أرجل عديدة ولها رأس كريه المنظر وهي كبيرة، وقد تقبضت حتى انثنت قليلاً نتيجة لأخذها بيده، وصار يريها السياح، ويقول: هذه من طعام الأبورجنرز المفضل.

ولم أستطع لمسها لأنها الدودة المكروهة التي نعرف مثلها أو قريباً منها في بلادنا تكون في البرية إبان الربيع، إذا جاء الخصب، ولا توجد في أيام الجدب، والدليل يقول ويعيد القول: إنها من الطعام المفضل للسكان الأستراليين الأصلاء (أبورجنرز).

ولم أصدق ذلك لولا أنني سألت أحد السكان الأصلاء أنفسهم عن ذلك عندما اجتمعنا بهم فقال هذا صحيح.

وقال الدليل: هذه الدودة الكبيرة تؤكل مشوية، بخلاف الأولى هذه التي تكون في باطن الكرة فإنها تؤكل نية، وسوف أريكم كيف يأكلونها.

وضع الدودة داخل الرماد الحار الذي ذهبت النار منه، ودفنها، ثم استخرجها بعد قليل وقد تجمدت مثلما يكون بياض البيض سائلاً ما دام نيئاً فينعقد عند الطبخ، وقد انعقدت بالفعل لأنه أخذ يقطعها بسكينه الصغيرة التي يحملها في جيبه إلى قطع صغيرة بيضاء المقطع جامدة وبعضها بجانب الدودة النية، بل الحية والحبوب الدقيقة الرمادية.

أهو ثمار الشفلح؟

جاء بعد ذلك بشيء ذكر أنه من هذه الغابة وهي ثمر شجرة يشبه شكله شكل الخيار، وهو في لون الخيار المعروف أخضر يميل قليلاً إلى الصفرة أملس الجلد، مع تخطيط قليل في لونه، ولكنه أصغر من الخيار، وقال: هذه ثمرة شجرة يجمعونها ويأكلونها، وتذكرت أنني رأيت ما يشبهها من قبل، بل تذكرت أنني كنت أراها قديماً، وإن كنت قد نسيتها منذ سنوات طويلة، ربما تبلغ نصف قرن، وإذا بها شبيهة بما تذكرت أنني عرفته، وهو ثمر شجرة الشفلّح وهو شجر صحراوي كان يوجد عندنا بكثرة وهو شائك، بل إن شوكه شديد الوقع على الجسم، لأنه معكوف الطرف، وأما ثمره فإنه أصغر من هذه التي أحضرها الدليل، ولكنه يشبهه فيما عدا ذلك، بل إنه هو هو، وذلك أنني شممته فوجدت رائحته رائحة ثمر الشفلح، وأكل منه الدليل قليلاً وأعطى السياح قطعة قطعة أكلوها، وجربت أكله فإذا به ما ذكرته.

وكنا نأكل ثمر الشفلح الذي يشبه هذا لأن في داخله إذا نضج حلاوة، ولكن هذا الذي أحضره لم ينضج، وهذا ما نعرفه عنه.

وقلت في نفسي: أهو الشفلح الصحراوي العربي حملته الريح عبر المحيطات إلى هذه البقعة من بقاع أستراليا أم العكس؟ ثم قلت الله أعلم.

ووضع الدليل هذه الثمار بجانب ما سبق في ذلك الإناء الذي هو من جذع شجرة من الشجر ثم أحضر ورقاً غضًّا من شجرة يشبه ورقها ورق شجر الكينا، وربما كانت نوعاً منه، ووضعها بجانب الأشياء التي ذكرتها وقال: هذه يستعملونها بمثابة الخضرات، وقال: الآن اكتمل إعداد وجبة (أبورجنرز) فهل تأكلون؟

وهكذا انتهى هذا الفصل من الحديث عن أبي رجنرز: سكان أستراليا القديمة.

أبورجنرز يتحدثون:

وبقي الأهم عندي وهو أن نراهم ونرى تصرفاتهم.

ذهب بنا إلى حيث هم قد جلسوا على الأرض وبعضهم قد استلقى أو مدد جسمه، وقف بعضهم عندما جئنا، وبعضهم ظل جالساً، أو نائماً، وكأنما هو لم يبال بنا، بل بدا كما لو كان ينظر للا شيء.

التقطنا صوراً مع الواقفين والتقطت صوراً لامرأتين كانتا جالستين، وقد أخرجت إحداهما صدرها، ولم افطن إلى ذلك، إلاّ بعد مضي وقت لأنها كانت قد صبغت صدرها بالصبغ حتى بدأ كأنما هو جزء من قماش كالفوطة الصغيرة كانت تضعه على وجهها.

إثنان من الأستراليين الأصلاء في شبه محاورة تمثيلية في البرية

ومع ذلك فإن الرجل منا- وهذا هو ما شعرت به- لا يملك أي شعور بتكرار النظر إليهن، إلا نظر الاستغراب، لأنه لا شيء يهمه مما يكون في المرأة ويجعل الرجل يكرر النظر إليها.

فكل واحدة منهن في منتصف العمر، وتبدو كما لو كانت عجوزاً مثلها مثل الرجال الذين يبدو الواحد منهم أكبر من عمره الحقيقي.

ومع ذلك قد شينوا وهم يزعمون أنهم قد زينوا أجسامهم بأصباغ ملونة.

وبدا لي الواحد منهم كما لو كان مستحييا أو منكسر الخاطر.

وقال الدليل يخاطب السياح: انظروا إليهم وإلى ما حولهم، فلن تجدوا لديهم مطبخاً، ولا أي شيء يطبخ، وإنما يعتمدون على ما تخرجه الأرض من شجر أو نبات أو نحو ذلك.

والشيء الغالب عليهم بمعنى العام فيهم أنهم لا يتمتعون بأي شيء مما نعتبره مقاييس للجمال، فتناسب الأعضاء في الجسم أو حتى في تقاسيم الوجه غير موجود لأن الفم يكون- في المعتاد- بارزاً، والأنف يميل إلى القصر، ولكنه ليس كأنوف الصينيين الجنوبيين، وغيرهم من الفطس الذين يسكنون جنوب آسيا الشرقي، والوجنتان بارزتان ولكنهما أقل بروزاً من بعض الأفارقة، والشيء المهم الواضح فيهم ضيق الجبهة وبروزها فالجبهة والمراد بذلك منها ما يكون فوق الجبين مباشرة مرتفعاً إلى الرأس هي ضيقة بشكل ظاهر، وكذلك هي بارزة أيضاً.

ولهم جميعاً لحى: جمع لحية، والمراد بذلك الشعور التي توجد عادة في الوجوه، وليس مجرد الشعر الذي يكون على الذقن، كما يكون لدى قومنا السعوديين حيث تكون اللحية مهذبة منقوصة من كل جانب ولكنهم مع ذلك لا يعتبرون من ذوي اللحى الكبيرة كالهنود، وبعض الأوروبيين الذين يطلقون لحاهم.

وأما شعر الرأس فإنه عندهم وأفر كث، ولكنه ليس سبطاً مرسلاً، ينساب على الكتفين أو يبلغ إلى ما هو أسفل منهما.

والعجيب أنهم لم يرحبوا بنا، ولم ينفروا منا، وإنما بدا مظهرهم كما لو كانوا غير مبالين، مع أن العكس ربما كان صحيحاً، لأنهم كانوا قد علموا بزيارة السياح، وربما كانوا تهيئوا لذلك، وأخذوا على ذلك شيئاً من المال، لأن هذا أمر يتكرر معهم، ومع غيرهم فيما اعتقد.

الكوبري:

انصرفنا عنهم من دون أن نحييهم أو يحيونا، ولو بابتسامة خفيفة، أو مجاملة عابرة، وانصرفنا نتبع الدليل إلى مكان غير بعيد فيه عشة أخرى من عششهم التقليدية، فوضعنا الكراسي التي كنا نحملها وهي خفيفة الحمل وخط الدليل دائرة في الأرض بما يشبه العصا معه، وقال: ليبق كل واحد منكم خارج هذه الدائرة، فهكذا تقضي عادات الـ(أبورجنرز) وتقاليدهم.

ثم أخذ يشرح ويفيض في الشرح عما اسماه (الكوبري) وقال: إنه الفن الذي يعرفه الأبورجنرز وهو ليس رقصاً للإغراء والمتعة، أو نحو ذلك، وإنما هو يحكي حكايات، ويرمز إلى قصص من تراثهم.

قال: ولكل قبيلة من قبائل الأبورجنرز (كوبري) خاص بها، وإن كان موجوداً عند أكثرهم، وينطق به بفتح الكاف وإسكان الواو ثم باء مفتوحة بعدها راء مكسورة فياء.

وقال هذا الكَوْبري لا يعبر أيضاً عن دين لهم، بل عن ثقافة قديمة لهم.

دين الأبورجنرز:

تطرق حديثه إلى الدين الذي يعتقده هؤلاء القوم البدائيون، فذكر أنهم لديهم دينهم الخاص، وأنه دين بدائي، وأنهم يشيرون إليه في (الكوبري) وإن لم يكن الكوبري

رقصاً دينياً، وقال: يتلخص دينهم في أنه لم يكن شيء يوجد في الحياة، لا شمس ولا قمر، ولا أي شيء آخر، وإنما الإله، هكذا قال: الإله ولم يقل: الله هو الذي أوجدها فخلقها وكان أول خلقه سلسلة من الجبال ممتدة من الشرق إلى الغرب، وإن جبال أستراليا التي ترونها وغيرها هي جزء من تلك الجبال التي خلقها الإله في أول الدهر.

إن هذا التعريف بدينهم هو مختصر مبسط، ولا شك أنه قد جرت بحوث حول ذلك لم نطلع عليها، ولن نحاول ذلك لطبيعة كتابنا هذا، ولكننا نستخلص حتى من هذا الكلام المختصر فكرة ترد على من ينكر وجود الخالق سبحانه وتعالى، وهو إنكار صار مستهجناً عند جلة الباحثين، بعد أن وصل العلم الحديث إلى معرفة أشياء مذهلة عن الفضاء الخارجي بين النجوم والأفلاك، بل عن المجرات البعيدة، وعظمة خالقها مما لا يمكن للعقل أن يصدق معه أن ذلك وجد من غير موجد له.

قال تعالى: **﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعملون﴾** صدق الله العظيم، فوجود هذه العقيدة عندهم وهم القوم البدائيون الذين لم يعرف أنهم اتصلوا بأية ثقافة من ثقافات الشعوب المتمدينة القديمة والحديثة، وليس وجودهم في هذه البلاد حديثاً، بل إن الدليل نفسه قال: إنهم مضى عليهم في أستراليا ٤٠ ألف عام، وسمعت بعد ذلك أنهم كانوا فيها قبل ٥٠ ألف عام، يدل على أصالة عقيدة وجود الإله، بل توحيده في أول الأمر في نفوس أوائلهم.

هم من أهل الفترة:

وقد يدل ذلك على أنه كانت أرسلت إليهم رسل أو رسول واحد، ولكن يدل تعدد لغاتهم إذا كان ذلك أصيلاً فيهم، قديماً عندهم، على أنهم قد أرسلت إليهم رسل يعرفون لغاتهم وأنهم نسوا ذلك على مدى الدهور، لكونهم لا يكتبون ولا يقرءون، ولا يعرفون كيف يدونون تاريخهم.

ويأتي السؤال المهم لدينا نحن المسلمين عما إذا كان حكمهم في زمن انعزالهم أو عدم بلوغهم أي دين من الأديان، فضلاً عن الإسلام الذي هو أحدث الأديان

السماوية، وآخرها هو حكم أهل الفترة وهم الذين لم تبلغهم رسالة من الرسالات السماوية، فهل يحكم عليهم بأنهم من أهل النار بسبب عدم إسلامهم مع أننا لم نعرف أنه قد بلغتهم رسالة سماوية؟

ستأتي تتمة لهذه النقطة في ختام الحديث عنهم إن شاء الله.

العودة إلى حديث الدليل:

عاد الدليل إلى حديث الأبورجنرز فقال: (الكَوْبَري) ليس للتسلية، ولكنه للتعليم، ولكل قبيلة منهم (كوبري) خاص بها، وسترونه.

وقال: الكوبري كالرجل والمرأة، فالرجل يمثل الثعبان، والمرأة تمثل الغابة، فدخل الرجل تحت الأرض كرهاً للحروب بين القبائل والمرأة تبحث عنه في الأرض حتى وجدته.

أقول: يذكرني هذا بما كنا نسمعه من العامة عندنا أنّ آدم وحواء عندما أنزلا من الجنة إلى الأرض لم يكونا معاً، بل أنزل كل واحد منهما في مكان غير المكان الذي أنزل فيه الآخر، كما تقوله العامة، قالت: فصارت حواء تبحث عن آدم في الليل والنهار، وهو يبحث عنها في النهار فقط، وعندما التقينا، وبعضهم يقول: إن ذلك كان في عرفات قال لها: إنني أبحث عنك في كل النهار، فقالت وأنا لم أبحث عنك.

عدد الأبورجنرز:

قال الدليل: إنهم رغم تفرقهم في أنحاء أستراليا، وتعدد لغاتهم، فإن عددهم ليس كبيراً ، يقال: إنه كان (٣٠٠) ألف نسمة ثم زادوا حسب آخر إحصاء إلى ٣٨٠ ألفاً، وذلك في كل أنحاء أستراليا، وقال: زيادتهم قليلة، ومن الصعب إحصاؤهم بدقة.

فقلت له: هل يعرف من أي جهة جاءوا وإلى أي عنصر من الناس ينتمون؟ فقال: الظاهر أنهم جاءوا من سريلانكا.

ثم عاد إلى الكلام على (الكَوْبَري) فقال: أحياناً يستمر الكوبري ٧ أيام إذا أقاموه، ومع ذلك لا يتم تدريس أو تعليم تاريخهم من خلاله، لأنه ليس لهم تاريخ مكتوب.

وهنا سألته سؤالاً قد يبدو غير ذي موضوع عند بعض الناس فقلت له: هل جرت دراسات على أدمغتهم، وما إذا كانت أدمغتهم مثل أدمغة البيض؟ فقال: هم مثلنا، ولو عشنا معهم لصرنا مثلهم.

وهذا قول غير صحيح، لأن العرب عاشوا منعزلين في جزيرتهم، ولم يصبحوا مثلهم، بل إنهم طوروا أشياء كثيرة مما يستعملونه، واستأنسوا الحيوانات، وقرضوا من الشعر ما يعجز عن إيراد معانيه كثير من الأمم، وذلك قبل الإسلام الذي نقلهم من العزلة إلى قيادة الشعوب.

وكذلك الهنود الأمريكيون المسمون بالهنود الحمر عاشوا منعزلين، ولم تنزل على أيديهم رسالة سماوية، ومع ذلك استأنسوا الحصان وصادوا الجواميس البرية، واخترعوا أسلحة فتاكة مثل السهام المسمومة التي كانوا يطلقونها من أقواس معقدة، إلى غير ذلك من الأشياء المهمة، بخلاف هؤلاء القوم الأستراليين.

وذكر الدليل أن (الأبورجنرز) يمثلون الآن (٢٠٠) قبيلة لكل قبيلة لغة خاصة بها، ولبعض اللغات لهجات متعددة، ولا يفهم أهل الشمال شيئاً من لغات أهل الجنوب.

وهذا أمر ليس بالمستغرب، لأن اللغات في القارة الإفريقية متعددة بحيث إنه قد يوجد في المساحة التي تماثل مساحة أستراليا قرب خط الاستواء شمالاً، وما كان عنه جنوباً آلاف اللغات، ومثل ذلك جبال (قبج) كما يعرفها أسلافنا ويسمونها، أو القوقاز أو القفقاس كما ترجمها من ترجمها من متأخرينا الذين لم يكونوا يعرفون اسمها عند المتقدمين ففيها لغات عديدة ويكفي أن يعرف المرء أن في جمهورية داغستان التي تؤلف جزءاً من تلك الجبال فيها ٣٥ لغة لا يعرف أهل لغة لغة الآخرين الذين لا يبعدون عنهم ببضعة كيلومترات.

وسبب كثرة اللغات في مثل هذه المواطن إضافة إلى الأمية وعدم الكتابة استقرار الجماعات في مكان معين، فيه ما يكفيهم من أسباب العيش في العصور السالفة عندما كانت حاجة الإنسان محصورة بالطعام والشراب وعلف الماشية وما أشبهه، فلا يحتاج إلى الانتقال، والاتصال بالآخرين.

وذلك بخلاف البلاد غير الخصيبة مثل جزيرة العرب، حيث يضطر السكان إلى النزوح من مكان الجدب إلى مكان الخصب الذي نزل فيه مطر لرعي ماشيتهم، فيحصل امتزاج واختلاط ويجعل اللغة واحدة أو متقاربة.

وفي حالة هؤلاء القوم الأستراليين لم تكن لهم ماشية تضطرهم إلى البحث عن مرعى لها، وحاجاتهم محدودة فيما تنتجه الأرض التي يقيمون فيها لذلك تعددت لغاتهم.

وقاموا بالكوبري:

حضر ثلاثة رجال وامرأتان داخل الدائرة التي كان خطها الدليل بعود معه، ولكنه لم يعمق الخط فخطوها بأقدامهم العارية، وجلست المرأتان داخل الخط قريباً من ظاهره، ومدتا أرجلهما، وجعلتا تضربان بأكفهما على شيء من الخشب أشبه بالعيدان الصغيرة الصقيلة بطريقة منغمة وهما تغنيان أو تقولان شيئاً لا نفهمه، ولكنه يحدث صوتاً كالموسيقى، وقد لبست كل واحدة من المرأتين لباساً قصيراً غير أنيق لا يتجاوز السرة وبدا القسم الأعلى من الجسم عارياً، ولكنه لا يكاد يتميز عن غيره لسمرة اللون وكثرة الإصباغ عليه.

ونغمات غنائهم ليس فيها قرب لما أعرفه من نغمات الشعوب، وأنا زرت كثيراً من بلاد العالم إن لم تكن كلها فلا علاقة لها بنغمات الأفارقة، رغم اللون الأسود فيهم ولكنه غير حالك، وما رأيت أقرب منه إلى غناء الصحراويين من العرب وغيرهم في الصحراء الإفريقية الكبرى.

امرأتان من الاستراليين الأصلاء تنصبان عموداً خشبياً هو جزء من تراثهم التقليدي (الكوبري)

على أن ذلك لا يحملنا على القول بأنهم يشبهونهم في شيء وإنما أردت النغمات التي تصل إلى الأذن، ويتصورها الذهن وإن لم يكن قد درسها حقيقة، وفيه شيء من نغمات الغناء الهندي الذي يكون دقيق الطبقة.

أما الرجال فإنهم كانوا يرقصون بالقفز وترديد صوت غير طويل في آخره آهه، أي كما يقول الرجل إذا تأوه من شيء، وذلك لا يخرجه من الموسيقى لأننا نرى التأوه في الموسيقى موجوداً حتى في بعض البلدان العربية كلبنان والعراق.

وكانوا قد نصبوا عموداً منقوشاً بالأصباغ قد جعلوه بمثابة الشيء الذي لا ينبغي لهم أن يبتعدوا عنه، وهو في جانب من تلك الدائرة التي خطوها بأقدامهم على الأرض.

ومن الطريف أنهم قد صبغوا أجسامهم وجعل الرجال في سيقانهم وهم يرقصون غصوناً من غصون الأشجار الخضر.

اللباس من الرأس:

استمتع السياح بهذا الشيء الذي سموه (الكوبري) وهو الفن (الأبورجنالي) الغريب، غير أنه لم يمتد طويلاً، بل انتهوا بسرعة فتوقفت المرأتان عن الغناء وتوقف الرجال عن الرقص، وأبعدوا ذلك العمود الخشبي المنقوش بالأصباغ عن مكانه، فكأنما كان ذلك إيذاناً بانتهاء (الكوبري).

ولكن الحديث عنهم لم ينته رغم امتداده من قبل.

لقد أحضر أحد الرجلين مغزلاً ساذجاً هو عود في رأسه ثلاثة أعواد مربوطة فيه ألفت ستة فروع، وقال: هذا الشي نستعمله لحياكة سترة العورة، ولمسّ بيده قطعة صغيرة كانت تغطي عورته المغلظة وهي ذكره وما فوقه، وجذب منها شعراً مجتمعاً، وقال: هكذا وأشار إلى شعر رأسه، نأخذ من شعر الإنسان ما نجعله على عورته للستر بمثابة اللباس، وليس لنا لباس غيره، وهذا أغرب ما يتصوره الإنسان، وإن كان مفهوم السبب، إذْ لم يكن يوجد في أستراليا حيوان ذو شعر أو وبر يمكن أن يأخذوه منه، ويصنعون منه اللباس إلا الكنغرو وليس له شعر طويل يصلح للغزل.

وقد نسيت أن أسأله عن شيء مهم، وهو مادام إنه لم يكن يوجد عندهم مقص ولا سكين ولا شيء معدني محدد كيف يقطعون شعر الآدمي من رأسه من أجل أن ينسجوا منه هذه القطعة الصوفية التي تغطي عورته المغلظة؟

وظني أنهم يقطعون الشعر بسكين من الخشب يحددونها، وقد بلغني أن بعضهم

يختتون أبناءهم بسكين من الخشب، وإن كان ذلك لم يذكره الدليل، كما أنه من المحتمل أنهم كانوا ينتفعون بشعر الميت، إن لم يكونوا يتشاءمون به أو يخافون منه.

ألوان الأبورجنرز:

جلس الرجل (أبورجنرز) على الأرض بجسمه العاري إلا من هذه الخرقة الصغيرة على ذكره وأحضر أربع قطع من الحجارة التي تبدو كالصابون من البعد، وقد تأملتها بعد ذلك فرأيتها حجارة معتادة غير صلبة، ولكن لكل واحدة منها لون ظاهر غير لون الأخرى، وقال: ألوان أبورجنرز ٤ وأخذ فحمة من بقايا النار وحك بها إحدى الحجارة ثم مسح بذلك جانباً من ذراعه بطرف أصبعه.

ثم حك حجراً من الحجرين بحجر آخر مثله، وأخذ منهما ما يشبه الدقيق الأصفر، ومسح به جانباً آخر من ذراعه بجانب ذلك الصبغ الأسود فصار أصفر، ثم أخذ حجرين آخرين لونهما فيه شيء من الحمرة، وحك أحدهما بالآخر ثم مسح بمكان الحك طرف أصبعه وجعله على ذراعه بجانب الأولين، فبدأ لوناً أحمر إلى جانب اللون الأصفر والأسود.

وزاد ذلك للون وردي رابع، وقال: لم تكن الأصباغ متوفرة لأبورجنرز لذا صاروا يأخذونها من الحجارة بهذه الطريقة.

ورأيته هو نفسه وجماعته قد صبغوا أنفسهم لم أكن أدري كيف حصلوا عليها.

وبعد أن فرغ من عمله، قال: (أوزو)، وقال الدليل: (أوزو) تعني شكراً بلغتهم.

وداع الأبورجنرز:

ودعناهم بالتلويح بأيدينا، ولم نجد صدى لذلك عندهم، ولا أدري أذلك جزء من طبيعتهم أم إنه من باب التصنع، ولكن الرجال أو واحداً منهم على الأقل كان يتكلم الإنكليزية جيداً، أما النساء والآخرون فلم نرهم يفعلون إلا مثلما يفعل أبناء

جنسهم في المدن الأسترالية التي رأيناهم فيها وهو الجلوس تحت ظل شجرة أو في مكان مرتفع من الرصيف بدون أي هدف.

وتركنا معسكرهم أو موقعهم الذي لا يصل إلى درجة أن يسمى معسكراً وانصرفنا سائرين على أقدامنا حيث موقف الحافلة، وكنا نظن أن البرنامج قد انتهى، إلا أن الساعة كانت لا تزال الحادية عشرة، والمقرر للرحلة أن تستمر إلى الثانية عشرة.

وقال الدليل: بقيت في البرنامج فقرة مهمة وهي شرب الشاي من الشركة وشرح أحوال هؤلاء القوم موضحة على بيانات مكتوبة وإيضاحات مرسومة.

وقد وجدنا المكان الذي ذهبنا إليه بعيداً عن مكان أولئك القوم البدائيين عشة واسعة على طراز العشش التي يبنيها الأبورجنرز تحتها مقاعد من خشب مستطيل ليس له ظهر وهو خشب خشن أيضاً، وجلس السياح على هذه المقاعد فجعل الدليل يسعى في صنع الشاي والقهوة.

وذلك في مطبخ متنقل تجره السيارة عند اللزوم، ومن الطريف أن حمام المعسكر أيضاً هو كالمحراب إلا أنه ذو أربعة أركان عليه باب ومرفوع على عجل تجره السيارة أيضاً إذا أرادوا، وذلك في ظني من أجل نقله عند تغيير المعسكر، أو من أجل تفريغ ما فيه من الأذى في مكان بعيد عن المعسكر، مع أن المعسكر هذا ليس فيه أحد، وليس حوله إلاّ هؤلاء القوم.

أوقد الدليل النار في العراء، كما نفعل عندما نكون في البر في (كشتة) وهي النزهة في اللغة التركية دخلت إلى لغتنا لكون بني قومنا في القديم أزمان الجدب، وشظف العيش لا يعرفون أو لا يريدون السفر من أجل النزهة، وإنما يفعلون ذلك للحاجة.

ووضع على النار (برميلين) صغيرين أحدهما فيه ماء فقط، و الثاني فيه ماء قد وضع فيه الشاي، ولكل برميل معلاق من الحديد على هيئة شريط متصل به، فلما غلى (البرميلان) تناول أحدهما بعصا غليظ من فوق النار وهو الذي فيه الشاي،

وقال: إنه يغلي من الشاي الذي نسميه المغلي.

أما الثاني فإنه مجرد ماء، وذلك لكي يضع فيه من يحب القهوة من قهوة معلبة أحضرها معه.

ولما رأيت سواد (البرميلين) ومنظرهما الذي لا يستسيغه أبناء الجيل الجديد من أبنائنا وبناتنا تذكرت القدور السود القديمة التي كان يطبخ بها الطعام عندنا على الحطب بحيث تغدو لا يمسها أو حتى يلامسها شيء إلا صبغته بصباغها الأسود، وتذكرت أباريق الشاي القديمة عندنا التي كان يغلي فيها الماء على النار غلياً فيغدو أسود في داخل الإبريق الأسود، وهو شيء نسيناه منذ سنين طويلة.

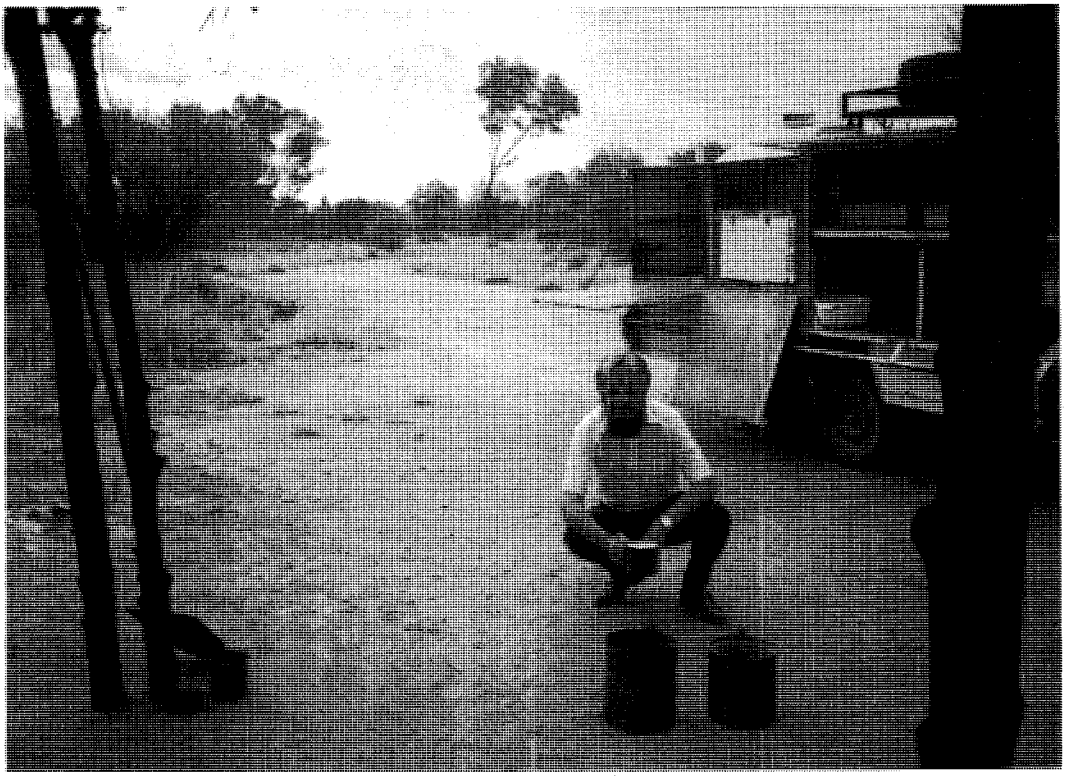

المؤلف عند (برميلي) الشاي والقهوة اللتين أعدتهما الشركة السياحية للسياح في برية اليس اسبرنغ

ومع ذلك رأيتني أشتاق إلى الشرب منه وقلت له: أفعم لي الكأس فأنا أحب أن أتذوقه، فتناول مغرافاً غير نقي اللون كان عنده، فغرف به من البرميل الصغير الأسود وأفعم الكأس لي من هذا الشاي المغلي، ولكنه ليس كثيفاً.

وأما أهل القهوة فإن أمرهم أسهل، إذْ يضعون القهوة المسحوقة في الفنجال ويضعون عليه الحليب.

وكان أحضر علبة من الورق المقوى شبيهة بالعلب التي يباع فيها الحليب في بلادنا.

والتفتُّ وأنا أشرب الشاي يمنة ويسارة وحتى إلى الخلف أبحث عما يفرق بين صحرائنا العربية وهذه الصحراء الأسترالية فلا أجد إلا هذه الأشجار الكينية- نسبة إلى الكينا- التي تحفل بها الصحراء، أما الأشجار الأخر اللاطئة في الأرض فهي قليلة بل وبعض العشب والنبات فإنه يشبه ما هو عندنا.

وقلت في نفسي: يا لها من (كشته)!

فلو كانت هذه الرحلة السياحية ليس فيها إلا الإطلاع على هذه الصحراء الأسترالية والتمتع بهوائها النقي الخالي من الشوائب لكفى.

ولكن أين الإبل؟

وافتقدت الإبل زينة الصحراء، ولا نقول سفينة الصحراء لأن السفن ليس لها روح ولا إحساس، والإبل ليست كذلك، وكلنا أو أكثرنا نعرف ما يكون من الاتصال الروحي بين العربي وبعيره، لاسيما أنه في أكثر الأحيان هو سميره وأنيسه فيها، وهو وسيلته إلى بلوغ ما يريده.

وقلت في نفسي- أيضاً-: إن المرعى وافر هنا فاين الراعية؟ وهي الإبل التي ترعاه؟

ومرة أخرى فكرت وقدرت فيما لو كان هؤلاء البدو الأستراليون- أخذاً من كونهم سكنة البادية وليس من كونهم تبدوا بعد أن كانوا حضراً- قد عرفوا الإبل،

وأساموها هذا العشب والشجر لصاروا من الأغنياء أو المستغنين، ولصاروا من أطيب الناس عيشاً، وأصحهم أبداناً، ذلك بأن النوق تدر اللبن ويغسل الرجال والنساء رؤسهم وحتى ما يحتاجون من خرق ونحوها ببولها إذا عدموا الماء أو أرادوا تنقية ما يغسلونه من الأدران.

وهي أيضاً شفاء من بعض الأمراض، ثم هي بعد ذلك فيها الغناء كل الغناء لمن يحتاج إلى أكل الشحم واللحم، واستعمال الجلود في القرب والفراش وفي مآرب أخرى من مآرب الحياة، ووبرها فيه الدفء والستر من الشمس، إذا غزل ثم نسج بيتاً كالخيام،وإن كانت أكثر وقاية لمن يكونون فيها من الخيام، وتصنع منها إلى ذلك الأكسية والأغطية، وحتى أبعارها تصلح وقوداً إذا عدم الوقود، وإن كان لا يعدم في هذه الصحراء الشجيرة.

وذهب بي الخيال إلى أن تصورت أن (الأبورجنرز) هؤلاء وجدوا طائفة من الإبل في الزمن القديم وهو الذي سبق وصول الأوروبيين إليهم، فأرادوا لأمر من الأمور أن يذبحوا بعيراً، ويأكلوه كيف يذبحونه وليس عندهم سكاكين، ولا أدوات معدنية حادة؟ ثم كيف ينتفعون به الانتفاع الكامل، وهم لا يعرفون شيئاً عنه، ولا يرون أنهم محتاجون إليه كبيوت الوبر التي يرون أنهم قد استغنوا عنها بهذه العشش السخيفة التي لا ترد شمساً ولا تقي من مطر أو ريح، فقلت: الله أعلم بمن يستحق أن يُعطى ومن يستحق أن يمنع.

وجاء الجد الواقع بعد الخيالَ الجامح ليقول: إنه أولى بالأثرياء النشطاء من قومنا أن يتفقوا مع الحكومة الأسترالية على أن تستقبل طائفة الأعراب الذين عندنا ليتخذوا الإبل يرعونها في هذه المناطق الصالحة لها، ويبعثوا بما ينتجونه منها إلى بلادنا بعد دفع ضريبة معينة للحكومة الأسترالية.

هذا وسوف يأتي مزيد من الحديث عن الإبل في هذه المنطقة، ونعود إلى ذكر

برميلي الشاي والقهوة الأسودين فنقول: إنني أردت تصويرهما فأسرع الدليل يعطيني المغراف ليخرج في الصورة حتى تكون مكتملة.

وضع الدليل أمامه لوحة كالسبورة ولكنه أمسك بها بإحدى يديه، وجعل يشرح ما فيها للسياح وكأنه أستاذ في مدرسة يشرح لطلابه فذكر أسماء القبائل للأبورجنرز منها (أرندا) وقال: الاسم الذي يبدأ بحرف (ج) أو (س) هو اسم رجل.

وذكر أن جابا لغاردي هو الزوج، و(نوبالتاروي) الزوجة، ومنها يفهم أن الأسماء واحدة أي من عشيرة واحدة.

وقال: يعتبر الرجل أن مثل هذه المرأة هي أخته ولو كانت بعيدة عنه في النسب إذا كان اسمها ينتهي بنهاية واحدة تتفق مع نهاية اسمه.

وذلك أنه لا توجد أسماء مختلفة بين الأسر القريبة حتى يمكن أن يصل العدد إلى عشرين لهم جميعاً اسم واحد، فوحدة الاسم تجمعهم.

وظني أن ذلك يعني النسبة إلى عشيرة واحدة مثل ما يفعل أهل البادية عندنا بالنسبة إلى القبيلة مثل أسدى وعبسي وقرشي، إلا أن قومنا يكون للشخص اسم أول يميزه عن غيره، وهؤلاء لا يكون له مثل ذلك الاسم، لأنهم ليسوا بحاجة إليه، فلا مكاتبات، ولا ممتلكات متوارثة، ولا شيء مما يحتاج إلى التمييز فيكون العشيرة وهي بمثابة القبيلة الصغيرة تجمع الجميع، ويتعاون أفرادها فيما بينهم لمصلحتهم أو للدفاع عنهم.

وذكر أنه لا توجد عندهم أسماء دينية لأنهم لا دين لهم، وإنما يتبعون ما عليه أجدادهم، إلا أنهم صاروا يتنصرون في العهود الأخيرة.

وذكر من أسمائهم العامة التي تشمل أكثر من فرد واحد (انجالا) و(أيجانا) و(بالتاري) وقال: هي أسماء قبائل صغيرة.

وأبرز رسماً يوضح القبائل التي تتزاوج فيما بينها، والقبائل التي لا يزوج بعضها بعضاً، إلا بموجب اعتبارات خاصة.

وقال: والآن الآباء والأجداد يعلمون الأولاد كيف يعيشون، وكيف يكون سلوكهم، وذكر شيئاً غريباً لم أسمع به من قبل، وهو أن الحياة البدائية تجعل البلوغ يتأخر، ولذلك يكون الزواج عندهم في حدود العشرين من العمر.

وذكر أن عادة تعدد الزوجات موجودة عندهم بخلاف تعدد الأزواج فإنه لا يوجد.

وذكر أن الزنا عندهم أمر شائن، وصعب الحدوث، لأن الجميع يتجنبه، ويعرف أنه لا يجوز فعله.

وذكر أن الزواج عندهم يكون من أفراد القبيلة، وليس من أقارب الرجل، وكما يقال فإن الأم هي التي تختار الزوجة لابنها.

فقلت له: ما دام الأمر هكذا وأن عندهم تعدد الزوجات لماذا تظل أعدادهم قليلة، حتى إنهم كانوا فيما مضى ينقصون؟ والقياس أن تزداد أعدادهم، فقال: الأولاد عندهم ليسوا أكثر بسبب طبيعة حياتهم وإلحاح الأمراض عليهم التي تكون في الأبوين.

حتى إن المرأة كانت لا تلد بعد سن الرابعة والعشرين نتيجة للأمراض ولأسباب أخرى، حتى إن عمر الشخص – حسب ما ذكره- كان في حدود ٤٥ إلى ٥٠ سنة، والقليل منهم من يتجاوز سنه ذلك.

وسألته عن الماء في هذه المنطقة، وكيف يحصلون عليه؟ فأجاب: العادة أنهم يحصلون على الماء من النبع بعد المطر،وما يتخلف عنه، ولكنهم لا يعرفون استهلاك الماء كما نعرفه، فهم لا يغتسلون وليس لهم ملابس يحتاجون للماء في غسلها، وليست لهم ماشية تحتاج إلى الماء، وقد علمتهم الحياة الصبر على فقد الماء، حتى إن جسم الشخص الواحد منهم لا يستهلك من الماء إلا ربع ما يحتاجه الواحد منا في اليوم،

وحتى هذا يمكن أن يحصلوا عليه بالحفر في جذوع الأشجار، وأكل ما فيها من جذور رطبة، أو من ماء يكون قد اجتمع من المطر.

وفي ختام حديث الدليل الطويل سألته عن اسمه، فقال: مارك استيوارت، ورحب بالتقاط صورة تذكارية معه، وهو من سكان مدينة (أليس اسبرنغ) هذه.

وقد انتهينا من هذه الزيارة العجيبة في الساعة الحادية عشرة والنصف، وعدنا إلى ركوب الحافلة التي خرجت من الأرض غير المزفته إلى الطريق المزفت الذي يمر بالمطار عائدة إلى المدينة، فأنزلتنا في فندقنا قبل غيرنا من السياح لكونها بدأت بأخذنا قبلهم، وفندقنا خارج المدينة.

هل أبورجنرز من أهل الفترة؟

إن هؤلاء الأستراليين الأصلاء المسمين (أبورجنرز) لم تبلغهم دعوة إلى الأديان السماوية وبخاصة للدين الإسلامي الحنيف، لأنهم لم يتصلوا بالعالم الخارجي أصلاً قبل وصول الأوروبيين إلى أستراليا، لذلك يمكن أن يعتبروا من أهل الفترة، الذين ذكر العلماء القدماء أنهم الذين يوجدون في فترة من الزمن بين مبعث نبي ونبي آخر، فلم تبلغه دعوة نبي من الأنبياء، ولذلك لا يعتبرون من الذين قامت عليهم الحجة بمعرفتهم بدعوة رسول من الرسل ولم يطيعوه.

ولذلك إذا قلنا: إنهم من أهل الفترة تلك فأن العلماء يقولون: إنهم ربما بلغتهم دعوة الحق على هيئة أخرى من أجل إقامة الحجة عليهم والله أعلم.

حديث الخبير:

بعد كتابة ما سبق عن المشاهدات، بل بعد الفراغ عن كتابة الكتاب كله عن شمال أستراليا وقع في يدي كتيب صغير عن ثقافة السكان الأستراليين الأصلاء، الذين سماهم ذلك الكتاب بالأروميين، فرأيته كتاباً مفيداً على صغر حجمه يوضح

أشياء غامضة غير معروفة عنهم، ويتكلم بلغة فيها ملامح من لا يضاف لهم.

وهو باللغة الإنكليزية لذا رأيت ترجمة فصول قصيرة منه وإلحاقها بهذا استكمالاً للفائدة وعنوانه:

ثقافة الأروميين الأستراليين:

وهم سكان البلاد الأصليون القدماء والبدائيون- ABORIGINES- من إعداد الهيئة الأسترالية في مدينة كانبرا.

وإليكم فيما يلي ترجمة للفصول التالية:

- تاريخ ستراليا قبل عام ١٧٨٨م.
- حدود أستراليا ١٤٠٠- ١٧٨٨.
- الغزو- ١٧٨٨م.
- الشعب والأرض.
- الحياة الأسرية.
- الحياة اليومية.

تاريخ أستراليا قبل عام ١٧٨٨م:

ترجع التقاليد الدينية للأروميين الأستراليين ABORIGINES أصل كل عشيرة من العشائر الأرومية إلى المنطقة التي نشأت فيها، لكن الجانب المهم من المعتقدات الدينية هو الآباء الروحيون المبدعون، الذين شكلوا الأرض وأوجدوا النباتات والزواحف والحشرات والطيور والأسماك والناس، كما جاب أولئك الآباء القارة الأسترالية في العصر الذهبي في أسطورة الأروميين وخرجوا إمّا من تحت سطح الأرض أو من السماء ثم انتشروا فوق الأرض العديمة المعالم، وأصبحت الأماكن التي ظهروا فيها في البداية والأراضي التي قطعوها في رحلاتهم أنهاراً

وصخوراً وتلالاً وجبالاً، وسائر التضاريس البيئية الأخرى.

عمل أولئك الآباء على وضع كل من له روح من إنسان وحيوان ونبات في نظام علاقات مترابط بعضه ببعض، لكن بعد أن أكمل أولئك الآباء كل ذلك، اختفوا إمّا في البحر أو تحت الأرض أو في السماء، إلا أنهم لم يتخلوا أبداً عن كل ما أوجدوه، لاسيما أن قواهم القادرة على الإيجاد لا تزال نشطة في الأرض، إذ أنه بالإمكان استدعاؤها وتنشيطها من خلال القيام بسلسلة من الشعائر الدينية، إن الآباء الروحيين القادرين على الإيجاد يظلون- على الرغم من عدم رؤيتهم- قوة حيوية لها المقدرة على التدخل في حياة الحيوانات والناس الذين أوجدوهم.

إن الحكايات التاريخية الأولى للأستراليين يمكن إيجادها في جسم هذا القانون الديني، إذ يعتقد كثير من الأروميين اليوم أن أصل أسلافهم الأوائل من هذه القارة الأسترالية، وتدريجياً بدأت الدراسات الأثرية تزيل من وجهة النظر العلمية الستار عن قصة أصل الشعب الأسترالي القديم.

يعود تاريخ سكن الإنسان للقارة الأسترالية إلى ما قبل ١٠٠٠٠٠ سنة، غير أن تلك التواريخ الأولى لم تؤكد بعد، لكن تشير الدلائل الأخيرة إلى وجود ناس بالقرب من مدينة سدني الأسترالية، كانوا يستخدمون أدوات الحجارة، قبل حوالي ٤٠٠٠٠ سنة (دراسة نانسون ويونج واستوكتون ١٩٨٧- Nannson, Young and Stocktion) ولذا يكون من المعقول أن ندعي أن الشعب الأرومي ظل يجعل من أستراليا موطناً له لفترة تتراوح- على الأقل- ما بين ٤٥٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة.

إذا لم تكن أستراليا هي موطن الأستراليين الأوائل فمن أين جاءوا؟ إن المعلومات الأثرية المتعلقة بالإجابة على هذا السؤال شحيحة جداً، لكن يعتقد بصفة عامة أنهم جاءوا عن طريق البحر من جنوب شرقي آسيا، إذ أن رحلات البحر الأولى- سواءً كانت مقصودة أو غير ذلك، كانت تقل عن ١٠٠ كيل.

أما بالنسبة لنمط الهجرة فإن العلماء المتخصصين في التاريخ القديم غير المكتوب لم يتفقوا بعد عليها، إذ يتبنى بعضهم نظرية تقول إن هناك فترتي هجرة، بينما يقول البعض الآخر إن هناك فترة هجرة واحدة فقط.

طوال الفترة التي قضاها الأروميون في قارة أستراليا، والتي بلغت ٤٥,٠٠٠ سنة أو أكثر، توجب عليهم التأقلم على التغييرات الدراماتيكية في المناخ وحركة الكتل الأرضية، شكل غرق الأرض الواقعة بين أستراليا وغينيا الجديدة معلماً بارزاً للنهاية التدريجية لعصر الثلوج، الذي استمر بدرجات مختلفة الشدة طوال الفترة من ٨٠٠٠٠ إلى ٧٠٠٠٠، حيث اختلفت أطوال تلك الفترة مستويات البحر، لكنها عموماً كانت أقل بكثير من المستويات الحالية، وكذلك كانت الكتلة الأرضية للقارة الأسترالية أكبر بكثير مما هي الآن.

وهناك جزء كبير من الأراضي التي يغمرها البحر حالياً كانت في الماضي ديار تسكنها جماعات الأروميين.

وفي الروايات التي يتناقلها شفاهة الناس الذين يعيشون على ساحل البحر إلى الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي للقارة الأسترالية هناك إشارات إلى وجود أماكن غمرها البحر، كانت في الماضي مراكز مهمة لممارسة الشعائر الدينية ومصادر غنية للإشباع الروحي.

قبل آلاف السنين كان المناخ مختلفاً، وكذلك الحال بالنسبة للأراضي في العديد من أجزاء أستراليا.

تبين الشواهد الأثرية الماخوذة من إقليم بحيرات وليأندرا أن تلك البحيرات كانت مركزاً مزدهراً مشعاً بالحياة، إذ كان الناس يعيشون قبل خمس وثلاثين ألف سنة على طيور وأسماك البحيرات والموارد النباتية والحياتية الموجودة بكثرة في الأراضي الخصبة التي تجدد الأنهار خصوبتها باستمرار، ولذا يصعب على المرء

أن يتخيل وفرة كهذه على أرض هذا الإقليم الجاف والقاحل اليوم، وكذلك يصعب على الإنسان أن يتصور الناس يعيشون في أستراليا كانت تنشط فيها البراكين، كما كانت ذات مرة في فكتوريا الغربية، وأن يجد بعض الحيوانات الأسترالية مثل ذوات الجراب كالحوال والكنغر والنضناض (قنفذ الأرض)، تجوب السهول الخضراء والغابات المدارية الكثيفة المزدهرة.

لكن الأروميين كانوا جزءاً من تلك الأزمنة، بل كانوا حتى في تلك السنين الأولى سادة الأرض، كما تؤكد ذلك الشواهد الأثرية، إذ أنهم أنشأوا المنظمات الاجتماعية، وتبنوا التكنلوجيا المتقدمة وتحكموا في زراعة النباتات، وسخروا الموارد القليلة للمصلحة العامة، وابتكروا تفسيراً دينياً شديد التعقيد للعلاقات، ليس بين أنفسهم فحسب، بل بين أنفسهم وبين أراضيهم.

لقد جمعت المعلومات المتعلقة بتاريخ أستراليا القديم من الحفريات وتحليل المواقع الأثرية في أراضي أستراليا الأم وتسمانياً.

من أجل تكوين صورة متكاملة لنمط حياة الأروميين قبل عام ١٧٨٨م يمكن الحصول على معلومات، بالإضافة إلى الشواهد الأثرية من الروايات التي تشتمل على وصف للأعراق البشرية والقصص التي وردت في كتابات المستوطنين الأوربيين الأوائل والبحوث العلمية التي قام بها علماء وصف الأعراق البشرية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

تبين الشواهد التي توصل إليها علماء وصف الأعراق البشرية إلى أن هناك ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ وحدة سياسية في أستراليا، تجمع بينها لغة مشتركة، كما تكوّن الأسر المنحدرة من جد واحد عشائر تجتمع من وقت لأخر من أجل إقامة الاحتفالات الدينية المهمة وتبادل المنافع التجارية وترتيب الزيجات وفض النزاعات بين العشائر المختلفة.

لكن الناس في الغالب يعيشون مع بعضهم بعضاً في جماعات الأسر (الأم)

{وهي المكونة من الزوج والزوجة والأطفال}، وربما مع بعض الأصدقاء المقربين، وذلك من أجل مشاركة الجميع في مسؤوليات الأعمال الروتينية اليومية.

شكلت أحياناً العديد من الأسر (الأم) وأصدقائهم مجموعة وطنية أكبر كانت القرارات يتم التوصل إليها عبر المفاوضات، مع ترجيح وجهة نظر أكبر أفراد الجماعة سناً، لاسيما أولئك الأشخاص ذو الخبرة المعترف بها في القضايا التي تجري مناقشتها.

إن الطرق التي عاش بها ذات مرة الأروميون، لاسيما قبل عام ١٧٨٨م تشير إلى أنهم اتبعوا نظاماً اجتماعياً وسياسياً موطراً، سمح لهم بإدارة شؤون أنفسهم وأرضيهم الأمر الذي حقق لهم أكبر قدر من المصلحة المشتركة.

حدود أستراليا (١٤٠٠- ١٧٨٨):

لا يعرف أحد متى جاء أول الزوار الأجانب إلى أستراليا، لكن من المؤكد أن أول اتصال مع شعب غينيا الجديدة يعود إلى آلاف السنين، وفي بعض تقاليد الأروميين المنتقلة بالمشافهة توجد روايات لأشخاص جاءوا من البحر، ويعد أولئك الناس جماعة بايبني الخفية التي أدخل أفرادها التقاليد الخرافية الخاصة بالشعب الأرومي إلى شمالي أستراليا، لكن تبين الدلائل التاريخية الموجودة أن هناك عدداً من الزوار بدءوا يحومون حول الساحل الأسترالي يمكن أن يكونوا قد اقتربوا حتى من الشاطئ لفترة وجيزة حوالي القرن الخامس عشر.

هناك سبب يجعلنا نصدق أن جنغ هو الأميرال الصيني الكبير المنتسب إلى أسرة مينغ (١٦٤٤- ١٣٦٨) كان من أوائل المكتشفين الذين زاروا أستراليا، إذ أنه قام بسبع رحلات استكشافية بالبحر في الفترة ما بين ١٤٠٥- ١٤٣٢م، زار فيها الأقاليم التي تحد المحيط الهندي، بما في ذلك ساحل شرق إفريقيا والهند وجاوا وسومطرة.

وربما يكون قد نزل بسفنه في ١٤٣٢ بالقرب من المكان الذي توجد عليه الآن

مدينة داروين، ويؤيد هذه النظرية التمثال الذي وجد في مدينة داروين، وكذلك الخزف الصيني الموجود في خليج كاربنتاريا، لكن لا يوجد دليل قاطع.

لفترة مائتي عام- حتى نهاية القرن التاسع عشر ظل يأتي إلى الجنوب في كل عام- على الأقل ١٠٠٠ ماكاساني على قوارب الصيد من جزيرة سولويسي الإندونيسية، وكانوا يأتون دوماً إلى جزيرة أمهيم وسواحل كمبرلي لاصطياد البزازة العريانة (حيوان بحري).

إن الزيارات التي قام بها أولئك الأشخاص موثقة بصورة جيدة في فن الأروميين وقصصهم وبعض كلمات أولئك الأشخاص ما تزال موجودة في عدد قليل من لغات الأروميين، وكذلك فإن وجودهم له ما يدل عليه في التكنولوجيا والنباتات التي أتوا بها إلى البلاد، وكذلك في المواقع الأثرية في شمالي أستراليا.

ولبعض أفراد أسر الأروميين اليوم أقارب وأسلاف ماكاسانيون، وبما أن أولئك الماكاسانيين أصبحوا زواراً مألوفين، فإنهم ظلوا يلقون الترحيب من الآروميين الذين كانوا يعودون أحياناً مع الماكاساينين إلى جزيرة ماكاسار لكن الحكومة الاسترالية وضعت أخيراً حداً لتلك الزيارات في ١٩٠٧م، بسبب تهديدات للمصالح الإنجليزية المتمثلة في اللآليء.

في القرنين السادس عشر والسابع عشر سبق المستكشفون من إسبانيا والبرتغال غيرهم في ارتياد الطرق البحرية عبر الباسفيكي وقد باءت بالفشل محاولة الأسبان لاستعمار الأرض الجنوبية الكبيرة عندما أعلنوا في ١٦٠٦م أنها (أستراليا اسبرتو سانتو) لكن ثبت لاحقاً أنها جزيرة في ما يعرف اليوم بفانيواتا.

حاول القائد البحري بدرو فرناندیز دي كويرز العودة إلى البلاد في رحلة استكشافية ثانية في ١٦١٥م لكن موته في الطريق وضع حداً للمصالح الإسبانية في أستراليا.

ابحر في عام ١٦٠٦م لويز فيز دي تورز نائب بدرو فردناندیز دي كويرز

عبر المضيق الذي يحمل اسمه، وعموماً استطاع البحارة الأسبان القبض على عدد من سكان تلك الجزر لأخذهم معهم إلى إسبانيا، لكن لم يتأكد وصولهم إلى إسبانيا بل كل ما يعرف يقيناً أنهم وصلوا إلى الفلبين.

والرسومات الزيتية الأوربية الأولى المعروفة لسكان جزر مضيق توريز هي التي أعدها ديجو برادو دي توفار نائب القائد البحري لويس توريز في رحلته البحرية في ١٦٠٦م.

بدأ الهولنديون في استكشاف سواحل أستراليا الشمالية والجنوبية والغربية في عام ١٦٠٦م، لكنها لم تستهوهم كثيراً، وعلى الرغم من أنهم تركوا بعض الأسماء على الخارطة الأسترالية إلا أنهم لم يدعوا ملكية أي من الأراضي هناك، لاسيما أن مواجهاتهم الميدانية مع الأروميين جعلتهم يتراجعون بسرعة عن فكرة استكشاف المزيد من أرجاء البلاد الحقيقية.

أمر وليام دي فلامنج في عام ١٦٩٧م بالقيام بست عشرة طلعة حذرة لمسح الإقليم الغربي من البلاد، لكن أفراد تلك الطلعات انسحبوا عندما واجههم الأروميون الذين وجدهم الهولنديون بصفة عامة شعباً شرساً محباً للحرب.

على الرغم من التقارير السيئة التي كتبها في عام ١٦٨٨م القرصان الإنجليزي وليام دامبياه عن تلك الأرض وشعبها، إلا أن الإنجليز تركزت أعينهم دوماً على امتلاك أرض في الباسفيك، ولذلك صدرت الأوامر إلى قائد البحرية جيمس كوك بالاستيلاء على النصف الشرقي للقارة لمصلحة التاج البريطاني في جزيرة الاحتلال البعيدة عن شبه جزيرة كيب يورك، استولى القائد المذكور على كامل الساحل الشرقي باسم الملك جورج الثالث.

الحقيلة لم ينتبه كثيراً كل من جيمس كوك وجوزيف بانكس العالمُ بالنباتات إلى الناس الذين كانوا يسكنون البلاد قبل الاستيلاء عليها، بل كانا مستعدين تماماً لأن يعلنا أن البلاد غير آهلة بالسكان وغير مملوكة لأحد، وبالتالي فإنها كانت مفتوحة تماماً للاستعمار.

الغزو ١٧٨٨:

شهد١٨ يناير ١٧٨٨م تغييراً مفاجئاً في التاريخ البشري للقارة الأسترالية إذ أبحر في ذلك اليوم أول أسطول من السفن من بريطانيا متجهاً إلى خليج بوتني، ورسى بعد مسيرة عدد من الأيام وقطع عدد من الأميال على مرفأ كبير أطلق عليه لاحقاً بورت جاكسون، خرج من ظهر تلك السفن رجالٌ ونساءٌ محكومٌ عليهم بتهم مختلفة، وكذلك ضباط وحرسٌ من البحرية، أرسلوا لضبط سلوك أولئك السجناء.

وفي ٢٦ يناير ١٧٨٨ رُفع العلم خفاقاً وسط إلقاء الكلمات وإطلاق التهليلات وضرب الطلقات النارية في الهواء من بنادق المسكيتات معلناً إنشاء مستعمرة بريطانية جديدة.

في عام ١٧٨٨م كانت جزر ايوراكلان تعد تحد أجزاء المرفأ الذي انطلق منه الغزو.

لابد أن يكون أهل جزر ايورا قد اندهشوا من الأعداد الكبيرة من الأشخاص الغريبي السحنة، الذين وصلوا إلى أرضهم وبدءوا على الفور في إلحاق الضرر الفادح بها، من خلال قطع الأشجار الكبيرة وإزالة الأشجار القصيرة، ونصب الخيام وشق قنوات مياه الشرب النقية، وإفراغ المخازن مما تحتويه.

وبعد فترة طويلة نشب النزاع بين شعب ايورا وبين الضباط الإنجليز والسجناء، وبما أن القادمين الجدد بدءوا في مساعدة أنفسهم في الحصول على وسائل أطعمة شعب ايورا وممتلكاتهم مثل (الحراب والسلال وشباك السمك)، وبما أنهم بدءوا أيضاً التودد إلى نساء شعب ايورا، كانت المواجهة بين الجانبين أمراً حتمياً في مارس ومايو من ١٧٨٨م وردت إفادات أن بعض أفراد شعب ايورا قد طعنوا بالحراب عدداً كبيراً من السجناء البريطانيين، الأمر الذي دفع الحاكم فيليب في نوفمبر من العام نفسه إلى التصريح بأن العلاقات بين السلالات لم تكن تتحسن، وقال تحديداً (يتحاشانا الأروميون الآن أكثر من تحاشيهم لنا عندما وطئت أقدامنا ديارهم في بادئ الأمر).

كان الأروميون في خليج بوتني غاضبين بصفة خاصة من الطريقة التي احتل بها البريطانيون أراضيهم، لاسيما أن القائد كوك أطلق عليهم النار عندما هبط من السفن على أرضهم، لكن تعاملات فيليب المؤقتة معهم أثناء جولاته في الخليج كانت خالية من العنف والدماء، بيد أن المقاومة وقعت رغم كل ذلك.

وبعد سنتين من الاستقرار انهارت تماماً العلاقات بين البريطانيين وبين الأروميين الذين يسكنون في خليج سدني، إذ ورد في ١٠ ديسمبر ١٧٩٠م ذكر أول واحد ضمن سلسلة مجموعة من زعماء الأروميين الشجعان المتمردين، وكان اسم ذلك الشخص بيمولدي، وقد طعن في ذلك اليوم بالحربة جون ملكلنتاير حارس أملاك الحاكم رداً على الجرائم البشعة التي ارتكبت ضد شعب ايورا، وكان ذلك إيذاناً ببدء حرب عصابات دامت اثنتي عشرة سنة ظل بيمولوي يقاتل مع مجموعة من رجال العصابات قوات نيو ثاوس ويلز إلى أن قتل في ١٩٠٢م على أيدي شخصين مُنِحَا جائزة على ذلك.

وشعب دروك الذي يسكن منطقة سهول كمبرلاند التي تقع وراء باراماتا قرر القتال من أجل أراضيه، و بالفعل وقعت معركة بينهم وبين قوات نيو ثاوس ويلز في جبل ريتشموند (وهو ما يعرف اليوم بهوكسبيري ويقع بالقرب من ريتشموند الشمالية) في ١٧٩٥.

في السنوات ما بين ١٧٨٨- و١٨٣٠م وجد كل من جماعات ايورا وداروك والمجموعات الساحلية الأخرى المقيمة شمالي وجنوبي سدني أن أراضيهم تؤخذ ومحاربيهم الشجعان يُقتلون وأفراد أسرهم يُهلكون إمّا بالاغتيال أو المرض، الحقيقة لم تبق إلا جيوب صغيرة من الناس يعيش أفرادها في مناطقهم.

إن مصادرة الأموال وما ثبت أنه شبه إبادة جماعية ميزت نمط احتلال أراضي الأروميين في السنوات المائة التي تلت ذلك الاحتلال الذي تأسس نمطه في العقود الأولى التي أعقبت وصول الأسطول الأول.

ظل الأروميون يقاومون احتلال البريطانيين لأراضيهم طوال سني القرن التاسع عشر الميلادي، ولذلك نجد أن الجميع يعرفون أسماء زعماء المقاومة العظماء، مثل بيمولوي وبريان وبورو وموسكيتو ودندالي وبيجون، أما الآخرون الذين لم تدون أبداً مساهماتهم فإنه تم نسيانهم فعلاً الآن.

الحقيقة أنكر البريطانيون خوضهم للمعارك ضد الأروميين، بل أشارت تقاريرهم فقط إلى تفريق تجمعات الأهالي وتطويق الخونة واغتيال المستوطنين الآمنين.

وكذلك لم يرسل أي ضباط إفادة بوجود حالة حرب، بل لم تؤكد التقارير المرسلة ذلك، لكن اليوم يزيل المؤرخون النقاب عن تاريخ الشعب الأرومي الذي قاوم استقرار البيض في أراضيه التي قاتلهم من أجلها بكل ضراوة وبسالة.

أصبحت كل منطقة يسكنها البيض أرضاً لمعركة، وقد تم تأسيس قوات عسكرية مثل الشرطة الوطنية الراكبة المخيفة من أجل التصدي لعمليات التمرد التي كانت تشنها بعض عصابات الأروميين.

وقعت آخر معركة ضارية ومسجلة في سبيل الدفاع عن البلاد عام ١٨٨٤م في جبل المعركة وهو مكان يقع بين (جبل عيسى) وكلنكيري في شمالي كوينز لاند)، حيث قاتل جماعة كالدونز شرطة كوينز لاند الوطنية الراكبة ومجموعة من الرعاة، وتعد المذبحة التي وقعت في كونستون بالمنطقة الشمالية في ١٩٢٨م إحدى آخر المذابح.

إن تعداد الأروميين في الإحصاءات الأسترالية ظل دوماً مسألة معقدة ومتجهة صوب الخطأ، لكن تضمنت الوثائق المدونة أنه بعد مرور قرن من مجي البريطانيين لم يبق من الأروميين الذين كان تعدادهم قرابة المليون إلا أقل من خمسين ألفاً (٥٠,٠٠٠) وكان عدد الأروميين في عام ١٩٠١م في كل ولايات استراليا ٤٨,٢٤٨ (دراسة اسميث ١٩٨٠/١٢ SMITH).

على الرغم من أن هذا ليس رقماً صحيحاً، إلا أنه كان التقدير الرسمي آنذاك،

لكن في الفترة ما بين ١٨٧٠ إلى ١٨٨٠م تم تجميع أعداد كبيرة من الأروميين في معسكرات حكومية (من أجل حمايتهم).

سعى الأوروبيون المضللون إلى حماية الأروميين من المرض والإهمال والانحلال الخلقي، وحتى أواخر الأعوام من ١٩٦٠- ١٩٧٠م كان الأطفال لاسيما الذين ينحدرون من أمهات أروميات يؤخذون عنوة من أمهاتهم الأروميات، وكانت تلك الخطوة محاولة لحرمانهم من أصلهم الأرومي وتذويبهم في المجتمع الأسترالي الأوروبي.

الشعب والأرض:

من المسلم به اليوم أن أستراليا لم تكن أرضاً بلا شعب، قبل استقرار الأروبيين بها، لكنها كانت تعد كذلك في ١٧٨٨م عندما وصل لها الأسطول الأول، وكان ذلك يعني في القانون الإنجليزي أن القارة الجديدة كانت تفتقر إلى النظام الحكومي المعترف به وتخلو من أي شكل من أشكال التجارة أو أي دليل لملكية الأرض.

على الرغم من أن الأروميين كانوا يسكنون الأرض، إلا أن البريطانيين يعدون أنفسهم بموجب مصطلح (الأرض بلا شعب) أن لهم الحق في احتلالها لأنهم أول من ادعى ملكيتها.

بما أنه لا توجد حكومة معترف بها يمكن التفاوض معها لم تكن هناك حاجة حتى لتوقيع اتفاقية، وكذلك لم يكن بالإمكان الدخول في اتفاقيات تجارية لعدم وجود سلع تجارية، وكذلك لم يكن ممكناً شراء أو اقتناء الأراضي لعدم وجود ملاك للأرض يبيعونها أو يدافعون عنها.

لم يتردد القائد العسكري البحري جيمس كوك في أن يعلن امتلاك الإنجليز لنصف أستراليا على أساس أنها بلاد بلا شعب، وذلك بعد قيامه برحلته البحرية لساحل البلاد الشرقي في ١٧٦٩م تحتم مرور سنوات عديدة قبل أن يكون معلوماً للاستراليين البيض طبيعة الحكومة وملكية واستخدام الأرض في أستراليا التي يعيش على ترابها الأروميون.

بدأ الأوربيون يفهمون فقط الآن أن ملكية الأراضي لدى الأروميين تستند إلى الروابط والمعتقدات الدينية.

كما هو الحال في الماضي ترتبط عشائر الأروميين اليوم بأراضيها بروابط دينية عميقة، تشكلت في (العصر الذهبي لأساطير الأروميين في أستراليا) إذ أن الأرض تنتمي للأروميين، والأروميون ينتمون أيضاً لها، والأثنان مرتبطان باتحاد دائم للأبد، لاسيما أن الآباء الروحيين الذين جابوا أرجاء القارة في مطلع العصر أقاموا حدود الأراضي بين مختلف الجماعات الأرومية، وأسسوا المواقع المقدسة.

إن القيام بالواجبات الروحية في تلك المواقع المقدسة وأداء الشعائر الدينية هي الوسائل التي تجعل الأروميين يرتبطون بأراضيهم ويبدون دوماً استعدادهم للدفاع عنها.

في القصص الزاخرة بالأعمال البطولية في العصر الأسطوري الذهبي إشارات تتضمن أن الآباء الروحيين طافوا البلاد وشقوا فيها الوديان وجعلوا الأنهار فيها تتدفق ونصبوا فيها الجبال شاهقة، وتركوا وراءهم كهوفاً غامضة وجُرُفاً ضخمة وكتل نحوت صخرية هائلة، ثم قاموا بعد ذلك بملء البرك المكسوة بالأشجار الظليلة بأطفالهم الروحيين، وأخيراً ملأوا الأرض التي أوجدوها بالكائنات الحية التي استخلصوها من أنفسهم مثل النبات والحيوانات والأسماك والطيور والناس.

إن الطوطم (الأوثان الحيوانية والنباتية التي تتخذ رمزاً للاسرة أو العشيرة) يمثل العلاقة بين الأروميين والآباء الروحيين، فحيوان الكنغرو على سبيل المثال يعتبر تجسيداً لجماعة الكنغارو من البشر، وكذلك سمك البرمون النهري بالنسبة لجماعة البرموندي البشرية يحصل أفراد عشيرة الهيمانس على تمييزهم الروحي من مجموعة الطواطم، وذلك إما عند ولادتهم أو قبل أن يولدوا بقليل.

قبل أن تكون المرأة حبلى بأي طفل فإنها أو زوجها يعطي علامة بدخول طفل روحي إلى رحمها، وربما تكون تلك العلامة أثناء حلم أو تجربة غريبة أو أثناء حالة نوم خفيف أقرب إلى اليقظة.

فعندما يمر أمام المرأة الحبلى حيوان الماقبي، فربما يكون ذلك الحيوان الذي يرتبط أيضاً بذلك الأب الروحي أو بذلك الطوطم.

وبذلك ربما يربط الطفل بحيوان الكنغرو أو سمك البرمون أو بأي نبات أو بأي شيء في السماء، ولذلك فإن الأروميين يرتبطون ارتباطاً مباشراً ببشر روحي عبر ظهور ذلك البشر في اللاشعور أو عن طريق تجسيده الجسماني على معالم الأرض، إنها رابطة روحية ويطلق عليها أحياناً حلم الشخص.

ويرتبط الشعب الأرومي بأرضه من خلال الروابط الروحية المذكورة آنفاً، عندما يكون الأروميون بعيدين عن أراضيهم فإن القوى الروحية التي لا يستطيعون التحكم فيها أو تقييم قدرتها، تتعهدهم دوماً وحتى داخل الأراضي التي تعود ملكيتها للأروميين، فإن الخطر الروحي يتهددهم في بعض الأماكن، لاسيما التي لا تعد مفتوحة لهم (نظراً لأنهم لم يلقنوا أسرارها) أو التي أخفقوا في التعامل معها بالاحترام اللازم، وبالمقابل هناك أماكن في أراضي الأروميين يرتبط بعض الأروميين بها بارتباطات شخصية روحية، لأن أرواحهم ستعود لها عندما يتوفون، وتعد هذه أماكن آمنة لهم.

تتميز أرض كل عشيرة بمواقع ذات أهمية روحية، ويكون الأفراد أو العشائر دوماً مسؤولين عن تلك الأراضي في جوانب كثيرة، إذْ يجب عليهم أن يتأكدوا من أن تلك الأماكن تلقي الاهتمام ا للازم، ويمنع عنها كل زائر غير مصرح له بدخولها وأن تقام فيها العشائر الدينية الصحيحة عندما يحين وقتها.

تؤدي هذه الشعائر إلى إعادة وجود الأب الروحي، ويبرز الالتزام بها والمداومة عليها الاحترام اللازم لقوى الآباء الروحيين التي- عندما يطلق لها العنان- تجدد الأرض وكل الحياة عليها.

التعايش مع الأرض:

تشكل أهمية المواقع الروحية أو (الأماكن المقدسة)، كما يميل الناس إلى تسميتها الآن، جزءاً من (التراث الروحي) لكل عشيرة من الأروميين، إذ أن المسؤولين عن تلك الأماكن مساءلون أمام كل أفراد العشيرة عن الطريقة التي يؤدون بها أعمالهم الروحية.

إن إهمال تلك المواقع قد يتسبب في إلحاق ضرر كبير بالأشخاص المرتبطين بها، فعلى سبيل المثال قد تقل مؤن الطعام وكميات الماء لدى تلك الجماعة، أو تصيبها الكوارث والمصائب أو ينتشر بين أفرادها مرض غريب مهلك، إن العقوبات المقررة في العصر الذهبي الأرومي قاسية جداً للذين يهملون مسؤولياتهم الدينية.

لا يستند الاهتمام بالأرض كلية إلى أداء الشعائر الدينية، بل تطلق مجموعة الطقوس والشعائر العنان للقوة الروحية الضرورية التي تجعل كل الأراضي والأشياء التي عليها خصبة، لكن الخبرة الطويلة علمت الشعب الأرومي أن قوة الروح تدعمها بعض الأعمال، يساعد إشعال النيران في الأراضي على سبيل المثال على نمو الحشائش الجديدة التي تجتذب الحيوانات والطيور لتقتات عليها باعتبارها طعاماً طازجاً.

إن تنظيم رعي مختلف الحيوانات للحشائش وترتيب استهلاك مختلف الأطعمة يتيح المجال لتوفير مخزون أساسي يمكن الاستفادة منه في الموسم الجديد.

وكذلك فإن إعادة زراعة السيقان والأجزاء العليا من الجذور فيها تأكيد على إعادة إنماء العديد من النباتات التي يمكن أكل ثمارها.

عاش الشعب الأرومي قبل ١٧٨٨م في دعة نسبية من العيش، وكذلك حصل الأروميون الذين كانوا يمتلكون بعض قطع الأراضي التي تجاور البحر أو التي تقع على سهول الوديان أو التي على حواف البحيرات، على نصيب وافر من مختلف أنواع الأطعمة.

أما الأروميون الذين يسكنون الأراضي الخصبة فإن ما يقومون به من عمل يومي من أجل الحصول على الطعام سواءً كان بصيد بعض الحيوانات البرية أو السمك أو بجمع الثمار لا يستغرق أكثر من ساعتين أو ثلاث، ففي فكتوريا كان الناس المجاورون للأنهار والبحيرات موفقين في الحصول على كمية كافية ومنتظمة من الغذاء مع بذل أقل جهد ممكن، الأمر الذي مكنهم من إنشاء مستوطنات دائمة مبنية من الحجارة، غير أن الناس كانوا – في أماكن أخرى- يتنقلون في ربوع أراضيهم من أجل الاستفادة من الأطعمة الموسمية، وتنويع وجباتهم الغذائية، وكانوا أيضاً يفلحون الأرض ويؤدون طقوسهم الدينية ويزورون الأماكن التي لها مغزى خاص في نفوسهم.

وكما جرت العادة يتجول الأروميون في البلاد بلا هدف، يبحثون بشدة عن الطعام و الشراب في سعي شاق يومي من أجل البقاء على قيد الحياة.

كما هو الحال في الماضي تحاول جماعات الأروميين البقاء بالقرب من الأراضي التي تمتلكها، و أنهم يفعلون ذلك ليس بسبب العلاقة الروحية التي تربطهم بها فحسب، بل أيضاً بسبب معرفتهم الخاصة لأراضيهم، الأمر الذي يؤكد مقدرتهم على البقاء.

والجماعات لا تعبر إلى الأراضي المجاورة لها إلا في حالات ندرة الأغذية الشديدة، وبعد إجراء مفاوضات دبلوماسية مع المشرفين على تلك الأراضي، بشأن استخدام الموارد، وفي هذه الحالة يتم تحاشي المواقع ذي الأهمية الدينية لكن الطعام الذي يجمع تتم مقاسمته مع الجماعة المضيفة.

أما الناس الذين في أماكن قاحلة يقل فيها الماء، ربما يحتاجون إلى طلب العون من جيرانهم من وقت لآخر، لكن في الأوقات العادية فإن الأراضي التي يكون للمجموعات فيها حيز للصيد ومجال لجمع الأطعمة الموسمية، تعود ملكيتها لتلك الجماعات.

إن المجموعة الرئيسية الممتلكة للأراضي في أستراليا يطلق عليها عموماً (القبيلة) وهو اصطلاح غير دقيق، فمصطلح القبيلة كما هو معروف للجميع لم يطبق

أبداً على الأروميين، لاسيما أنه يعني شكلاً من التنظيم السياسي، لم يكن موجوداً أبداً في مجتمع الأروميين، لكن رغم ذلك استمر المصطلح شائعاً في الاستخدام.

في مطلع عام ١٩٧٠ أخرج نورمان تنديل، أحد العلماء المتخصصين في وصف الأعراق البشرية خارطة تاريخية (قبلية) توضح وجود حوالي ٦٠,٠٠٠ مجموعة تمتلك الأراضي قبل أن يستوطن الأروبيون في المنطقة، لكن لم يعد ممكناً بأي حال من الأحوال أن تقدر بأي درجة من الدقة حجم تلك المجموعات، لاسيما أن مساحة الأراضي التي كانت تسكن فيها كل مجموعة ليست في حد ذاتهامؤشراً لحجم تلك المجموعة.

فعلى سبيل المثال نجد أن بعض مجموعات (قبائل) ويراد جوري وكاميليوري في نيو ثاوس ويلز كانت تسكن في مناطق واسعة من الأراضي، لكن تفيد التقارير التاريخية أن تلك المجموعات شكلت شعوباً كبيرة الحجم من الناس، ويعزى ذلك إلى أن أراضي تلك الجماعات كانت عموماً خصبة وتروي رياً منتظماً، بينما جماعات بننتوبي التي مقرها في أقاليم شمال ووسط الصحراء بأستراليا كانت تمتلك مساحة مساوية من الأرض، لكنها لم تتمكن إلا من إعاشة عدد قليل نسبياً من السكان، أما جماعة ايروكانجي التي كانت تسكن الشريط الساحلي والمناطق الكثيفة الغابات في شمالي كيرنز بكوينس لاند، ربما كان أفرادها أكثر عدداً من جماعة بنتوبي، على الرغم من أنهم يسكنون على مساحة من الأرض لا تساوي إلا جزءً يسيراً من مساحة أرض جماعة بنتوبي، والسبب وراء تلك الكثرة العددية هو أن أراضي الأيروكانجي كانت تروى رياً جيداً، هذا فضلاً عن غناها بالنباتات والحيوانات، بجانب مقدرتها على توفير غذاء لعدد من الناس أكبر مما تستطيعه مناطق مماثلة من الأراضي في أجزاء أخرى من أستراليا.

حددت الظروف المناخية والبيئية بصفة أساسية حجم أرض كل جماعة وعدد الناس الذين يجب أن يعتمدوا في إعاشتهم عليها.

الحقيقة أدرك الأروميون أهمية التحكم في نمو عدد السكان، إذ تستطيع أرض كل مجموعة أن توفر سبل العيش لعدد مقبول من الناس، لكن الإدارة الماهرة للموارد المتاحة زادت في بعض الأحوال كمية المواد الغذائية المنتجة التي سمحت بدورها بزيادة نمو السكان.

إن الأدلة التي يجري جمعها الآن تشير إلى أنه في السنوات الخمسمائة أو الأكثر التي سبقت عام ١٧٨٨م كان هناك تكثيف لاستخدام الموارد الغذائية في بعض أجزاء البلاد، وكان ذلك نتيجة لتطبيق أساليب تخصيب وإصلاح الأرض وتحسين مهارات الصيد واستخدام مدى أوسع من الموارد.

الحقيقة شهدت الفترة نفسها أيضاً زيادة في التبادل التجاري والتفاعل الاجتماعي بين الجماعات المختلفة، بجانب بعض التغييرات في الوضع الاجتماعي.

تعد الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في مجتمع الأروميين، وتشكل بعض جماعات الأسر التي تسكن مع بعض (عصبة)، ويختلف حجم العصبة اختلافاً كبيراً استناداً إلى توفر الطعام بصفة أساسية، ولذا يمكن تعريف (العصبة) بأنها مجموعة من الأسر التي تعيش وتصطاد مع بعض.

تتكون (العصبة) من عشائر مختلفة، (فالعشيرة) تعرف بأنها مجموعة من الناس منحدرة من جد واحد، ويمكن أن تنحدر مثلاً من جد البوسم أو جد الكنغارو أو غيرهما من الأجداد.

ولا يستطيع أفراد العشيرة الزواج من بعضهم بعضاً، ذلك لأن كل عصبة تمثل بما تشمله من أشخاص متزوجين وأسرهم مجموعة من العشائر المختلفة.

وهذا يعني أنك قد تجد في العصبة أناساً من جماعة البوسام متزوجين من جماعة الكنغارو أو تجد أناساً من جماعة من الماقبي متزوجين من جماعة الثعبان،

وعليه فإن السكن هو العلاقة بين أفراد العصبة، بينما الانحدار من جد واحد هو العلاقة بين أفراد (العشيرة).

يتشارك أفراد (العشيرة) في مسؤولية الاهتمام بأملاكهم الروحية، لكن العشيرة تشكل الوحدة السياسية الرئيسية في مجتمع الأروميين، ويجتمع أفراد العشيرة مع بعض فقط من أجل الاقتسام الموسمي للموارد الكثيرة، والقيام بالشعائر الاحتفالية الدينية، وترتيب الزيجات وحل النزاعات التي تنشأ من وقت لآخر بين العشائر، كما تجتمع مجموعة من العشائر من أجل إقامة الاحتفالات الرئيسية.

حياة الأسرة:

تعد متانة الروابط الأسرية والوعي بالالتزامات الأسرية حتى يومنا هذا أحد أهم الصفات المميزة للشعب الأرومي، فالأستراليون الذين لا ينتمون لأصول أرومية يجدون أن أصدقاءهم الأروميين يوفرون لهم دوماً المناخ الأسري، ويمنحونهم وضعاً ما في الأسرة، لاسيما أن عملية تصنيف الناس الذين ليسوا أعضاءً في الأسرة هي تقليد قديم في المجتمع الأرومي، لكن لن يتمكن الغرباء قط قبل إقامة علاقتهم الحقيقية أو التصنيفية مع بعضهم بعضاً من معرفة كيفية التصرف مع بعضهم بعضاً، وكذلك معرفة الاحترام اللازم، بجانب الالتزامات المطلوبة التي تتجدد من خلال علاقة الشخص بالآخرين، شأنها في ذلك شأن التزامات الأعضاء في كل أسرة.

لعل المرء يلاحظ أن أنظمة القرابة بين الأفراد الأروميين يمكن أن تبدو للغريب معقدة جداً، إذ يتعلم أطفال الأروميين نظم أسرهم من خلال العيش مع الأسرة، مع ملاحظة صلة قرابتهم مع كل فرد من أفراد الأسرة في إطار القيام بذلك، فإنهم يتعلمون كيفية مخاطبة كل فرد من أفراد الأسرة، مع معرفة مسؤوليتهم تجاه بعضهم بعضاً، بنفس المستوى الذي يتعلمون به حقوقهم والاحترام الذي يستحقونه.

يعرف الأطفال عادة علاقاتهم بجانبي الأسرة جانب الأب وجانب الأم، ومن الأقارب المهمين جداً أخوات الأم اللاتي يطلق عليهن الأطفال (الأم)، وكذلك أشقاء الأب، الذين يطلق عليهم الأطفال (الأب)، أما بالنسبة للأولاد فإن أشقاء أمهاتهم مهمون جداً لأنهم عادة يكونون مسؤولين عن تلقين الأولاد العادات والتقاليد والطقوس.

أشقاء الأمهات والآخرون الذين يقفون في خط هذه العلاقة تجاه الأطفال مهمون جداً لأنهم سيكونون آباء الزوجات المتوقعات لأولئك الأطفال، ولهذا السبب يتعلم الأولاد كيفية إبداء درجة عالية من الاحترام لأمهات زوجاتهم المستقبليات، كما تبدي البنات الشيء نفسه تجاه آباء أزواجهن المستقبليين، ولذلك يتحاشى البنون النظر أو التحدث إلى النساء اللاتي يمكن أن يتزوجوا بناتهن، كما يتطلب قانون القرابة وجوب أن يتزوج الأطفال خارج نطاق السلالة التي ينحدرون منها.

لا يلتزم كل الأروميين اليوم بالتقاليد الصارمة المتعلقة بالزواج والقرابة، لكن كثيراً منهم يفعلون ذلك، فالنساء اللاتي كن يتزوجن الشبان الذين يتم اختيارهم لهن أصبحن الآن يرغبن أحياناً في اختيار الأزواج من مجموعة الشبان المؤهلين المتقدمين للاقتران بهن، ولذلك نجد الزيجات متروكة للاختيار الفردي، لاسيما وسط جماعات المدن التي لم تعد الممارسات التقليدية تحظى فيها بالاهتمام المتوقع.

الحياة اليومية:

بما أن الأروميين كانوا في الماضي يعيشون على الصيد وجمع ثمار النباتات، فكان من المهم توزيع المسؤوليات بصورة مناسبة بين أعضاء الجماعة، وذلك حتى يسهم كل شخص بفعالية في حياة الجماعة، ولذلك قبل الرجال والنساء مسؤوليات مختلفة كان يحددها جزئياً دور المرأة في حمل الأطفال، إذ كان الرجال يقومون بصنع الأدوات وممارسة الصيد والإشراف على قانون ضبط الرجال وأداء شعائرهم، أما النساء فكنّ يحملن الأطفال ثم يعملن على تربيتهم، وكذلك يجمعن الطعام الرئيسي

المكون من النباتات والحشرات والحيوانات الصغيرة، ثم يطبخنه ويوزعنه بين أفراد الجماعة، وعندما يتوفق الرجال في الصيد فإن اللحم يكون إضافة مهمة في الوجبة.

النساء كن مسؤولات أيضاً عن تطبيق القانون والتقاليد الخاصة بهنّ، هذا بجانب نقل معرفتهن إلى الفتيات والشابات.

وبصرف النظر عن هذا التقسيم العادي للمسؤوليات بين الرجال والنساء كان هناك نوع من التخصص في مجتمع الأروميين، كان بعض الناس على سبيل المثال أكثر مهارة في البحث عن الغذاء أو الرسم أو النسيج أو ربما العزف على الآلات الموسيقية.

عندما كان الناس يخرجون لاصطياد الحيوانات – سواء أكان ذلك بطعن الأسماك بالحراب أو بقبض الطيور بالشباك أو بمطاردة الزواحف الكبيرة وقتلها- كان من المهم جداً أن يعرف كل شخص من أعضاء الفريق الشيء المطلوب منه، فعلى سبيل المثال كان من المحتم عليهم أن يتعرفوا على الآثار المميزة التي تتركها على الأرض الحيوانات المختلفة، وأن يتمكنوا أيضاً من تحديد الزمن الذي مرّ على ترك تلك الآثار على الأرض، وكذلك معرفة الاتجاهات التي توجهت نحوها تلك الحيوانات.

وحالما تتم بنجاح عملية تحديد تتبع آثار الفريسة، تحتم وقتها على كل صياد من الصيادين معرفة دوره في عملية القبض الفعلي على الفريسة، وأحياناً يكون أحد الصيادين محظوظاً فيتمكن وحده من اصطياد الإمو (طائر أسترالي كالنعامة لكنه أصغر منها حجماً)، لكن جرت العادة على أن يصطاد الصيادون كفريق ثم يتقاسمون بينهم الفريسة التي اصطادوها.

والنساء كذلك كن كالعادة يذهبن في جماعات يقتلعن جذور النباتات ويلتقطن الفواكه ويجمعن البصل و البذور لطحنها، ويستطعن مع بعض أن يقبضن بعض الزواحف والحيوانات الصغيرة التي تقع أعينهن عليها.

الحقيقة أن هناك اختياراً واسعاً من الأطعمة الموفرة، لكنها تختلف وفق اختلاف المناخ والبيئة، لقد جاء في دراسة أعدها عام ١٩٨٧م باحث يدعى (إسحق ISACS) أن هناك ٢٣٠ فصيلة نبات في جميع أرجاء أستراليا كان يستخدمها الأروميون وساكنو جزر مضيق تورز في غذائهم اليومي، وما تزال العديد من تلك الفصائل موجودة.

كان الأطفال الكبار نسبياً عادة يرافقون النساء عند ذهابهن لجمع الأغذية، لكن الأطفال الصغار يتركون يلعبون بحرية، أما الفتيات البالغات فكنّ بطبيعة الحال يرافقن النساء الكبار مرافقة لصيقة من أجل أن يتعلمنّ كيفية حصاد الحبوب التي تستخدم كغذاء، ويشمل لعب الأطفال عادة البحث عن الفواكه وتعلم كيفية تمييز الفواكه التي تؤكل من غيرها.

والطبيعة نفسها علمت الأروميين وجود الفواكه الموسمية، فكان سماع صوت طائر بعينه إعلاناً بأن فاكهة موسمية قد نضجت، وكذلك فإن اخضرار بعض الأشجار كان علامة بأن سلطعون (سرطان) جاهز للأكل أو أن المحار متوفر.

وبما أن الأروميين كانوا يعتمدون بصورة كبيرة جداً على ثمار الأشجار كغذاء فإنهم يبحثون دوماً عن تلك العلامات، لاسيما أن تلك العلامات لا تخبرهم بمكان إقامة المعسكر، بل أيضاً بالمكان الذي توجد به بصورة محددة كمية كافية من الغذاء.

لم تكن كل الأطعمة جاهزة للأكل، فبعض الأطعمة غير المعالجة بالطبخ أو بغيره تكون سامة، لكن حموضة ومرارة بعضها تعالج باستخدام المواد ذات النكهة الطيبة، لكن نادراً ما تؤكل لحوم الحيوانات والأسماك نيئة.

تستخدم أساليب مختلفة في الطبخ، تشمل الغلي والتسخين والعجن، كانت الأطعمة النباتية تعد بطرق مختلفة، إذ أن بعض الأطعمة تحتاج إلى عجن وتصفية في الماء قبل طبخها وأكلها، كما أن الحبوب كانت تطحن ويخلط الدقيق بالماء ويطبخ

قبل الأكل، وفي بعض الأحيان يخلط الدقيق ببعض الخضروات واللحوم ويطبخ في إناء ذي طبقات لحاءٍ كثيف.

كان الطعام يوزع على أفراد الأسرة (الأم) وفق قانون ثابت، يستند إلى الحاجة الأسبقية لكن بجانب قوانين الإدارة الواعية والمحافظة على الموارد، كانت هناك قوانين بشأن من يأكل أطعمة معينة أو بشأن الكمية التي يجب أن تُؤكل ومتى تُؤكل، فعلى سبيل المثال نجد أن جماعة التسمينين حرموا- طوال الألف سنة الماضية- على إنسان أكل الأسماك التي كانت في الأساس جزءاً أساسياً من غذائهم في الاحتفالات التي يستهل فيها نشاط ممارسة الشعائر الدينية، كان يتحتم على الشبان أن يتحاشوا عموماً أكل أنواع معينة من اللحوم، لكن هذه القوانين لم تكن متبناة من قبل الجميع، إذ أن لكل جماعةٍ قوانين خاصة بها، لاسيما بشأن كيفية اقتسام الغذاء وكيفية أكله من قبل مجموعة معينة وحرمان مجموعة أخرى منه.

ظلت المعرفة بأطعمة الأشجار تنقل عبر الأجيال وتحظى اليوم باهتمام ورعاية الكثيرين من الأروميين وشعب جزيرة مضيق جزيرة تورز، على الرغم من أن طعام الأشجار لم يعد يظهر بصورة منتظمة في وجباتهم الحقيقية، أصبح الأروميون وساكنو الجزر يحصلون بكل يسر على الأطعمة الجاهزة من رفوف المحلات التجارية الراقية (السوبرماركتات)، ولكن رغم ذلك فإن الناس الذين يعيشون في الريف أو بجوار البحر لديهم معرفة خاصة بالأماكن التي تتوفر فيها أطعمة محلية جيدة، هذا فضلاً عن معرفتهم بمختلف وسائل جمع وإعداد تلك الأطعمة.

انتهى ما ذكره الكتاب الأسترالي، ونعود إلى بقية اليوميات والمشاهدات فنقول:

العودة إلى قلب المدينة:

كنا قد اتفقنا مع الأخ عمر بن عبدالقيوم خان على أن يحضر إلينا في الثانية عشرة في الفندق حيث نكون قد فرغنا من الجولة فجاء في الوقت المحدد، وذهبنا إلى قلب المدينة الذي لا يبعد عنا كثيراً وإن كنا نقيم خارجه لصغرها، وذلك من أجل التأكد من الحجز في مساء اليوم إلى مدينة (أديلايد) عاصمة ولاية جنوب أستراليا.

وقد ذهبنا إلى مكتب شركة كوانتس في قلب المدينة التجاري الذي رأيناه مجتمعاً غير كبير إلاّ أنه مزدحم بالناس، وفيهم طائفة كبيرة من (الأبورجنرز) قد جلسوا على المقاعد في السوق أو في ظلال الأشجار، وكأنما هم لا يبالون بشيء.

ولكثرتهم فيه وصادف ذلك خروج الطلاب من مدارسهم رأيت طوائف منهم من رجال ونساء لا عمل لهم وقال لنا الأخ عمر: إن بعضهم يكونون كالمخدرين من شرب الخمر.

ولكننا رأينا شباناً وأطفالاً منهم، أما الأطفال فإنهم يشبهون أطفال الأفارقة الذين يعيشون تحت خط الاستواء عندما يراهم المرء على البعد، إلا أن سوادهم غير حالك.

ورأيت فيهم شيئاً عجيباً لم أكن أتصور وجوده من قبل، وهو أن الخصائص الجسدية المميزة لهم لا تكون واضحة في الأطفال حتى يكبروا كأن يصلوا إلى سن البلوغ.

ورأيت بعض الشبان منهم يتحركون ويتصرفون مثلما يفعل غيرهم من الناس مما يدل على أنهم ممن يتعلمون في المدارس بخلاف سائرهم الذين لا تراهم إلا جالسين أو متمددين بدون مبالاة بشيء.

وأبديت عجبي من كثرتهم الظاهرة في سوق المدينة وفي قلبها فقال الأخ عمر: إنهم لا يجلسون في المساكن، وإنهم لا يميلون إلى ذلك كما أنهم كثر في هذه المدينة، حيث تبلغ نسبتهم بين سكانها ٣٥% وهذه نسبة لا توجد في مدينة أخرى من مدن أستراليا.

وتغلب البدانة على أجسامهم وهي الغلظ بمعنى أن يكون الجسم كبيراً، أو منتفخاً من غير سمن، إلا أنني رأيت فيهم ممن هم من السمان، وهذا في المدينة فقط، لأنهم صاروا يأكلون من أكل أهلها أو بعضه.

ولكن حتى الذين في المدينة منهم لا يرى المرء وجاهة في مناظرهم، ولا يحس أن في وجوههم شيئاً من الجمال، إلا أن الأمر مختلف بالنسبة إلى الأطفال أو الصغار من الأولاد الذين يتعلمون في المدارس لكونهم قد تيسر لهم النظافة والتغذية، ولم تظهر الخصائص والتقاسيم المميزة لبني جنسهم عليهم بعد.

وشيء آخر لافت للنظر فيهم وهو أنهم يتشابهون إلى درجة كبيرة ولا ينبغي أن يسارع القارئ الكريم فيقول قولاً صحيحاً، وهو أن المجموعات الغريبة من الناس عن الإنسان يبدو أفرادها متشابهين في نظره، فذلك وإن كان صحيحاً إلى درجة عجيبة في أهل الصين مثلاً، فإنها هنا حقيقة كذلك، وقد يدل ذلك على كونهم من أصل واحد عصمتهم حياتهم المنعزلة في أستراليا في القديم أو حرمتهم من الاختلاط بالعناصر الأخرى من الناس.

وبعد أن انتهينا من الحجز ذهبنا إلى المطعم التركي لتوديع الأخ (عبدالجبار كمال) ولتناول شيء من الغداء الخفيف في مطعمه، فمررنا بالشارع الرئيسي في المدينة واسمه (قري قريان) وأظنها من لغة الأبورجنرز فالتقطنا فيه صورة تذكارية مع الأخ عمر.

من الطريف أن الأخ صاحب المطعم أحضر لنا ماءً معدنياً كتب عليه اسمه في العربية، ولكن بالحروف اللاتينية (الحياة) فقلت في نفسي: أني بالعربية هنا، وسألت الأخ كمال عن ذلك، فقال: هذا ماء معدني نستورده من تركيا اسمه (حياة) قال: وهو أرخص من المياه المعدنية هنا وأفضل، ويفضله الناس على الماء المتوفر في مدينة (اليس اسبرنغ) لأن ماءها مشبع بالكلسيوم فهو مفيد للشباب، ضار بالشيوخ.

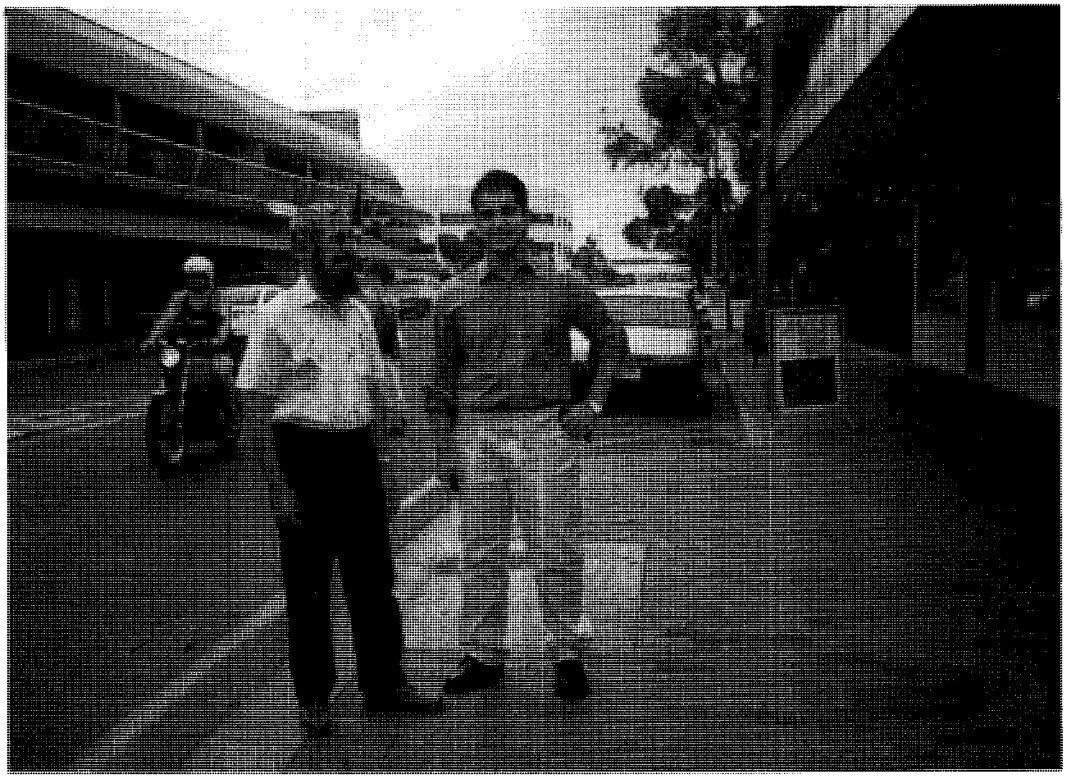

في الشارع الرئيسي في اليس اسبرنغ واسمه (قري قريان)
مع الأخ عمر بن رئيس الجمعية الإسلامية عبدالقيوم خان

قال: ونحن نبيع الماء التركي بدولار ونصف لمثل هذه الزجاجة وهي زجاجة صغيرة مما يباع عندنا بريال سعودي واحد، على حين أن مثل هذه الزجاجة من المياه المعبأة في أستراليا ثمنه دولاران، فعجبت من هذا الغلاء، لأن ذلك يعني خمسة ريالات سعودية للزجاجة الصغيرة التي تباع عندنا في المطاعم والمقاصف بريال.

عود إلى الحديث عن الدعوة:

قال الأخ عبدالجبار كمال: إننا نرى أن وجود إمام متفرغ للعمل الإسلامي في هذه المدينة ضرورة لابد منها، لأنه يوجد نحو ٤٠٠ من ذرية الأفغان لا يعرفون شيئاً عن دينهم، وأخوالهم من (أبورجنرز)، وقال: لو بكرتم قليلاً لرأيتموهم يأتون إلى مطعمي لا يذهبون إلى غيره رغبة في اللحم الحلال، ومن الممكن أن يسلموا من جديد، وينفع الله بهم غيرهم من (أبورجنرز) أو حتى غيرهم من الناس.

قال: ويومها يصبح عددنا- نحن المسلمين- في هذه البلدة ٤٠٠ بدلاً من ٣٠ أسرة، وقال: نقول لـ (أبورجنرز): يخلصكم من الحقارة والوساخة التي أنتم فيها الإسلام، لأنكم سوف تتوضئون وتغتسلون، قال: والعجيب أنني إذا ذكرت لهم مثل هذا القول بدأ لي أنهم كمن يسترجعون تذكر شيء كانوا قد نسوه.

قال: وكثير منهم ينظرون إلى صورة مسجد السلطان محمد الفاتح ويبدون إعجابهم بها، وكان قد علق صورة الجامع المذكور في مكان بارز من مطعمه.

ثم ذكر أن إسلامهم مهم في هذه المنطقة التي صارت مهمة لأن فيها يورانيوم وبترولاً وغازاً وذهباً.

والغريب أنه ذكر ما كنا سمعناه من قبل، وهو أن بعضهم يختن أبناءه، فقال: نعم، هؤلاء- ولا أدري أيريد بذلك كافة أبورجنرز أم ذرية الأفغان فقط- يختنون أبناءهم بسكين من الخشب، وذكر أن ذرية الأفغان لهم عادات إسلامية ابتعدوا عن الدين لعدم من يعلمهم أو يرشدهم إليه.

وذكر ما ذكره غيره من أن الحكومة الأسترالية تعطيهم لأطفالهم ٣٠٠ دولار أسبوعياً للطفلين كما تعطيهم كل أسبوعين مبلغاً من المال لهم، ولكنهم يستعملونه في شرب الخمر، ولا ينتفعون منه، وقال: يقول بعض الناس: إن الحكومة تعطيهم هذا المبلغ وتسمح لهم بأن يشربوا الخمر حتى ينشغلوا بذلك عنها، ولا يطالبون الحكومة بشيء.

وذكر أن عدد الأفغان الذي جاءوا إلى هذه البلاد هو ١٦٠٠ شخص وإنهم الذين فتحوا الطريق من أديلايد إلى (اليس اسبرنغ).

حديقة تمور مكة:

مزرعة مكة للتمور في اليس اسبرنغ

لم نطل المكث في المطعم، وإنما ذهبنا لرؤية حديقة (تمور مكة) وهذا اسمها وهي حديقة نخيل تثمر تمراً زعموه جيداً حديثة، وحديثة الوصول إلى هذه البلاد والغرس فيها.

ذهبنا إليها مع الأخ عمر عبدالقيوم خان وتقع خارج مدينة (اليس اسبرنغ) بمسافة قريبة.

فوجئنا بنخيل طويلة في حديقة من النخل النضر، الذي لا يختلف منظره عن منظر النخيل في بلادنا بشيء، ولها بوابة معتنى بها على هيئة عقد وكتب عليها اسمها ظاهراً، وبتأنق وعناية (مكة ديت قاردن) أي حديقة تمر مكة.

وجدنا بجانبها متجراً يبيع أشياء مما يشتريه السياح ومنها أنواع من التمر من إنتاج هذا النخيل، وقد حفظوه بعلب أو أكياس من اللدائن بطريقة محكمة جميلة، وفي المتجر أشياء أخرى من إنتاج هذه المدينة غير التمر.

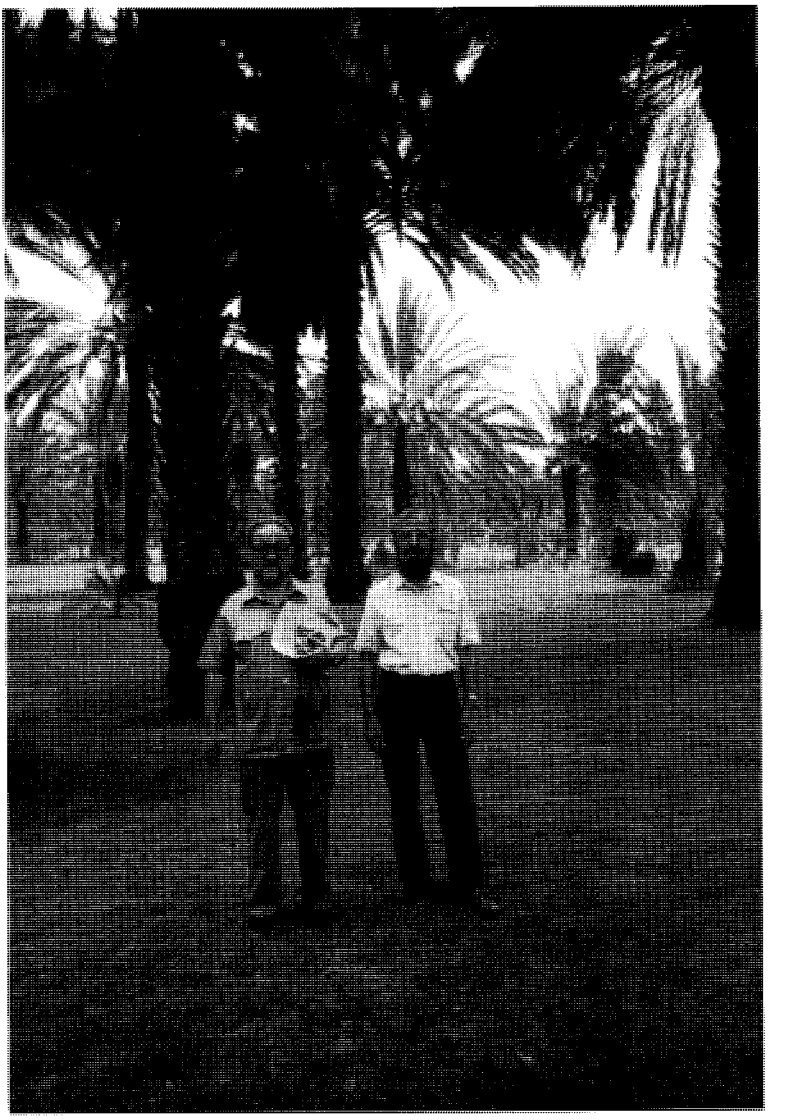

مع الأستاذ رحمةالله بن عناية الله رفيق الرحلة
في مزرعة تمور مكة في اليس اسبرنغ

لقد انصرف ذهني إلى التمر لأنه – أولاً- تمر أسترالي وليس عربياً، وإن كان فيما يفهم مما قالوه إنه عربي الأصل، فأسرعت أشتري كيساً صغيراً وأتذوقه وإذا به ليس فاخراً، بل هو يشبه (الصقعي) الموجود في جنوب نجد وعاليتها.

وليس جيد الطعم، وقالت امرأة كانت في المتجر: إن لدينا أفخر منه من إنتاج هذه النخيل، وقد حفظوه في علب من اللدائن، فاشترينا منها عدة علب، وقد أكلنا منها بعد ذلك فوجدناها ليست طيبة، وإنما تميزها بحجمها، فهو كبير الحجم أسود لا أغرف له أصلاً من تمرنا، ولكن طعمه أقل بكثير مما في بلادنا وربما يشبه الزغلول في مصر.

وكنت أحمل معي بعض التمر أحضرته من نخلة نبتت في بستاني في بريدة من نواة ولم تغرس غرساً فأسميتها (العبودية) على عادة الناس في بلادنا في تسمية النخلة النبتة، وهي التي لم تغرس من نخلة، وإنما نبتت من نواة، وهي كبيرة الحجم لذيذة الطعم، فقد وجدت أن تمرنا أفخر، وهو أيضاً أزهى وأنضر.

ووجدنا على مدخل المتجر لافتة تدل على احتفالهم بالتمر، واحتفائهم به وهي: (ديزرت فروت كومبني) أي شركة فاكهة الصحراء، يريدون بذلك التمر، والحقيقة أن التمر هو فاكهة عندما يكون رطباً، فإذا أتمر أي صار تمراً صار عند بني قومنا غذاء يمكن أن يعيشوا عليه دون غيره.

ذكرت المرأة أن الذي أنشأ حديقة التمر هذه رجل ألماني وأنه أحضر النخيل هذه من ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في عام ١٩٩٠م.

وقد نوهت بذلك، ولم يكن ليخطر على بالي أن مثل هذه النخيل الطويلة يمكن أن تنقل من قارة إلى قارة منذ ثمان سنين، إذ معنى ذلك أنها نقلت وهي كبيرة مرتفعة ارتفاعاً كبيراً، لأن النخل الذي يكون في مثل حجمها يكون فيما نعرفه من التمر في بلادنا عمره في نحو ٣٠ سنة.

وهذا يدل على أن ذلك الألماني، أو من أشار عليه بنقل النخل لا يعرف طبيعة النخل، إذ النخل الكبير الطويل يحتاج إلى كلفة ومشقة في النقل عظيمة، إضافة إلى أنه قد مضى من عمره الممتاز وهو أن تكون النخلة في طول قامة الرجل جانب كبير.

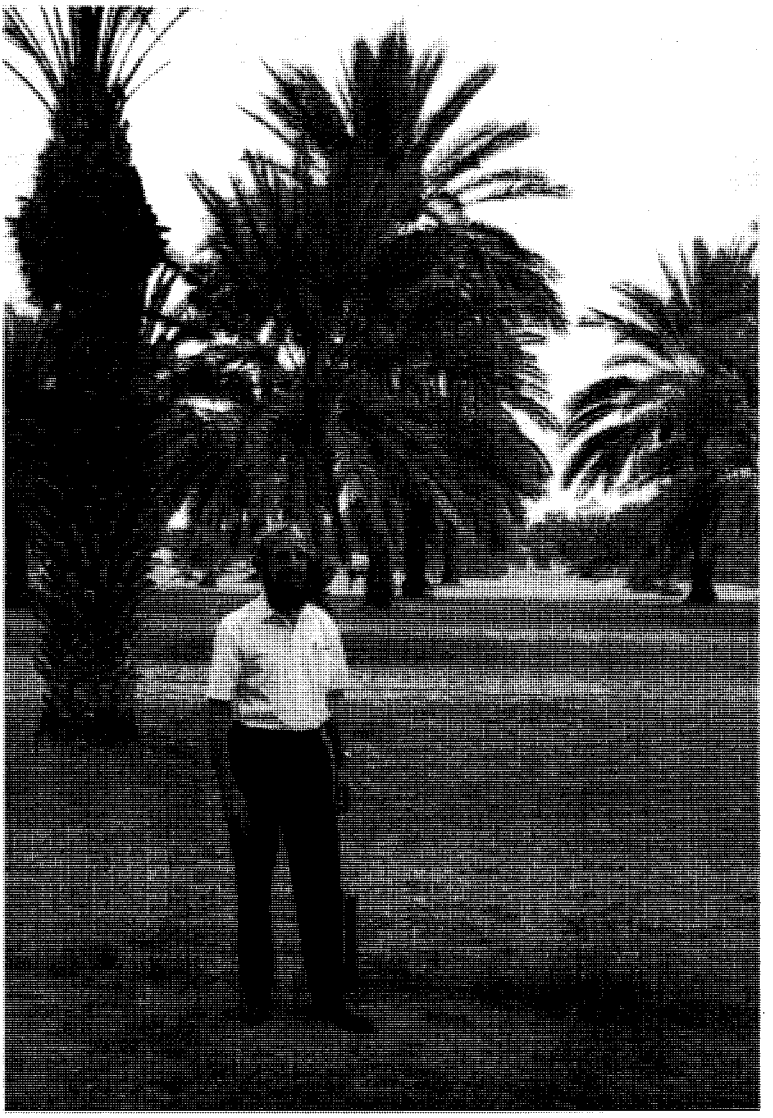

المؤلف بين النخيل في مزرعة تمور مكة في اليس اسبرنغ

والأفضل في مثل هذه الحالة أن ينقل النخل الذي بدأ بالإثمار، وهو في المتوسط يكون قد مضى على غرس الفرخ أو الودية وهي النخلة الصغيرة خمس سنين أو ست، فذلك أسهل لنقلها، وأقوى لطلعها، وأدعى إلى تأقلمها في البيئة التي نقلت إليها.

ثم تساءلت عن أصل هذا النخل الذي نقل من أمريكا إلى استراليا فلم أر من يعرف عنها شيئاً، ولكن مذاق التمر يدل على أنه ليس من تمر الصحراء النقية كبلادنا والبلاد العربية في شمال إفريقية.

وقد غرسوا عدداً أكبر مما تحتاجه النخل من الفحَّال وهي ذكور النخل، وهي كبيرة ضخمة مما يدل على أنهم أحضروها مع النخل من أمريكا، وهذا أمر يمكن توفيره بالحصول على (فحال) واحد لأنه يكفي لإلقاح عدد كبير من النخل.

وإذا فرض أنه لم يكف فإن بإمكانهم أن يستنبتوا نوى من التمر فأكثره يكون فحالاً يطلع بعد خمس سنين أو أربع على وجه التقريب، وقد يخرج من بين ذلك النخل الذي ينبت من النوى نخل كريم من إناث النخل ينفعهم أيضاً.

التأقلم مع الفصول:

رأينا النخل قد اثقلته قنوانه، وأكثره لا يزال أخضر،ولكنه مكتمل النمو بحيث لم يبق على أن يكون (لونا) أو زهوا إلا مدة يسيرة، ورأيت نخلتين فيهما قد لون بسرهما مما يدل على أنهما من (المباكير) وهي التي تبكر بالنضج.

مع العلم بأننا الآن في شهر ديسمبر وهو شهر البرد في بلادنا ولا يكون بقي فيه من التمر شيء في النخل.

وهنا سألت المرأة عن الوقت الذي ينضج فيه التمر عندهم؟ فذكرت أن ذلك يكون في شهري فبراير ومارس، وهذا عجيب بالنسبة لمن يعرف أن النخل عندنا يثمر في أغسطس وسبتمبر، ولكن النخل هنا تأقلم مع الفصول لا مع الحساب، فهو

الآن في فصل الصيف في أستراليا وفبراير ومارس بالنسبة إليه هما فصل الخريف مثلما أن أغسطس وسبتمبر هما في آخر الصيف وأول الخريف في بلادنا.

النخلة التي سموها (سعدالدين) مكتوب اسمها عليها في لافتة

لكل نخلة اسم:

جعلوا لكل نخلة اسماً خاصاً بها، وليس المراد بذلك الاسم هو اسم نوعها كما نقول سكرية وبرحية وخلاصة ونبتة سيف، فذلك ما لم نستطع العثور عليه عندهم، وإنما جعلوا لكل نخلة اسماً خاصاً بها، كما يكون اسم الإنسان للإنسان حتى إذا كانت عندهم نخلات من نوع واحد خلعوا على كل واحدة اسماً لها خاصاً، وكتبوه على لافتة علقوها عليها، وأثبتوها فيها.

وقد أسموها فيما بلغنا أول الأمر أسماء عربية إسلامية، إلا أن المالك الأول باعها على آخر فغير أسماءها إلى ما هي عليه الآن، وإن كان بعضها لا يزال محتفظاً باسمه القديم فيما لم يتغير اسمه نخلة جعلوا لها اسماً مذكراً، وإن كانت أنثى فاسموها (سعدالدين) ولو كانوا يعرفون العربية، وكان لابد لهم من أن يسموها اسماً عربياً إسلامياً لأسموها (سعدية الدين) لأن سعداً مذكر كما هو معروف.

وذكرت ما قلته من قبل بأنهم أحضروا هذه النخيل كبيرة طويلة، وذكرت أنه منذ إحضارها أول مرة لم يحضروا غيرها مرة ثانية.

لافتة (مزرعة تمور مكة) عند بابها الخارجي

ومن أسماء النخل التي علقوها عليها (مونيكا) و(ازابيلا) و(رديت) ولم أجد من يعرف معنى هذا الاسم، بخلاف الأولين فهما اسمان شائعان من أسماء النساء، وأسموا نخلة أخرى (بنتا) وأخرى (اندوليا).

ونخلة أخرى اسمها مذكر وغريب، وهو (موسك) أي مسجد بالإنكليزية، وبعض النخل قد لفوا على قنوانه شيئاً كالكيس مع أنه لم يتمر بعد.

ورأيت مروحة هوائية قد ركبوها بجانب الحديقة يخرجون بها الماء من الأرض، ويجمعونه ثم يسقون به النخل، ولا أدري أهو وحده كاف لهم، أم لديهم مصدر آخر من بئر آخر، لأن المطر هنا شحيح، ولو كانت البلاد مطيرة في الصيف لفسد التمر.

ورأيتهم يحرصون حرصاً شديداً على الفراخة – جمع فرخ- وهو عندنا ولد النخلة الذي يوجد عليها، لأنهم هنا يغرسونه، ويحرصون عليه لقلة النخل عندهم.

ولا أدري ما إذا كان هذا التمر نسلاً لتمر من بلادنا أم من بلاد بعيدة غير أن الذي نعرفه أن التمر يكاد يكون خاصاً بالمناطق التي تتكلم العربية، فكانه يأنس بذلك، وهذا كان بلا شك شأنه في العالم القديم، فلما جاء أهل العالم الجديد يبحثون عن الجديد المفيد لبلادهم غرسوا في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية مقادير كبيرة من النخل، ومنها أنواع فاخرة كالبرحي فأتمرت، وكسبوا من تمرها كثيراً حتى إنني عندما كنت هناك قبل عشر سنين رايتهم يبيعون كيلو الرطب من البرحي المحفوظ في الثلاجات بما يعادل ٢٤ ريالاً للكيلو الواحد.

وهذا التمر الأسترالي اشتريت النوع الذي يعتبرونه رديئاً عندهم الكيلو بخمسة وعشرين ريالاً، وأما الذي يقولون إنه جيد فإن الكيلو الواحد منه بخمسة عشردولاراً أسترالياً ويساوي ذلك ٣٧ ريالاً ونصفاً.

ولو كان الذين احضروا هذه النخيل إلى أستراليا من أرباب الخبرة لأحضروا كرائم النخل لأن مئونة النقل والعناية واحدة.

النخيل في اليس اسبرنغ- أستراليا- قد أثقلتها ثمارها في أربعينية الشتاء لأنه الصيف عندهم

بل لو كانوا يعرفون لاشتروا من بلادنا نخلاً صغاراً من كرائم النخل لوجدوا أن تمرها أفضل، وربما يكون أوفر، إذا كانت عنايتهم بها كاملة.

وقد ذكرت بهذه المناسبة أن الشيخ (شفيق الرحمن عبدالله) مدير المركز الإسلامي في سدني كان اشترى تمراً من بريدة من الشقراء والمكتومي فباعه في أستراليا وأعجب به الناس وأقبلوا على شرائه.

هذا وقد حرصت على أن نعرف أسماء التمر من أسماء نخله فلم أجد في المكان من يعرف ذلك.

ومما يسجل لهم أننا وجدنا باب الحديقة مفتوحاً يدخل منه من يشاء ويشاهد النخل من دن أن يمنعه أحد، والمراد بذلك أنه يدخل إليه ويتجول فيه، ويمسه، وقد فعلنا ذلك وصورناه.

مزرعة الإبل:

هكذا قال لنا الأخ عمر عبدالقيوم وهكذا وجدنا اسمها على الباب الخارجي لها (مزرعة الإبل)، وتحتها أوقات الزيارة ونص الاسم بالإنجليزية (فارم كملز) وكملز جمال، جمع جمل، وهذا تفريج على وزن تعريب أو (تفرنج) للاسم العربي للإبل إذا كان الاسم قد فعل ذلك بنفسه، وهو لم يفعله لأن ترجمته الحرفية (الجمال) – جمع جمل- وهو غير صحيح إذ الجمال هي ذكور الإبل، أما إناثها فهي نوق- جمع ناقة- أما هم فقد (استجملت) الناقة على وزن ما قالته العرب الأوائل (استنوق الجمل) أي صار كالناقة.

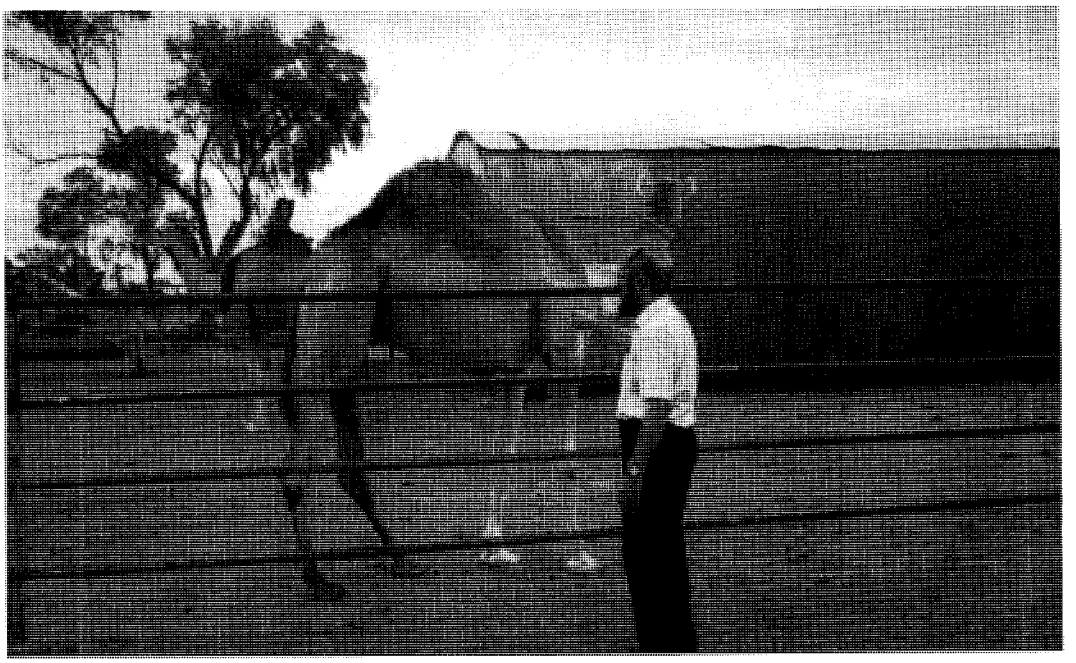

إبل في مزرعة الجمال في اليس اسبرنغ

وقد أخذ هذه الترجمة أو هذا الاسم غير الصحيح للإبل من أخذه من العرب الآخرين من أهل الحواضر فسموا الإبل (جمالاً) حتى إن بعضهم قال من قبيح ما قاله: لبن الجمل مفيد، يريد لبن الناقة.

وإذا تركنا اللفظ ورجعنا للمعنى زاد عجبنا من كون الإبل لها مزرعة تكون فيها، والإبل بدوية برية لا تحتاج إلى مزرعة، لاسيما إذا كان المرعى وافراً كما هي عليه الحال في هذه المنطقة من أستراليا.

ومما يزيد صورة الإبل وضوحاً أننا قبل أن نصل إلى مزرعة الإبل مر بنا الطريق فوق جسر عريض، نسيت أنني في بلاد صحراوية هنا فسألت الأخ عمر الذي كان يقود بنا سيارته عما إذا كان هنا نهراً فأجاب: إنه لا يوجد فيه إلا الرمل، وإن هذا الجسر وضع عليه من أجل المطر إذا جاء وقليلاً ما يأتي، فهو إذاً شبيه بالجسور العريضة التي تكون على الوديان في بلادنا.

أوقفنا السيارة في فناء مسور لمزرعة الإبل الواسعة، ودخلنا على متجر كبير في المدخل وجدنا فيه امرأة بيضاء طلبت رسم الدخول ١٥ دولاراً أسترالياً للشخص الواحد فدفعنا لها ٤٥ دولاراً أي ١٢٥ ريالاً سعودياً لدخول ثلاثة أشخاص.

ووجدنا في المدخل تحفاً ومخلفات من عهد الأفغان مثل الشداد وهو الرحل ومعها الأدوات التي كان يستعملها الأفغان.

ولما كان الوقت ضيقاً فقد انصرفنا بسرعة وقالت المرأة كالمعتذرة: إن الدليل ليس موجوداً لأن الوقت متأخر، وقد أفضى بنا الخروج من المتجر إلى مساحة واسعة جداً فيها عدة أبنية تبين لنا فيما بعد أن المكان ليس مجرد حظائر لتربية الإبل، وإنما فيه أشياء مهمة، ولكن هدفنا هو رؤية الإبل، ومعرفة ما إذا كان قد تغير فيها شيء في هذه القارة الأسترالية البعيدة عن مواطن الإبل التقليدية، بل هي بلاد الكنغرو الناقز، والنقز هو الذي يشبه القفز في السير.

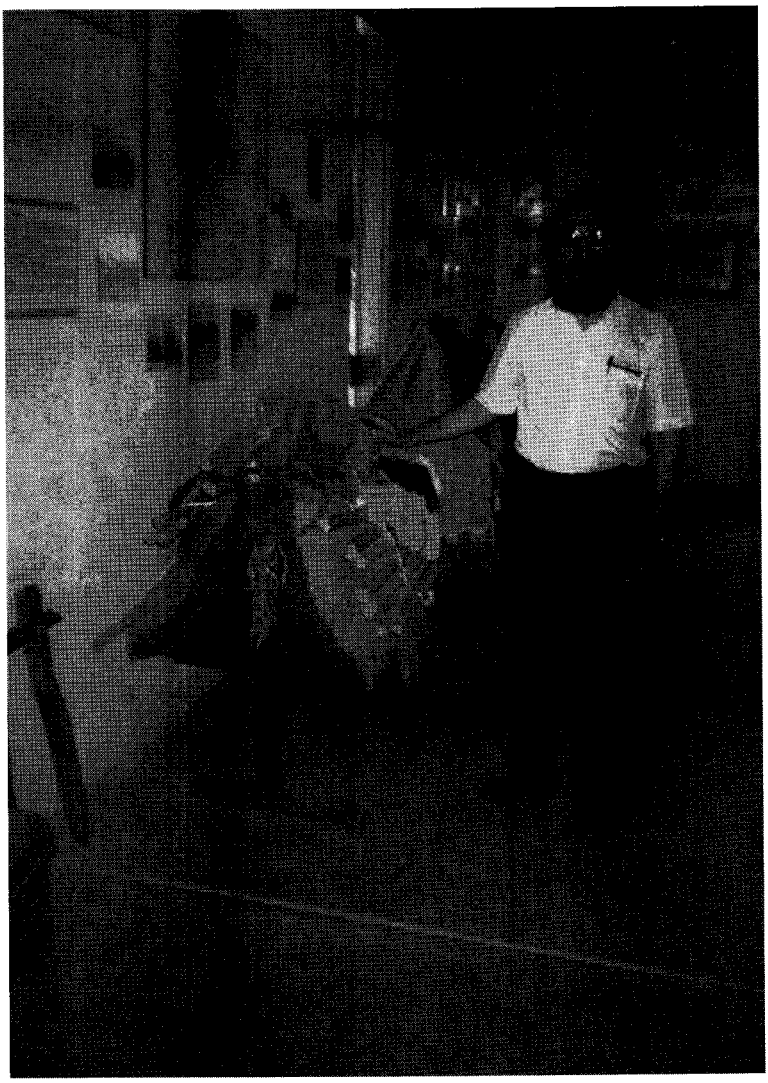

المؤلف عند شداد (رحل) في متحف مزرعة
الجمال- الإبل- في اليس اسبرنغ

ولا بأس أن نذكر هنا ما لاحظناه من وجود شبه كبير بين الكنغرو واليربوع: حيوان الصحراء العربية الصغير الذي يشبه الفأر، ويلحقه بعض الناس بالفأر فهو كالكنغرو قصير اليدين طويل الذيل يقفز قفزاً إذا جرى وإن كان يتكي على يديه أحياناً بخلاف الكنغرو الذي لا تمس يداه الأرض عندما يعدو، وإذا وقف وقف على رجليه وذيله.

إلا أن الفرق العظيم بين الكنقرو واليربوع هو في الحجم فالكنقرو يساوي في حجمه ووزنه ما يعادل نحواً من ٥٠٠ يربوع.

وجدناهم قد حجزوا الإبل في حظائر واسعة بعضها منفصل عن بعض، ووجدت أحدها يجول، يجري ويسرع في جريه ولا أدري الذي يجعله كذلك، لأنه ليس عنده أحد.

بعير (يدرهم) أي يركض في مزرعة الإبل في اليس اسبرنغ

ومن الطريف أنهم كتبوا موعد ما أسموه (إطعام الجمل) والجمل الذي نعرفه لا يحتاج إلى إطعام، وإنما يكفي أن يضع الإنسان العلف أمامه، ويتركه يطعم نفسه.

ولاحظت أنها لا تكاد تختلف عن إبلنا بشيء إلا ما رأيته في واحد منها من رشاقة ظاهرة وطول أي ارتفاع فيه.

ولا ينبغي للقارئ الكريم أن يحكم على المؤلف بالسذاجة عند ذكره الاختلاف فيقول: كيف يختلف البعير لمجرد كونه عاش في مكان آخر مائة سنة أو نحوها، وذلك بأن هذه الإبل ليست من بلادنا في الأصل، وإنما هي إبل أفغانية، والجهات التي تستعمل الإبل وتستولدها في أفغانستان بصفة رئيسية هي في جنوبها، حيث الحر والسهل، بخلاف شمالها فالبرد شديد، بل إن الشتاء ثالج فيها، لذلك لا يستبعد مثلي أن تكون فيها فروق عن إبلنا، ولكنني لم ألاحظ إلا ما ذكرته من طول في بعضها، ومن خلاف ذلك وهو قصر في واحد منها لا شك في أنه من فصيلة غير إبلنا، فهو قصير كثيف الوبر، قصير الرقبة نوعاً ملتوي الرقبة، أكثر من البعير الذي نعرفه، وهو أشبه ما يكون بالإبل ذوات السنامين، لولا أنه ليس له إلا سنام واحد.

وقد رأيت الإبل ذوات السنامين في أماكن متباعدة من العالم، يجمع بينها طبيعتها الصحراوية، وبردها الشديد، وذلك في الشمال الغربي من الصين، وفي بلاد المغول، وفي جنوب بلاد القازاق، والشيء الذي استطبته وكنت أنسبته منذ سنين هو رائحة أبعار الإبل، وأبوالها وهو الذي نسميه معاطنها فهي رائحة نفاثة وجدتها طيبة، ليس فيها ما في رجيع الدواب الأخرى حتى المأكولة كالبقر.

ولاحظت أن جملاً منها يبدو كأنما هي يهدر أو كأنما هو هائج فهو منفرد، ورافع رأسه في حركة الغطرسة والتحدي اللذين نعرفهما في بلادنا من الجمل إذا هاج في الشتاء، على أنني لم أتحقق من كون الجمل هائجاً إلا بما ذكرته، ولم أره يخرج شقشقته ويهدر، فإذا كان ما تخيلته صحيحاً فإن هذا الجمل لم يتأقلم كما تأقلم النخل، وإنما صار يهيج في هذه البلاد في الوقت نفسه الذي كان يهيج به في البلدان الشمالية.

ورأيت أكثر الإبل ترزم ولها رزيم وهو الصوت الذي نسمعه كأنه الشكوى وليس برغاء، فكأنما هي لا تخرجه من حلوقها.

وهو أشبه بالحنين، وجاء الخيال ليقول: إنها تفعل ذلك شوقاً إلى مرابعها ومراتعها في بلادها الأولى، أو على الأصح إلى مراتع أجدادها ومرابعها.

وكلها ذات هيئات حسنة من الشبع والعناية بها، وإن لم تكن بالغة السمن والضخامة.

والعجيب أنها تسرع بمد أعناقها إلينا، فكأنما كان الزوار عودوها على أن يعطوها شيئاً تأكله.

متحف الحيات:

انصرفنا من حظائر الإبل الواسعة التي هي منطلقة فيها وقد رأينا أحد عشر بعيراً في هذه الحظائر، وربما كان يوجد غيرها داخل قسم مغطى فذهبنا إلى متحف في هذه الحديقة هو متحف الحيات، وقد جعلوها في روازن وهي النوافذ غير النافذة في الجدار، أي الموضوعة فيه بدون أن تخرقه، وقد عرضوا فيها أنواعاً من الحيات والأفاعي السامة وغير السامة، وأحاطوها بما يشبه بيتها الطبيعي حتى صار المرء كأنما يراها في بيتها الأصلي.

فمثلاً هناك حَيَّات ذات ألوان خضر، قد جعلوا معها نباتاً أخضر، أو ورق أشجار خضر كما هي عليه الحال في بيئتها التي كانت تعيش فيها.

وحيات يخيل للمرء إذا رآها أنها تماثيل لحيات، وليست حقيقية، لأنها ساكنة بل جامدة حتى تتحرك فيعرف أنها حية تسعى، وحيات أخرى منطوية على نفسها حقيقة ومجازاً، وأخرى سوداء مخيفة.

وقد كثرت الحيات إلى درجة أنها شغلت أكثر من غرفة، وعرضوا في غرفة أخرى أنواعاً من الزواحف من السحالي: جمع سحلية وحيواناً يشبه الضَّب العربي حتى لغابيبه، وهي أسافل حنكه الأسفل فوق حلقه هي صفر كما يكون عليه الضب عندنا وكتبوا عليه أنه نوع من السحالي، ولم يذكروا موطنه، والذي عرضوه منه صغير، فإما إن يكون لعمره، أو أن هذا هو حجمه المعتاد.

وقد تعددت أنواع الزواحف الغريبة، ولم يكدر صفو هذه الزيارة المفيدة لمزرعة الجمال إلا ضيق الوقت عن استيعاب كل ما فيها من العجائب والغرائب.

والغريب أنهم لم يحتفوا بحيوان أستراليا (الكنقرو) فلم يعرضوا منه إلاَّ زوجين في قفص منفرد.

ثم قاعة كبيرة فيها مخلفات ابتداء العمارة في هذه البلدة التي ذكروا أن بداية العمارة فيها كانت في عام ١٨١٦م، وأن الأفغان جاءوا إليها في عام ١٨٨٠م.

مغادرة أليس اسبرنغ:

قصدنا المطار راساً للسفر إلى مدينة (اديلايد) عاصمة الولاية الجنوبية الأسترالية، فمررنا بالخط الحديدي الذي بناه الأفغان كما ذكر الدليل السياحي، ورأينا أعداداً من السكان الأصلاء (الأبورجنرز) تحت الأشجار جالسين أو نائمين أو مسترخين.

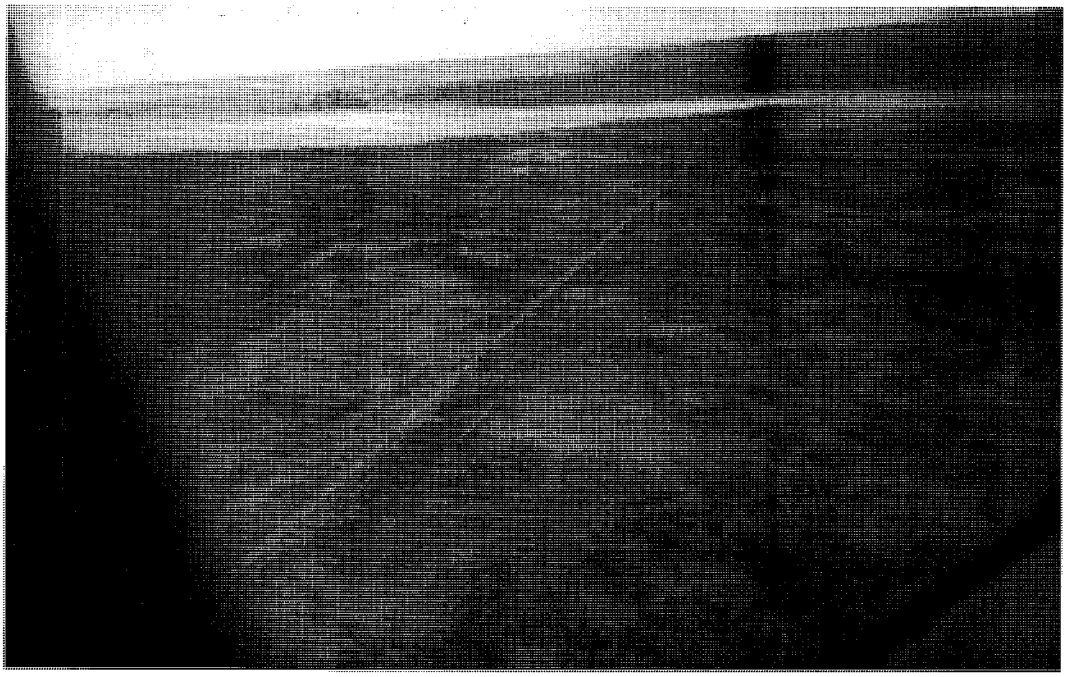

صورة من الطائرة للصحراء بعد (اليس اسبرنغ) مع غروب الشمس

ثم غادرنا (أليس اسبرنغ) قاصدين اديلايد في جنوب أستراليا وللحديث عن ولاية جنوب أستراليا ممثلاً بالحديث عن عاصمتها (اديلايد) وكذلك ولاية فيكتوريا التي تقع إلى الشرق منها وهي في جنوب القارة أيضاً، وعن عاصمة أستراليا مدينة كانبرا في كتاب آخر هو (في جنوب أستراليا) من هذه السلسلة من الرحلات الأسترالية والله المستعان.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفات مطبوعة في غير فن الرحلات ١٣
المقدمة ١٥
الغرض من الرحلة ١٧

نظرة عامة في أحوال أستراليا

أستراليا: المساحة والطبيعة ٢١
الثروات ٢٢
جكومة أستراليا ٢٤
السكان ٢٥
المستوطنون ٢٥
الأستراليون الأصلاء ٢٦
المسلمون وأستراليا ٢٩
ملاحظات عامة ٣٤
تقرير مهم ٣٦
الإسلام في أستراليا: الماضي والحاضر والمستقبل ٣٧
دخول الإسلام إلى أستراليا ٣٨
مرحلة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية..... ٤٨
دوافع الهجرة ٥٠
المساجد والمدارس الإسلامية ٥١
المؤسسات والجمعيات الإسلامية ٥٣
الإسلام ووسائل الإعلام ٥٤
دور الأئمة والدعاة ٥٦
الخلاصة ٥٨

اليوميات الأسترالية

من الرياض إلى سنغافورة ٦١
الصلاة في وقتها ٦٣
مطار سنغافورة ٦٣

من سنغافورة إلى داروين ٦٩
الفضاء المظلم ٦٩
فوق مطار داروين ٧١
مدينة داروين ٧٣
مسجد داروين ٧٤
ذكريات من داروين ٧٧
معمر اليوناني ٨١
المسلمون في داروين ٨٢
مطاعم المسلمين ٨٣
جولة سياحية ٨٩
اسم المدينة ٨٩
سكان المدينة ٩٠
منازل شعبية ٩٢
حي الأغنياء ٩٤
خليج كالين ٩٤
الحي الذي هدمته الحكومة ٩٦
تمساح المياه الملحة ٩٧
الكنغرو واليربوع ٩٩
الكنغرو والثور الهندي ١٠٠
السكان الأصلاء ١٠١
حديقة داروين الوطنية ١٠٦
العودة إلى مدينة داروين ١٠٩
مغادرة داروين ١١٠

إلى مدينة أليس اسبرنغ

إلى مدينة أليس اسبرنغ ١١٥
من بيرث إلى أليس اسبرنغ ١١٦
مطار أليس اسبرنغ ١١٩
بلدة أليس اسبرنغ ١٢١
في مدينة أليس اسبرنغ ١٢٤
مسجد أليس اسبرنغ ١٢٦

مسجد الأفغان ١٢٧
الوجود الإسلامي في أليس اسبرنغ ١٢٩
في سبيل الماشية ١٣١
الأفغان الأوائل ١٣٢
الزواج من السكان البدائيين ١٣٤
وفي الوقت الحاضر ١٣٥
ضرورة الدعوة في المنطقة ١٣٥
كباب السلطان ١٣٧
جولة في مدينة (أليس اسبرنغ) ١٣٩
بدء الرحلة ١٤١
فضل الأفغان على المنطقة ١٤٢
داخل الصحراء ١٤٣
محاضرة في عادات الأبورجنرز ١٤٥
صيد صغار الكنقرو ١٤٧
تانلالا ١٤٩
السيف الخشبي ١٥٠
لغات الأبورجنرز ١٥١
السلاح ضد الآدمي ١٥٣
المجتمع القبلي ١٥٣
تمثال الكنقرو ١٥٤
وجبة الأبورجنرز ١٥٥
لا يهتمون بالنظافة ١٥٧
طعام الأبورجنرز ١٥٨
القذارة المأكولة ١٦٠
أهو ثمار الشفلح؟ ١٦٣
أبورجنرز يتحدثون ١٦٤
الكوبري ١٦٦
دين الأبورجنرز ١٦٦
هم من أهل الفترة ١٦٧
العودة إلى حديث الدليل ١٦٨

عدد الأبورجنرز ١٦٨
وقاموا بالكوبري ١٧٠
اللباس من الرأس ١٧٢
ألوان الأبورجنرز ١٧٣
وداع الأبورجنرز ١٧٣
ولكن أين الإبل؟ ١٧٦
هل أبورجنرز من أهل الفترة؟ ١٨٠
حديث الخبير ١٨٠
ثقافة الأروميين الأستراليين ١٨١
تاريخ أستراليا قبل عام ١٧٨٨م ١٨١
حدود أستراليا (١٤٠٠- ١٧٨٨) ١٨٥
الغزو ١٧٨٨ ..... ١٨٨
الشعب والأرض ١٩١
التعايش مع الأرض ١٩٤
حياة الأسرة ١٩٨
الحياة اليومية ١٩٩
العودة إلى قلب المدينة ٢٠٣
عود إلى الحديث عن الدعوة ٢٠٦
حديقة تمور مكة ٢٠٧
التأقلم مع الفصول ٢١١
لكل نخلة اسم ٢١٢
مزرعة الإبل ٢١٦
متحف الحيات ٢١١
مغادرة أليس اسبرنغ ٢٢٢
الفهرس ٢٢٣